

# شيرات النساء في العالم الاسلامي

بمشكلة

صاحبة السمو لاسيرة المصرية الجليلة قديرة ضيق

تدريج

عبد العزيز الخالجي

الطبعة الاولى

١٣٣٤ هـ - ١٩٢٤ م

حقوق اعادة الطبع محفوظة للمعرب

الناشر

محمدين حسينين

صاحب المكتبة المصرية شارع الميماوي بمصر

طبع بطبعة النفاذ



## اهداء الكتاب

الى حضرة صاحب العزة شريف بك صبرى مديرو  
عموم البلديات .  
مولاي .

هذا كتاب جمع حوادث بعض الشهور من نساء السلف  
مما جادت به قريحة صاحبة السمو الاميرة الجليلة قدسية حسين  
وفقني الله الى اتمام تعريبه ونشره في عهد ادارتكم ورعايتكم لقسم  
البلديات الذي شرفني الایام بأن أكون عاملا من عماله وجنديا من  
جنوده ، فكان من الحق أن أنشرف باهدائه الى مقامكم  
الكریم، لامزدلفا ولا راغبيا في نوال أو عطاء وإنما مدفوعا بما ملئني  
التقدير والاخلاص من  
المعرب

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المهادى الى سواء القصد وباسم أنبيائه المرسلين والهداة  
المخلصين وطلاب الاستقلال والحرية المجاهدين، في كل عصر ومصر  
أتقدم الى قراء العربية في مصرنا المحبوبة وفي الامصار العربية  
الأخرى، بهذا الكتاب الذي وفقني الله الى تعريبه . وأنا قبل كل  
شيء لا أجد مناصاً من الاعتراف بتشجيع المشجعين من أبناء  
قومي عند ما أقدمت على ترجمة رسائل الاميرة قدسية حسين  
أمد الله حياتها ومتع العالم الشرقي بنهار أفكارها ولولا ثقتي بتقديرهم  
لمجهود هذا العاجز الضعيف وعطفتهم عليه في جميع ما ترجمه لما  
أقدمت على هذا العمل الذي أظنني دونه

وما أظنني في حاجة الى أن أعرف قراء هذا الكتاب من  
مؤلفته وسابق جهودها وفضائلها فإني بالسيدة المجهولة عندهم  
وتاريخ حياتها الادبية معلوم مشهور لدى الناس أجمعين .

الاميرة قدسية حسين كاتبة تتمشى في كتاباتها مع روح  
العصر، مع كثير من التربية الدينية الشرقية، وهي تشترك في  
مجهوداتها مع روح الديمقراطية الاسلامية الحديثة . يبين ذلك  
من خواطرها ومن مقالاتها ورسالاتها التي كان لقراء العربية نصيب



وافر مما عربته لهم وهي تكتب باللغتين اللتين تحسنهما : التركية  
والفرنسية، وتكاد لاتعلم عما تكتب الا اذا تنبه له بعض الادباء .  
ويقضى على واجب الادب أن أذكر أن المرحوم ولي الدين  
بك يكن كان في مقدمة الذين تنبهوا الى رسائلها القيمة فمرّب  
لها كتاب خواطرها ( نه لرم ) وأسماء ( ماهو وما هي ) غير انه  
لم يطبع وكنت إذ ذاك ملازما للخزانة التركية أمد الله في حياة  
صاحبها استاذي البعثة سعادة احمد زكي باشا فثرت بين نفائسها  
على طائفة صالحة من كتب سمو الاميرة وبادرت الى تعريب  
خواطرها دون أن أعرف أن المرحوم ولي الدين بك يكن  
سبقني الى ذلك .

وقد كان سعادة زكي باشا من أول المشجعين لي على المضي في  
تعريب كتب الاميرة وغبة في نشر مآثر الامراء والاميرات من  
البيت الملكي الكريم وانا لتسجل هنا بيد الفخار والاعجاب  
خغلته التي ألقاها على اعضاء المجمع العلمي المصري في شهر رجب  
عام ١٣٤٠ الموافق مارس ١٩٢٢ فلها خير كلمة تصدر بها مثل هذا  
الكتاب وسيرها القاري . بعد كلمة الاميرة وفقنا الله جميعا الى  
ما فيه خير البلاد

القاهرة في ١١ ربيع الاول سنة ١٣٤٣

عبد العزيز أمين النانجي

### ﴿ كلمة الاميرة ﴾

اجتمعنا معشر أهل التوحيد تحت اللواء المحمدي المبارك ،  
نازلين عند قوله عز وجل : ( إنا المؤمنون أخوة ) ، فرغنا دستور  
الجنسية وأزلنا حوائل القومية فأصبحنا جميعاً منذ ذلك اليوم  
بتعمة الله أخواناً ، أسرة واحدة ، نجتمعهم ففكرة واحدة فما أجل  
هذا النداء الإلهي الذي منمن لنا السلام والوئام :

أميزنا عند الله أكثرنا استقامة لقوله الجليل ( ان اكرمكم  
عند الله أتقاكم ) فياقه من جمال هذا الدستور الذي يقرى الامة  
بمكارم الاخلاق :

البلاد الآهلة بالاسلام هي وطننا الديني . والعلم الاخضر ذو الهلال  
والنجوم الثلاث هو لواؤنا الملى . لنا ماض عجيد ينحدر حتى أعماق  
أربعة عشر عصر أولنا تاريخ مملوء بالعظام ، وقد كانت لنا حضارة  
تزرى بحضارة الرومان ، ولنا ذكريات طيبة تبعث في النفس الطمانينة  
مضت علينا أيام رأينا فيها شمس المعارف تشرق في ديارنا فأبصرنا بنور  
العلم ما حولنا ووقفنا بقدره الفن على كل حال وشأن لنا قيا للسعادة  
لم نثبت في موقفنا ، لم نتمسك بأهداب العلم ، تلك فرصة  
سئمت لم تقتنصها — فيا للحسرة ! . . . .

غربت شمس المعارف في شرقنا وبزغت في غربهم فأمسينا  
في ظلام دامس وعشيت أبصارنا عن ماضينا حتى كدنا ننسى

تاريخنا المجيد في الأسف : . . . .

نمكس مرآة ماضينا صورا شتى لرجال التاريخ ولعظائم  
الاعمال عندنا كما تشهد بذلك الآثار الباقية في أيديتنا مما هو  
محفوظ في مكاتب الشرق والغرب ، فالاسفار مشحونة بذكر  
عظائنا وحوادث ايامهم ووقائع ازمانهم وفي نشر تلك الوقائع  
وعرضها على أنظار القوم عظة بالغة وعبرة فائقة برينا كيف كان  
حالنا وما صرنا اليه في يومنا . . . .

لا أريد لقومي أن ينظروا الى الغرب نظرة سطحية ، تريهم  
الاشياء على غير حقيقتها ، كن يرى الاشباح البعيدة عنه على غير حقيقتها  
الطبيعية . لا أرى لقومي أن يروا في الغرب كل شيء ، مستسلمين  
اليه في كل شأن ، بل أردت أن أذكرهم بمجدهم السالف وعظمتهم  
الماضية وأن يعتمدوا بأنفسهم على تحصيل العلوم لا يسقط بعضي  
الزمن . أردت لهم كل ذلك ليتشبهوا بعظماء الرجال من ماضيتهم  
الزاهي المشرق ، فانهم بذلك يجلبون أنفسهم ويرفعون من قدر  
ذواتهم ويتذوقون معنى الحياة

بهذا الدافع ، لا تساني قام في ذهني أن أجمع حوادث  
الشهيرات من نساء السلف وتراجم أحوالهن ، مستمينة على  
ذلك بالماخذ المهمة والمراجع لموثوق بها ، فأوصلني البحث الى  
تراجم أحوال الكثيرات من النساء ممن اشتهرن بالفضل والكمال

في أصقاع مختلفة من البلدان الاسلامية سواء من العرب أم من  
الترك أو الهند أو حاوة أو المعجم الى غير ذلك .

لا بد للانسان أن يحني ثمار ما يبذره من بذور الخير إن قليلا  
وإن كثيراً وقد يصل الى ما يريد بالجد والسعي بهذه الروح ،  
داومت تقيماني وأبحاثي حتى صيرني البحث والاستقراء الى وقائع  
ذات بال ، لنساء كن مثال العزيمة ، جديرات بالتقدير ، لهن أدواراً  
هامة في التاريخ الاسلامي . وسيكون هذا الجزء هو أول  
الاجزاء — بمثابة مقدمة مباركة للاجزاء الاخرى التي عزمتم على  
اصدارها . اثنتان من بطلات هذا الجزء من أمهات المؤمنين  
وهما : والدانا السيدتان خديجة الكبرى وعائشة الصديقة ،  
رضي الله عنهما زوجتا الرسول صلى الله عليه وسلم ، نورا لكائنات  
توجت بهما هد الجزء نبركا وتيمنا بسيرتهما الطاهرة ، ولأن لهما  
حق التقدم على غيرهما من كل الوجوه

الثالثة بنت خليمة وأخت حليمة وأعني بها العباسية بنت  
النصور وأخت الرشيد والرابعة أول ملكة في الاسلام ، وأعني  
بها الملكة المصرية شجرة الدر ، تلك التي قرى اسمها على المنابر  
في خطب صلوات الجمة فهذا الأثر الذي شرعت في انجازه مدفوعة  
بعامل الخير قدم لمأية حميدة وما أطلبه من الجزاء أن يكون له  
بعض الأثر في نفس أمي ومن الله التوفيق



## صفحة من مظاهر العبقرية (١)

### العلمية في مصر

لما كنت من أعضاء الهيئة المصرية الكبرى وعن أعضاء هذا  
المجمع العلمي المصري التحليل قاضي هذين الوصفين أشعر في هذه  
الساعة بارتياح بحال مصر وباحتياج بتلك وجداني هاتين  
العاطفتان تدفعانني إلى تحية وتهنئة الأمراء الصميمين الذين  
تخدمون عبقريتهم إلى استخدام ما آتاهم الله من وسائل شخصية  
والتي استنار مواهبهم الخاصة ليعملوا أنفسهم أيضاً من أمراء  
العلم والعرفان.

لأجزم أنهم ، إذا سلكوا هذه العادة ، يمدون لنا تلك  
السيرة المعجزة التي امتد بها الشرق في عصره لدهى ويكون  
من ورائها أكبر الحضارات وأعم الركائز لدايم الشرق في إنان  
نهضته الخامرة

نعم فقد امتدزت دول العرب والإسلام نطاق خاص ، وهو  
أن الخلفاء والملوك وأركان بيوتهم وأمراء حكوماتهم كانوا أولاً  
وقبل كل شيء من الشعراء المعجدين وثانياً وعلى الأخص من  
العلماء المبرزين والمبدعين ، ومنهم من فوّى ذلك من يزداد

(١) نشرت في جريدة الاهرام بتاريخ - ر.س ١٩٢٢

ارتفاعه في بعض الاحيان تقارله لمهارة الصنائع اليدوية حتى  
 بحذقها ويسرع فيها . هكذا ارتقت طبقات الامم الاسلامية  
 في مختلف الديار والبقاع حتى وصلت الى المثل الاعلى الذي يحدتنا  
 عنه التاريخ ناهية من العجب العجاب ولو شئت أن أسرد  
 بعض الاسماء التي تتوارد على صدري وتتحارى في خاطري اطال  
 المقال وضيق المجال ولرايم المطربات المرفصات مما صلبه لنا  
 سادات الشرق في بناء عزه واستقلاله بأمره من مجالى المعاصر  
 وعرور الآثار بيد أن المقام لا يحتمل الحولان في هذا الميدان  
 لذلك سأنبأ بامكم وثمة مديدة المدى بحيث تترك ورنى تسمية  
 قرون كوامل وأقف لكم لحظة واحدة في دائرة مدينة واحدة  
 هي هذه المدينة الحيلة الى ردهرت فيها حضارة العربية على عهد  
 العاطميين ونسب أيوب والمائيك والحدوبيين فابعث بنحية ممزوجة  
 بخاص الاحرار والاجلال الى روح الساطن الملك الاشرف  
 ابو النصر قاصوه الخورى نحية رسالها أحد لاهياه لأن الى  
 رجل فارق الدنيا منذ يعب وأربعة قرون نحية تحدونى اليها في  
 هذا المقام ثلاثة عوامل من لاعتبارات ، فى كل منها عمرة وذكرى  
 لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد  
 فاما أولها فلان السلطان لعمورى قد أحسن الى القاهرة  
 بإقامه "و" مجيد له مكانة فاحرة بين اعمائر لاثوية لوطنية ، بل

هو بمثابة الدرة البتيمة في فن المارة العربية البديع بل هو محراب  
لشتيت الفنون الجميلة في الاسلام ذلك المحراب هي المدرسة  
المعروفة الآن بقبة المورى وهو الذى انتهت الى القرار فيه خزانتى  
الركبية التى جمعت فيها طائفة كبيرة مما نتجته العقول والفرائح  
في مضمار الآداب العربية وحضارة الاسلام، تلك الخزانة التى  
وفقنى الله لوقفها على أبناء وطنى وطلاب العلم أياً كانوا، وأصبحت  
لا نصيب لى فيها سوى ما يكون لأى فرد من أبناء الأمة  
المصرية وخادمى المعارف على الاطلاق وكان الفضل فى الوصول  
بها فى خاعة المعداد الى هذ المحراب اساحى لدولة رشدى باشا  
وعلى باشا هه لك أمت عداها واستقر بها الموى وأصبحت  
واحمد لله فى أمن من عادية الرمان وعيث لاسان

هذا، وقد كان المورى الذى بلغ الثمانين من رجالات العلم  
والادب. ثم كان من أهل لدراية والمرافز، بكل معنى الكلمة  
وبكل ما ينطوى تحت هذا الوصف من المرامى والمقاصد  
ذلك ابى مند عشر من السن، أمدى الخط ما كتشفت لهذا  
السلطان المصرى تأليفاً فى المسبب النبوى الشريف، مرتباً على  
أسلوب فى بديع ومرقوماً بطريقة، هى آية فى حسن الصنعة  
والجمال. عثرت عليه فى الخزنة الشهابية العثمانية، بمرأى طوب  
قبو بالقسطنطينية فسارعت بقله بالتصوير الشمسى ولا تزال

## جلالة الملك فؤاد الاول



صاحب الفضل الاكبر على النهضة للممبة الحديثة في مصر



زجاجاته السلبية محفوظة مخز في الزكية ومعها صورة السيف الذي  
كان يتقلده الساطان الشجاع وهو غير محفوظ بدار الآثار العربية  
نعم أن هذا التأليف الصمير لا يكتفى الاشاعة بذكر الرجل وحمله  
في مصاف العلماء ولا للتنويهه واطراء عمه في بدوة مثل المجمع  
العلمي المصري، لولا أنه أنشأ في القاهرة أيضا معهما علميا كان يسبح  
وحده وفريد في نوعه ولا يزال كذلك على ما طس اقدار ذلك المجمع  
متتملا في حفرة جاسانه نارة في القصر وبارات في المدينة أعني في إحدى  
عاعات المتحجرة التي كانت تزدن بها امصور الساطانية في قلعة  
الجليل أو في الساحات المقصورة على مدارس تعلم هذا المسعد أو بذالك  
الجامع بين أرجاء القاهرة وكان القورى سقى لله عبده وطيب  
نراه يشترك في الجلسات بصفه عضو بسيط من اعضاء ذلك المجمع  
العلمي المصري البحت البحت المحض ويساحل زملاءه من علماء  
الامة ورجالاتها في المناقشات ويبادله الآراء في مختلف المسائل  
والمضلات، انى لا أنهي الكلام على عواهنه ولا أرسله حزافا .  
بل هاهي محاضر ذلك المجمع شاهد عدل على صدق ما قول . فقد  
نقلها بالتصوير الشمسى بالطريقة الانجماية في جزئين ضخمين  
أحضرتها الى دار الكتب، وهى تحدث الباحث والمسترشد  
عما كان للتراثة المصرية من الخطوط العظيمة قبيل انطواء نبراسها  
ودخولها في خبر كان

ذلك ان الجدل العائر قضى بان يكون السلطان العورى رحمه الله آخر ممثل للاستقلال المصرى ؛ اذ بعد سقوط دولته ( التي انقضت معها تلك الامبرطورية العظمى التي شادها المماليك الاعماد ) خيم الظلام على مصر وعلى ساكني مصر فتوالى على بلادنا بحجور مثلث من الجهالة والانحطاط والانحلال مدة ثلاثة قرون طوال . فقد حسنا كل شئ : المكاة السياسية ، والرخاء المتجري والوحدة القومية . انطلمست معالم العلم ومعاهد الادب ورسوم العنون ودور لمصناعات . لقد سبى الفاتح العثماني جميع اماننا وعنايتنا وكتانا وشعرائنا وصناعتنا واعياننا وكل من كانت حيثته طاهرة وشخصيته باررة من يياض الناس وفادى وروءه لى القسطنطينية فى اعلال الاسر وقيود الاستمباد

مصائب لو حل نامة اخرى لبادت او كادت . ولكن الروح المصرية ، روح المراعنة ، روح العرب لم تمت ، وهى لن تموت ؛ العم قد تولاهما فتورا عقيبهمود نعمود فجمود . ففي ثنايا هذا نسبات العميق الطويل ، كانت السريرة اقومية يعتر بها شئ من التشنج فتتمض حينئذ لدهر فتدب به ثم تتيقظ . يدب فيها شئ من عوامل الحياة أو شئ . يقرب من مظاهر الحياة ، ولكن الى آمد قصير . ثم تعود الى الرقود . فقد يتاح لمصر من لطواعيت ( وهم لعمري قليل ) من يمنحه الله شيئا من العطااة والرصانة

# محمد علي الكبير



محمد مصر الحديثة ومميد اخية اليها

فيعملون على اذكاء الفرحة المصرية حيث نرى النيل وواديه  
يستبشرون بشمسه ضئيلة من النور أو قدس خفاق من الماء، ولكن  
هذا اللبيب لا يلبث أن يستوره الانطواء، وإن كان على كل حال  
يبعث وميضاً من البورق النورانية في تلك الليلة الليلاء التي  
دامت ثلاثة قرون فترى في حلالها مشاهد وقتية تتحلى فيها  
اليفطة القومية على هذا المنوال ازدانت القاهرة بالجامع المديع  
المدى شيده محمد بك أبو الذهب بالقرب من الازهر ووضع فيه  
خزائنه كتب حافلة قد أخفى سائر الذهب وتهرقت شدر مدر  
وذهبت بها المواد فلم يبق لها أثر اللهم لا مجموعة الخشبيات  
الى لم يكن في الامكان احتلالها لا بعد تهكيكها بحيث لا تعود  
منها فائدة انما صاب أو مسرف وهذه المثة تحت اليفطة الوطنية  
في مصر مرة أخرى وخيرة في أيام لامير رسول الكبير صاحب  
العصبة المروعة اسمه الى هذا العهد وهي التي لا تزال الخيام  
والستور تصنع فيها على الطراز العربي الأحدث الانصار ذلك  
الامير رضى الله عنه كان ممن يحلون الادب وأهله ويعرفون قيمة  
العلم ويغدقون النعم على رعيته فقامت سوى المعارف في حكومته  
ثم انقضت مددها الى ربه موفور الحسنة رضى الله عنه  
هناكهما لبارق من الوحيدتين اللتان اذكرهما الآن في خلال  
ذلك الزمان طويلاً وفيما حلالهما تولى دبحور الظلام الكافر.



لأح نجم حديد فاستضاءت به الآفاق وانتعشت عرآه لأرواح  
والأصوار ظهر محمد على الكبير هو أحق أنسان بن يوسف  
بانه محمد مصر الحديثة ومعيد الحياة اليها. اذا ذكره اسمه حطر  
على ابال نوا اسمه احمد بن طولون واسم يوسف صلاح الدين  
ثالث مجيد كان له الفضل واليه رجع الفخار من اقله مصر  
الاسلامية من عثرتها لم يكن محمد على الارحل عمل مع  
أمية لازمته الى ما قبل وفاته تقابل من الاعوام فهو الذي  
ذبح مصر مندمنة واربعين من السنين بتلك المعاهد العلمية التي  
فضى الجدل العاز بأن يصبح كثرها الآن وهو في جبر العدم ،  
وانسماء

نعم ، لم يكن محمد على من اعيب العلماء ولكنه أحسن الى  
مصر . ا هو خير وء هو اكثر مما اتهمها به من سبقه على الاربيكة  
من الملوك العلماء كان سقى الله عهده يقرب اناء مصر ويخصهم  
بكرامته ورعايته وينفق عليهم العطايا والاعانات . كان يمهده  
بنفسه تربية الفريجة المصرية ويستثير النبوغ الوطني . ثم كان  
يستثير النبوغ الوطني . فمن ذلك انه كان داعيا يختار رجلا من  
ابناء البلاد لوظيفته ويضع واحدا منهم بجانب استاذ من كبار  
الاساتذة الدين يستقدمهم من الخارج لبحث العلوم الحديثة  
والمعارف المصرية على منافع النيل ثم بخايل لاولئك المعيد بن بما

نعمه لهم من لو شح الكرام، الموقورة و لحظوظ المتعة أو من  
وسائل التكر والارهاب لكي يخافوا بحق واستحقاق أولئك  
الاسادة الاعراب الذين قد أعزهم بالحيل والهيالان الى افود  
على ساحته واسكن الى رمن موقوت ولى ميماد معين مع يوم  
فكان بهذا الاسلوب ذى الحدين أكرم معوان على تقديم التعظيم  
الالهى والملة العربية واشواهد حاضرة في لاذهان فلاحاجة  
الاطالة بذكرها

أى "أرد القول وأبده من محمد على لم يكن من العلماء  
الكتبه أنحب مصر لطلافة رسمياً ندهى به الامم و ثبت لهم بها أهل  
لاحرز المولى فى جميع ميدان حياة الخيرة ، وأعنى به القائد  
الاكبر الآخر ابراهيم بن عبدى صفت شهرته الآفاق والذى طاق  
أوبارعه بك رافع فى مدح أبيه الامجد حيث قال

فى كرمه سيمان سيف عتبة والشهم ابراهيم سيف ثنى  
نحن لا يفتينا الآن الاشارة الى ماجاء ابراهيم من نور لوقائع  
ليابع ناصر من ورق الحديد لاحصر وانما نذكر مايناسب  
موضوعنا من نهد الحدى الباسل كان أيضاً فى طائفة كتيبة  
العلماء المحققين وأنه كان من أوردوا المستعيرين الى دلهم حب  
الكتب والمهمهم . فقد جمع فى أسفاره الكثيرة شيئاً كثيراً  
من الاسفار العباسية عربية وركيفية ووسية وكان على كل سرخذ



القائد الأكبر الأفندي إبراهيم باشا

كل واحد من هؤلاء نجيب هدية اميرة (ملك ولى لدمم لحاج  
 ابراهيم باشا - سر عسكر الخ - ووالى جده الخ -) أو غير ذلك  
 من الاغاني . بحسب مناصب و لاوقات لكن الحد لعائرو الحافة  
 قضياناً و رثته المباشرين آثروا ان يحتمطوا نأ خلعهم من القمادين  
 و أن يتخلصوا من نخس دراهم ممدودة من تلك السكنوز التي  
 أُرثها القريح و لاهم فتمزقت هذه مجموعة التميسة شرد  
 مدرل طارت على أجرة لرياح لادبع

تلك الحناية تحددت مع الاسف مرة ثانية في حضن القاهرة  
 منذ خمس عشرة سنة تقريباً على اثروفاة الأسوف على شبابه  
 الأمير محمد ابراهيم

ولم لاذت ضائعة من كل هاتين المجموعتين دار الكتب  
 السلطانية في القاهرة ودار الكتب اليدوية في الاسكندرية ودخل  
 امضها في حوز صاحب هذه الصحيفة وفي أمان صاحبه لمضال  
 وصديقه بلليل احمد تيمور باشا وذهب الكثير الى الخارج  
 جرياً على السنة التميسة التي قضى بها الجد العائرو على ما كان في  
 مصر المستقلة من خزائن الكتب العامة والخاصة ، وما كان  
 أكثرهما .

ان الفتح العثماني والحلة العثمانية التي أعقبته بعد قرين  
 تقر بها قد جرد كل مها مصرنا الاسيعة من كنوزها العلمية





صاحب السمو الملكي الأمير عمر طوسون

التي لا تقوم من غير تلاحم ديور الاوربيين والاسر كيين فاستنزفوا  
ولا يزالون يستنزفون الى اوطارهم ( وحكومتنا لاهية ) معظم  
ما قد بقي مخفياً أو متحجلاً بوطنة من تلك الثروة العقلية الالهية  
ليس في قوايينا من محور دون استمراره لتثير الجارف لقد  
حان وقت الوقت لاية انه ان ينتهي الاسر بدولتنا المصرية ( ولو  
بعد خراب مصره ) لانه الصلة في يد تدر من مكاسها  
حيثما غيب . كما همت بطائر الايبس ( أبو قردان ) على الاقل .  
لقد حان وقت الوقت لقيام حكومتنا الالهية بما يلزم من وسائل  
الذبح طبع الخطة المصرية - مصر كما تعمل حكومات القوم  
في اورد الاحتياط بالزائد والمقصود ان حان وقت والله لان  
تستمتع حكومتنا بوجهة من ننادي وتعتدي : ان فرنسا وانجلترا  
وبالحكا وبطاليا في صدار تشريع خاص بهذا المعنى تتسع معه أو  
يتعدى حروب هذه السكوز الى ما وراء البحار من من سمح أم  
هل نذهب هذه الصرخة بلا صدق في اوردى ، وبصريح عليها قول  
المعري : ولكن لا حياة لمن تنادي ؛

صحيح به قد فات لاوان ولكي أنمثل بقول المرسيين  
الذي معناه ان الامم خير من الامل فامل حكومتنا لاهية  
تقتدى فتبتدي في أن تقتدى بما فعله الاجاد من نسل ابراهيم البطل  
الوطى الذي عادر الجمع الكتب القيمة ثم لم يكتبوا بذلك بل هؤلاء



صاحب النظام للسultan حسين الاول

نحن نراهم تدرعوا بالعلم وأصبحوا لا يهابون منازل الأقران في  
ميدان المعركة وهم معصية يعرضون بضاعتهم ورشحات أفلامهم  
وعصير عقولهم على رؤوس الأشم ودون أن يقدمهم خوف التباحث  
والانتقاد. وإنما لكل أباهر في هذه الحفلة لزهرة هدهد المثل  
بذكرنا ربه في - أمة الحامية الحرة الحرة الحرة - مد عشر  
سنوات فقد قام - الأمر ابراهيم حسن - فأبى بالانكسارية  
والعربية حربية متممة حكمة عن رحلته في حربة - رديب  
(وأحشى ن قول - ملان في الظروف الحاضرة)

وذكره ولا - وهذا أقام الأمر ابراهيم حلمي أكبر  
وشر أثمصر والود - ذلك التواضع الذين لا يغتران ولا  
يفصلان بل تلك الوحدة هي كما يدل في عرف قضاة (وولادة  
لا تتعرا) ، د تحف المكملة لوفى - ذكر جميع المؤامرات إلى  
تكملة لكل أمم الأرض عن وادي النيل من منبهم إلى مصبه  
وهذا أقاموس مع في حرائر صحبة - اللغة الانكليزية

وأين الحس اللطيف ، ليس له أثر جميل في هذا المترك  
لدى تدور عليه حياة الأمم المدهضة أن الامبراطوريات المصرية يشاركن  
أخواتها في هذه النهضة الشريفة التي ترمي إلى تحديد الحياة العلمية  
في مصر العزبة على كل من الصعيدين - بالمولي ، ورب البيت : أن  
أعطاء هذا النادى ذكرى الاسم المحبوب لدى جميع القلوب ، الذي



صاحب السمو الامير الجليل محمد علي

له في كل النفوس مهابة ووقار . لقد أسميت بهذا الوصف سيدني  
الاميرة (قدسية حسين مد الله في حياتها) فقد جادت فريحتها الوقادة  
وابيمنت عسها المقتنئة حنا على الشرق واهله بكثير من المصنعات ،  
وكما هو الحق بهمال آية في صها يعرف ذلك ويشهد بصحته الكثيرون  
لدين قراوا مادحيه براءه بالتركية والمرسية . ولقد كان اقراءه  
العربية نصيب من لتمع بهذا السحر الحلال فقد صهر في عالم  
المطبوعات رحمة بمص الشئ من هذه لا تدرك على يد صديق وزميلنا  
الاستاذ الشيخ م طي عبد الرازق وعلى يد تلميذ النحيب  
عبد العزيز الطائبي أفندي

هذا واست أرائي مما نلت على ما متنازه من التواضع وحلا  
من رجالات مصر المعدودين قد شرفا هذه الحملة الجامعة لأن  
الامير الكبير محمد علي قد انحف الآداب العربية ورعة من مؤامنه  
التي ضمنها أسفاره في مشارق الارض ومغاربها . كتبها بعلم  
لانسويه أ. ايب التصنع والصناعة ، بل جمها كرامة صادقة لما  
در في حله ونملك نفسه وطرق وحدانه خاضت تنأحي القاري  
بهم واسطة ونحمله شريك الامير الكاتب في حله وترحاله كأننا  
نشهد منه ما وقع عليه نظاره وتناثر بنفس ما تناثر به ابيه وفي  
حلال ذلك روحه تشاطر روحا في كل سطر مما خطه براءه .  
ذلك لعمري لأنه يكتب عن الشعور لداتي والاحساس الشخصي





صاحب السمو الملكي الامير وسف كمال الدين

وليس بذقل ولا بترجم عن غيره لأن ذلك الغير يكون كثر علما  
وأمد نظراً ولكن له عناية وله مراجع يخالفان ما عليه القارىء  
الذى بخطبه ممن كان صوته في لامة ولوطن والمشاءر والمواطف  
واقدمطع لأمير رحلانه طبعاً موكياً وورعاً سعيه على أصدقائه  
والمحبين به وهم والحمد لله كثيرون وما هو قد سب بقامه السيل  
وقابه العباس عن سمية لاشم وجده الآخر

تلك الخطبة الحميدة قد سلك سبيل القوي لأمير الجليل  
صاحب الأيادي البيضاء على العنود الجميلة امرئيه وتصيرها لا أكبر  
في مصر فمدتولى الأمير يوسف بل صنع ما حظه راعه بامرئية  
أيضا عن حوادث رحلته في كتب لم يسعدني الخط إلا الاع  
عاهه وسكنه ندع طريقة جديدة جميلة في إهداء لأحسن  
لى المحابيع من قومه وأهدى الاربعائة نسخة كلها لى مايجب  
خربة ذلك المهد غابرى انما لى لم يصل رحمه بحى مباشر  
المصريين ما يضمن له القيام بهمة الاساية الى أحدها على  
عاقه لا يواى بهر من لى وطننا قد مسهم النصر وساورهم البأساء  
وسبييع المأخذ هذه النسخ ويتفع ثمنها كله لتخفيف بعض  
الآلام عن الاساية المعذبة . وحيث قد يقاسم للجمهور أن يعرف  
مزايا الأمير الكاتب بعد أن سمع بمارته في مصايد الملوكية وبعد أن  
استظهر فضائل الجمة على المنون



سعادة العالم البعثة الاستاذ احمد زكي باشا

ان كنت الممت بهذه الكلمات الى هؤلاء امر الميامين وتوهمت  
 يد كرى ذلك السلطان العجيب أعني به السلطان المورى (سقى الله  
 عهده) ما ذلك الا لاني اتخيل في حدود الافق مظهراً خصيباً  
 عما فيه الحرات والمرتبات كمثل ذلك السائح الذي أعياه السمير  
 في قمر ايس له نهاية ، حتى ذ حارت قواه وحانه الحد والحسد  
 يستسلم لقدر العاشم ويستمد الموت لزوم ، يذ به فدلج على مد  
 للمصر روضة عذبة بل واحدة فيحاء يكتسبها البذر ويملوها لهم  
 فيرى في نفسه الامن ، محدد قواه ، يمارده شيء من الحياة  
 حينئذ يراه يصاعف المحمود كانه شط من عقل فيهرج مهمطاً  
 وبهرول مسرعاً وقد شدت نهاده لاجل ان الى ذلك المطمح  
 العالي ، الى الحياة ، واذا به وهو حانة اليبوع الضيق في لزال ،  
 نظله الاشجار وتنساقط عليه الاثمار

فان نحن اليوم

— على مقربة من المرحلة الى سيعاود فيها ما كان لنا من

الحرية والاستقلال

هاكم أربعة قرون ونصف قرن غداة البرزخ بين المورى  
 لاجل وبين حلاله الملك المؤد لاول أربعة قرون ونصف قرن  
 كانت بثرة الهوة التي فخرتها يد الجدة العاترة بين آخر سلطان لمصر  
 المستقلة وبين السلطان الاول عهد لاستقلال لدى ترويه ابيه مصر

و نرجو ان نستعيد صحيفاً صحيحاً صحيحاً تاماً

ان مولانا حلاله الملك فؤاد الاول في سجل الاستقلال الجديد  
قد توافرت لديه الوسائل التي تطد دعائم المركز السياسي الجديد  
تلك الوسائل هي رجال النابغون من أمته المتعاونون في الاخلاص  
لوطهم ولا ريب ان لدى بونته فقه مقعد ابن طولون وصالح  
الدين والفردى ومحمد على لم يهمل المنصر يستمر المكر لان الدول  
الجديدة انما تقوم بالرجال الافذاذ وسيرى بحاجب أمته عناصر  
عالية في نفس بيته الكريم فيستعيد منها حل العوائد في العمل  
الذي نحن مقدمون على مواجهته

مسلاماً سلاماً على هذا العهد الجديد الذي يرى فيه أمراء  
البيت ملكي واقفين بحاجب الله الامة وواحد من يدعم في أيديهم  
وبد الله من فؤادهم) ليضحتوا له والكمال له مع الذي ترمعه  
مصر الخالدة وليوطدوا هذا التعاون الحبيب فوعد الاستقلال  
العلمي والمكرى في وقت واحد مع الاستقلال الاقتصادي  
والسياسي لتمود مصر الى سيرتها الاولى على عهد المرافعة  
والعاطية والايوبين والاماليك والاعمد والسلام عليكم ورحمة الله  
احمد زكي باشا



- ١ -

# السيدة خديجة

الناشرة

حسين بن حسين

صاحب المكتبة بشارع البستار في بيروت

حقوق الطبع محفوظة

---

طبعة ١٩٥٠ - أعادته بيروت بحضرة





## الفصل الاول

سكبر اب ٲير شرق . ٲك عظم الخواب ، قام ووحى  
في كل شأن من شؤنك . امر عيك لاعوم والاحقاب فترداد  
حكيت الى نور

نیق باہل نوحیدہ ماقوم تدبیر شیخ نور الاسلام  
روایت ہو کہ ان خطبات میں صریح یہ بھی ہے کہ  
یاد عواد و ہر دو روزہ ہفت روزہ مسنون رہا تھا  
انھوں نے شرف الحال و جلال القدر

كل من رغب ان يبدوا شجرة كاملة في حوضه صراف  
يقبض اوراقه من تحتها ولا يتركها في  
الاعمال التي في الاول من كل سنة في حوضه  
ويكون الاصل في

كان لهم عرج مرد من سوء و...  
يعملوا على تثبيت دماغه بل...  
سعادتهم ثم بدأوا بعد ذلك...  
طريقة غطوة

جل لقد فقد شرف شخصيته الاولى ونسى كنهه ومحبيه  
مفسور غلام من مصيبيه الاخرى متمسكاً في ذبحه السلام الى

أن هوى، فهو يمجدا - الام على أثره في هذه - سقوط  
كان انه هور مدحشا خطيرا، ارتعدت له أعصابا وتو...  
أجله عوامل الارتمالك. فشدت الآمل وارغبت و...  
الشاعر... انت رأسا على...

لا رقيب يوم مديد وكل ناصي أن يحيا  
فأين نجد السوى وفي أي حربة من حربه  
لنر على الأبر وفي منع منع من روح  
أمدد عنا نحن

نمودی در کتب یاد شده است و در این

آنست زیرا که فی هذه

و در سه دایه فی جمع

أردت أن تخرج عن عبيدك  
الأميرة وأنت في بيتك

[illegible]

وہاں سے واپس آئے اور وہاں سے واپس آئے

صنف. كبر ر - ١٢٣٤

أول وجهه من تلك لوجه التي تشرف يوم تصويره.  
هي ناصية الأولى التي تشرفت بوزن الاسلام. هي أول بحجة  
تلاوات في شرف سمائه، فكانت بحجة الخير والبر. بحجة البركة  
ومبيض هي أم أم المؤمنين. سيدة حسنة كبرى

أما لآلها تلك شجيرة. والاعمال في حلاله.  
في مثل هذه الأيام سوداء. في يوم من أيام  
الرحمة لله والبر والبر. في أيامنا. كمالنا من  
البر. وما أكون فيه من يوم من يوم. وأنا أريد فرفر  
قد تم الوفاة بسلام

سعدت به. حاتم. في يوم من أيامنا.  
لا أكون فيه من يوم من يوم. في يوم من أيامنا.  
في يوم من أيامنا. في يوم من أيامنا. في يوم من أيامنا.  
في يوم من أيامنا. في يوم من أيامنا. في يوم من أيامنا.  
في يوم من أيامنا. في يوم من أيامنا. في يوم من أيامنا.  
في يوم من أيامنا. في يوم من أيامنا. في يوم من أيامنا.

في يوم من أيامنا. في يوم من أيامنا. في يوم من أيامنا.  
في يوم من أيامنا. في يوم من أيامنا. في يوم من أيامنا.  
في يوم من أيامنا. في يوم من أيامنا. في يوم من أيامنا.  
في يوم من أيامنا. في يوم من أيامنا. في يوم من أيامنا.  
في يوم من أيامنا. في يوم من أيامنا. في يوم من أيامنا.  
في يوم من أيامنا. في يوم من أيامنا. في يوم من أيامنا.



لاب يدها من اعين قريش ووجوهها فتعرض كل جانب من غير  
 مضل احد اعدا على احد وقد كانت بمدة انظر غاية الحكمة  
 وسر اموالها في تجارة الى الشام في مواسم مديدة وشترى  
 ساروق لها من مئة لهدون وسائر الامصار ليعمها بالرح  
 حيل فكانت لها من المال براهات تروى في حال فخر من  
 سويحت لهدون في درم قوت بالريش ليلة المقعد لهدون  
 لهدون ساروق الحج والمواسم والصدف من مائة دمشق  
 ساروق لهدون في مكة في ثلث الالام

هت عده من عده الاضطراب في من عده  
 عده الى اثره في ذات ليلة فقد رأيت ومارها من عده  
 عده من عده الى من لهدون من عده مكة وعده عده ما يحيد  
 لهدون من عده وعده

قامت من يومها عده عده عده وساروق لهدون من عده  
 (ورقه بن نوفل) وقد كان عده عده لهدون وساروق لهدون  
 وما كادت تفضي اليه عده عده لهدون حتى عده عده عده  
 من ان تلك الاوار علامة عده عده عده عده عده عده  
 لهدون. أي دارت عده عده دليل على أنها عده عده عده

للقارى أن يتصوره مع التأثيرات النفسية حتى تسكت ذلك

قلوب النقي الطاهر

أصبح غام الأبياء بعد هذه الحادثة محذور آمانه ومعد  
أو كرها . بدأت تفكر في حلها لجبل وتنظر كل ما لو تيت  
سبر وجلد ، هذا التي للظلم . وبينما ساء فريش محنمات في  
ير . من بالكمبة الشريفة د نثر لوس رجن . من اليمودها قرب  
من بأعلى صونه

— يانساه أهل مكة قد قرب ظهور غام الأبيير من . كرك  
مكون روجه .

فكسده ورميه بالحصى وكات يدهن . سبيجة فم زمه كاهان  
انما ظلت في مكانها واجهة لا تستطيع حركه من كثرة ما . من  
مرات القلب .

رأت ما عمده . والاحر ت محتهدت أن تلك روعم . اد  
كاتب رنعدويرفن قائم الفهر . هي تفكر في آله وحلائها  
هل ادرك النيرة مطرب أمدا السيدة حاشه . وهن  
رمين الرجل بالحصى . سها لشرة عصى . حدم من سها  
دابة مكان الاجلال . انها ابشارة كبرى رأت العالم من ور ثم في  
سرفان من الانوار والاشواق



## الفصل الثاني

لمحمد بن عبد الله، أمين قريش وفجر الكائنات مربية  
سامية في نفس عمه أي طالب، تموق مسكاه ولادة الله من  
سائه. كان يحياه ويؤكده وأسن به كل لانس  
وعمر في محاسن من تلك المحاسن ومعهما عتقة تحت أي صاب ووعه  
التي وقدورعو من حمام الله... فقه الامين الى ان مرشده واد  
... اب اي اخيه بقول لها مدفوعا بموامل الاعجاب والتمجيد  
... اب محمد وساررحه... ان يتأهل فاذا توبن

في ذلك

فاجاب

... انه فقير وحده مربية تتاجر أمواله وتؤخره... بحر حور  
... بارئها الى اشام... طيه بعض... فيتاجر به ويعمل على  
... حتى تنور لديه نعت المرمر

... فاستدوب الامم هذا رأى فاستدعي بن اخيه وقل له  
... هاهي نبي اهبك اياه يا محمد وينك نتقدم الى حديجة  
... انها تفضلك على عيرك وترسلك مع رجال ركبها الى الله  
... هو اب اليماراجا

ثما لامين و كان جوابه لعمه

- اذا شئت خذنيجة ست تطامني

ودركت اللعة من حوارهم ان محمد بن يسري و

نفسه ساهو عليه من عمره نفس واذلك عرفت عن ان تقوله

يكمل عجاج و بعد تمامها ما اذنت ان خذنيجة ما كان

ما دار بين العمه واس حيه حتى تذكرت رؤياها وداها

حتى لا يمر مصدره حبلى الهاء ان ثمر لامين هذا

هو حمزة الذين كانت تقول عمه و

ر به الله

عند وجه لامين الله كانت في حنة و

و بعد ذلك هو و يخرج من عنده الاس قبل

سنة و دعى بها اعطته سب

سنة التي حوثة و سنة نفس و

و على ان حوثة و سنة النفس و

- انشر برزق عاجل ساقه اليك المولى

المقابلة الاولى بين امين و ريش و حنة قوم خذنيجة كان

ما نثر كبير في نفس امانام المومنين و بعد انما

فرارة نفسها و حكمت عرى فاما حلوك البحر و العشة

في الامع التي و اصواره و كنهه السحرية العديدة و

حلال فبهم الطاهر وأنت عليها وحى الحب الخالص كما تلقى  
شمس شمس الأولى من حلال يوم ودوت صبح.

اشتهر مني في ذلك عهد تصباحة الروح وكرم الاخلاق  
وذهب شمس هين - روحيني - قالوا دها هو محمد الامين  
وم كمن ذلك حديقاً على سيدة خديجة فقد كانت تسمع عن أدبه  
حم وحملة الرافع وكما في مدائن الأولى له وهي تحذره بخاره  
وآمنى من مشهدة طمعه هيبه خذت به كآيتهاء تصب  
تدوم بانه ت حبة مني امهاتها أعمش صيرة ررة وأن  
لر - من أعمها نظر به الحدي - سر عوب وش - تحاميم  
شمس هو المرس - سر - حم - لا - وال -

وي - رند كبه مدالك - عو عيب لها ومو - مصم  
من - ولأول - ر - ر - الم - لاشم - طم على مولا  
مسره - من - من شدة شبيده وركن به في مسائه لطيفة  
موا - لا - في محمد الامين في أوامره و - من عند رآيه  
شده - ريق

من الركب - مر وأعد قوم معداتهم فالتحق النبي صلى  
الله عليه وسلم في يوم المقر فسادروا على طر الميوز و -

دمشق الشام . وقد حدث ما أثر أعقاب الفود واستمردهم  
ذلك أنهم رأوا غمامة تظاير رأس سيد كائنات الكائنات  
فيط فتجمل طريقه ردّ وسلاماً فها هو بما هم عن سر  
ذلك وحكمته وهم الذين يقطعون طريق ويران الشمس الفع  
وجوههم وؤدى حسومهم ، وانفكار من متصفاً معهم مقبلاً  
عليهم بحميم ما طبع عليه من رقة شمس وكرة الاخلاق ، فتتوا به  
يما افتتان . أما ميسرة ، مولى حديجه ، فكان لا يدرى كيف يصم  
ليجامل عزيز مولاه

أجل قد سحر الفوم تلك الاخلاق مسة وحدهم الى  
مسه الامايه . وبعد الى حلال اشدهم بمنوره اشعة اهرة  
حتى بدأ وبسذاجة فطرتهم وصفاة قلوبهم . ليس من حلال  
أواره وحر كانه . منزلة خاصة لا توحى غره من ار حلال .  
كان لا يزيد اذ ذاك عن الخامسة والستين . ككه كان اذا  
كلم حله شيئاً دره لا يدرك ككه احارب ، وبعد ما واولافى  
طريقهم الى مقربة من موقع يقال له (سوق بصري) اسح الركب  
المتبرج من وعناء السفر فالتقى النبي صلى الله عليه وآله طلال شدة  
قريبة من موقعهم وجعل يحيل طره فيما حوله ما لا يلائمه حيا  
فتركه ميسرة ايزو بمض معارفه في لمدينة ويبا هو في الطريق

اذا راهب من تلك الجبلية بدعى سطورا اقرب اليه وحياءا سالاه  
عن الشخص الجالس تحت طلال الشجرة فقال :

- من دريش من اهل الحرم صاحب الراهب :

- لا ينزل تحت هذه الشجرة الا الانبياء . أو عبيد حرة و

- نعم

فمرسل راهب نحو ابي وهو يردد قوله

- بني ادر اذ وقت دونه

وعند ما اقرب منه تأمله طويلا ثم عاب الدعة التي بين كتفيه  
وهي علامة النبوة وقفل بعد ذلك الى صومعته مسجورا مأخودا  
السبعى ارما وقف عليه وما تحفة من ارفع القوم المتقي . طلال  
للشجرة هو خانم اليبين المتنظر .

•••

ثم رى نبي الله عليه وسلم بعد هذه الحادثة الهامة مهمكما  
في تجارته مصرفا الى بيع ما بين يديه بدراية وشاطيعودان عاه  
وبيع طائل فوق ما كان يرجو وقوله

لم تكن هذه المرة الاولى في تجارته بل سافر قبلها مرتين  
في تجارة وبعدها مرة ابو طالب . الا انه لم يربح فيها قدر الذي ربحه  
هذه الدعة . فسر من فوزه سرورا عظيما حيث علم انه يعود الى  
خديجة بنى تاطعت معه كثير ارجح وافرقوم لدها مقام لدى

أسدنه به ، تسرع بالعودة الى مكة يوزف يها هذه بشرى غير  
 أن الابل كانت قد أمهم كما سير واصبح ثنتان منها لا تقوين على  
 الاستقرار مع الركبة فلا مخلص من الاناخرة وإنما ستعيدن  
 دواحمهما فسقط في يدهم سرقة وهم بدر ماذا يصنع لانه أراد تحويل  
 العودة حيث كان يرى لهم نأخروا كثير عن ميماد عودتهم  
 رأي أي وهو يرأب قوم اسكون وهدوء مام عليه  
 انك ووق ، فقام نحو الابل ووضع يده على اهره على . فقال  
 لئلا يبين وقراء من الادعية وما كاد ينهي من دعائه حتى انقضت  
 تأثرهين بمقاطعية سرقة للمادة ودبت فيهم الروح الشاح  
 سارية في تلك المصلاات المبهوكة سرين ترقى بشيم عادرك  
 الى المسير بعد أن ساد مشطاني لال وسر قوه في صديقته  
 هاذين واحدين مزارين ، وقد سهرتهم تلك المعركة وسدت عليهم  
 ارق تعمير مرعاه يتولون عن رجل يظهر مثل هذا  
 لا تخار ، ماد عساهم برون في رجل ريل الاوصاب والمناصب  
 عن الاحياء بكلمة صالحة بصفى ما فيه به كمال المحسم ، انها  
 قدرة تفوق قدرة البشر

رواها مالا يصدقوه لو حدثهم به محدث - رأوا بأعينهم  
 معجزة يهت بعوسهم فأيقنوا فقام يقين أن شاب الذي

أوتهم طول طريقهم شحصيته بأرة . حارة من حار و  
قريش

كانت لاصاة ساهرة في تلك الشحصية ما يبه . بأرة  
مجي في سكوتة وحركة . . . . . فقام احد من غروب  
وسهر المور . . . . . ظرات فاضة ووجه مشرق وهزايا قل أن  
ح . . . . . في . . . . .

أدرك يوم من هن ركب ، بأحلاقهم اضافة ونفوسهم  
الاصرية ما في احواله وأورد من ميزة ظاهرة ، واعتقدوا أنه  
لا يشاء احد من . . . . . في . . . . . وأخلاقه وأنه خارقة من  
- وارق قريش إلى هنا . . . . . مداركهم ولوكاوا . . .  
دوى صيرة . . . . . روي . . . . . ثم يكن غا . . . . . من حورق  
ريش وح . . . . . هاوا . . . . . حارة . . . . . أسره . . . . . من اختاره المولى  
- . . . . . يد سمات أهل . . . . . تكافة تحت . . . . . ذلك . . . . . مصر يصل  
ناس إلى هدى وود . . . . . علم والارشاد

عندما وصل الفوم ( وادي فاطمة ) صاب ميرة من بين  
سبي لله عليه وسلم أن يتقدمهم أي حديجة فاحت وطيبه نحو مكة  
ولما وصلها سارورا إلى درها . أمهي فكانت فقة عيب . . . . .  
طول تلك المدة فتوسلت إلى مولاتها عيسة (١) أن تصمد معها  
(١) . . . . . من المصادر إلى . . . . . أنهم صديقته وهي على بن قيسه



الى اطاق الاعلى من الدار لتحدثها وتسرى بها بمص ما لها  
من اعلق والاضطراب وه اشتد فقلق قامت الى انقادة  
تربط الطريق وتأمل فيما حورها وبدها على مقعد يدع الصنع  
نطرت طويلا الى الممد المؤدى الى مكة فلاحت لها في لاق  
نقطة سوداء ام تميزها في نادية الامر ، تقرب نحو مكة ثم  
نبتتها جدا فسمت ثم طية يملوها مسود تقرب نحو درعا  
فاذكر انه الامير وقد امت نظرها وهي تأمل قدومه ،  
غماه تطلعه مرده معه ولم يكن في سماه وقتئذ سحاب أخرى  
سوى تلك سماه في لانه ارفه ألتوجه لتقه حرارة الشمس فثار  
للظلمة مكان الدهشة والاضطراب في ها الطاهرة .

وبعد ان وصل اليها النبي صلى الله عليه وسلم وامسى اليها  
بشرى يحيا الجربيل ، علاوجهها البشر والايمن وطلبت منه ان  
يعود اليها بمسرة فعاد نادية الى مصيبتها بفتح بحر وادي طية وقامت  
هي الى سطح دارها نراهم سركا في المسجر ، والمعممة فوقه  
تشر سلال السلام حوله ، نصف الف وقف وقسمه بن سار وه  
وصل مبصرة حكيم اماماه من ابراهيم والكرامات (١) وه  
تعرفه في صحبته من بركات مع حسن سمع ونهني والدل  
وعما قاله الراهب عنه فلما انت ان ناهت في محار التمكنير وكما ح  
(١) السيرة الخلمية

سها الفكر انتقلت من حال الى حال .

ما شاهده بمسرة وقصه عليها آيات بينات على انه الرجل  
المنظر ، الخالد الذي سيرفع من شأن عصره . وشهادة لراغب  
وسحابة التي رأتها رأى أمين ، امور زادت من أفكارها وآمالها حتى  
أصبح ذلك الوجه المبارك المشرق لا يفيب لحظة عن انظار حبيها .  
أما مشح تلك الشخصية الكبيرة فقد عمرها وقيد روحها بسلاسل  
الحادية الى ان استولى على عرش قلبها النيل .

كانت تماهز الاربعين ، أي انها قطعت مرحلة لا يستهان بها  
في صريق الحياة ولكنها مارالت في نضارة الحياة ، عليها مسحة من  
الجمال . وكان اثر جديته منذ المواجهة الاولى بليفاً راسخاً ، تمكن  
من محوه والنقص من قيوده وفقد حثا كهاية اثر هذا الاحساس  
شدة ، ككلمات معه ، بعد ذلك ، الى ان كان يوم هوديه من الشام فادا  
تلك ماطة وذلك الابداب قد تعاقب قلب ، وتشت في الروح  
فتحو لا الى حب شديد

لقد فتح الرسول الهادي ام المؤمنين بطفه وشخصيته باقة  
واخلاقه العالية ، فوهته قسما وتعلقت نفسها اظاهرة بسلك عبته  
بكل ما فيها من قوة وجلد وما كادت يدها تصل الى هذا السلك  
الدوراني حتى اهتر كيانها بقوة قرينة وانقلبت حياتها الهادئة  
للساكنة الى مسالة من الايام ، حلقاتها ، مرائر الآمال والاحلام .

## الفصل الثالث

جاست أم المؤمنين ذات يوم تعامر محاراً من التفكير"  
والتأمل، ثم انتفضت فحاة ونادت مولاهن، مبسة وقد تمكن منها  
الشوق، ترفف كل الممكن، وأحزنهن أنها ترسلها إلى داود محمد  
ابن عبد الله وسألها عن سبب الرسالة فأجابته

- اشرفى هل له ميل للروح أم لا؟

فجاءت على أثر ذلك ترور محمد في بيته.

جاءت مبسة هذه ابن عبد الله وبعد حديث قليل قالت له:

- معنك أن تزوج؟

فاهتد لها بقلة لال الارم للقيام اششور العائلة. حاجته:

- من كميت ودعيت الى المال والحال والكفاة؛

ولما سمع الـي ذلك أجابها:

- ومن هذه التي تصفيتها؛

فأجابه في الحال:

- حديثه بنت حويلد

فرد عليها صلى الله عليه وسلم:

(١) روضة الاحباب

- وهل يصح مثل هذا الأمر ؟

- ما عليك لك لو قلت أعدك بأمرها

قالت له ذلك وصحبت تنظر ما سيدوم ولكم طر ما كنتم

لا يحب فرجعت وقد رأيت منه هذا الحال فحمل الى سيدتها

بشرى القبول

كانت ميمونة النخبة في رسالتها لله كم أحرار السيدة

حديجة كرامتها ... لقد رأت هذه البشري برأ وسلاماً على

قائما فمرحان ما عبت موعد المقد في الحال وأرسلت نفسها في

دار الامين ثانياً فنجده بالبحر البها في يوم المين في رسول

ذلك مسروراً وبدأ طر فاعلم من ذلك اليوم في ممدات العرس .

كانت السيدة حديجة وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يتقابلان

قبل يوم الزفاف وقد سئلا رسول ذات يوم في الذهاب

الى دار خديجة وأذن له ثم أرسل وراءه مولاته عتبة نرى ما يدور

وفهم ما يحدث ففتعقبتهم امتثالاً لأمر مولاه وكرالى قد وصل

ولها فأنهت سيدة حديجة يد رسول صلى الله عليه وسلم عن

صدرها فوقها بها الخافق ثم قالت له بتأثر

- يا بني وانى أنت أقدم أنى لا أقبل هذا الربة أو لمؤ

ولما اطاب من المولى أمراً أرجو أن يتحقق وهو أن تكون

سبحه المرسل وإذا خذارك الله لهذا الامر الجليل عرفت قدرى  
ورفعت شأنى ودعوت الى الله من أجلى . . . فكل ما أطاعه  
من الله هو آت يجمعك لى .

فأجابها سيدنا محمد بقوله

- وانذى نفس محمد بيده لاتذكرن جميل صنعك معى اذا  
تم لك ما تشتهين واما اذا كان رسوله المختار غبرى عليك تصلين  
الى عرصك ان شاء الله ما دمت فعلى كل هذا فى سيدى الرسول  
هذا ما دار بينهم من الحديث قلته عتبة الى مولاها بى  
طالب كما رآه وصحته .

## الفصل الرابع

أقبل القوم من بني هاشم يوم الاملاك - وهو يوم العقدة -  
وفيهم كريم تياتهم وبجيب عشرينهم ، محمد بن عبد الله ، يخف به عماء  
او طالب وحرمة <sup>(١)</sup> فنزلوا من بني عمهم اكرم منزل وأسناه  
حيث قابلهم واحتفى بهم عمرو بن أسد ، عم سعد بن حنيفة وبه  
ان كتمل فقد اجتمعهم قام ابو طالب بن عبد الله ، سيد فريش  
وامامها فقال :

«أحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم ، ورع ساعل وصالح»  
معد <sup>(٢)</sup> وعنه مضر وحمائلنا حضنة الله ، وسواس حرمة ، وجعل  
لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا ، وحملة حكام الناس ثم ان اس احي  
هدا ، محمد بن عبد الله ، لا يورث به رجل الا رجح به شرفا ولا  
وهصلا وعقلا ، وان كان في المال قل . فان الما نطل رائل ، وأمر  
حائل وطارية مسترجعة . وهو والله سدة لنا عظم . وخطر  
جليل . وقد رعب ايكم رغبة في كرتكم حذمة ، وقد بدل من  
الصداف ما حمله وآمله ثنى عشرة وفيه وشاك <sup>(٣)</sup> »

(١) السيرة الخليفة

(٢) صنعي الشيء معدنه (٣) الش عشرون درهما وهو نصف

ثم قام على أثر ذلك ابن عمها وردة بن نوفل وهو الذي فسر لها  
رؤياها الجليلة فقال :

والحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت ، وقضانا على ما عدت فمحن  
سادة العرب وقادها . وأنتم أهل ذلك كله . لا يشكر الله رب فضلهم  
ولا يرد أحد من الناس غيركم وشرفكم فاشهدوا على معاشر قريش  
أنى قد زوحت حديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله . »

وكان وردة في موقفه هذا ، ينطق بلسان عمرو بن أسد ، هم  
حديجة وتعت إليه أبو طالب وقال

- يا وردة ادع عنها يشاركك في العقد

فهم عمرو بن أسد فقال :

« اشهدوا على معاشر قريش أنى قدأ بكحت محمد بن عبد الله  
حديجة بنت خويلد »

وهكذا صار القوم على زواج ابني صلى الله عليه وسلم من  
أم المؤمنين السيدة حديجة بنت خويلد . وكان الرسول جالسا  
تحتها . العقد فلهما است حبيبة صالت إليه أن يخرج ورثان

الاولوية ويروي انه صدقها عشرين بكرة

(١) ويروي انه انتهى من حبيبته بقوله وقد جهزتها بربع مائة  
مثقالا ذهبا



لبكرات التي أصدقها عمه أبو طالب مهراً فذبح أحداهما في الحال  
وأطعم الأقوم وأمرت خديجة نساءها فرددن وغين .  
أما الرسول صلوات الله عليه فقد أقسم صدره سرراً حتى أن  
أبا طالب عند ملاحظ حالته الروحية حمد المولى كثيراً



## الفصل الخامس

سعادة يالها من سعادة، تلك الحياة طيبة، اصالحه الى أمضاها  
الى الهدي، فخر العالمين، مع سيدة النساء خديجة أم المؤمنين.  
كانت خديجة في بيتها مع زوجها الحليل، فحرا الكائنات للثقل الاعلى  
في الموادة والموادة والمواناة والرفع عن الكلفة وذل المعونة،  
تقوم ناداء واجباته وقضاء لوازمه بجلال خاص بها، وتجتهد في  
ذلك كله، بكل ما آتاه الله من دكاء وقطنة وبكل ما حلت عليه  
من شفقة ورقة أن يجعل أيام حياته تمر ببدية ساحرة وأمس لا  
مثيل له.

كان النبي صلى الله عليه وسلم في نظرها، شخصاً فذاً يستحق  
الامانة والتقديس وما كانت تشاهده فيه من درجات الكمال يزيد  
من قدر صغته النادرة ومراره الجلة رفعة. هذه الحالة لروحية دفعها  
الى بذل النفس والتفيس في سبيل مرضاته وما فيه سعادته وان تمدد  
بيدها الكريمة ما قد تلبد في سماء حياته من سحب الهموم ولا كدار  
ان الاخلاق الفاضلة والصفات الحسنة المطرية التي امتاز بها  
الرسول في تلك الايام، في بيئة عم فيها الجهل والميل مع الاهواء،  
لما بلغت الانظار ويستهوى الالباب

كان نبينا العظيم لائل الاعلى والمعجز الكبرى في نظر الجميع ،  
وايس في مقدور امرأة متوسطة لدكاه أن تشارك معه في الحياة  
تقطع معه مراحل العمر

ولقد كان رسولا الهادي ومرشدا الاعظم وهو نور لخط ، سعيد  
اطام ، اذ رفق الله امرأة كخديجة ذات شجاعة عالية يدرك جلال  
قدره وعظيم استمداده ومواهبه ، وباند فكره بمسويته وتشاركه في  
نورانيته وتغلا بممارستها كل جوفا من حياته . كانت السيدة خديجة في  
نظره الزهرة الحلوة التي لا ينساها لا ذوا الابتسامة المدينا التي لا  
يمحي خيالها من صفحة الـهن

مست حياتها المشتركة في ولاء وسلام فقضيا خمسا وعشرين  
ريها ام يمكر صفوها عتب صدر أو تكذ طامع .

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحسن روحته باحترام كبير  
ها في نفسه أسمى منزلة وفي الله تسمى مكان ، لا فتا بمعرف  
تشكرها ، حتى أنه لم يحط على ماله طول معاشرته لها أن يتزوج  
سواها ، مع أنها كانت أكبر منه سنا ، وله منها صلوات الله عليا وسلم  
تمة أولاده ، أربعة ذكور وثلاثة إناث وهم : ماسم وطيب والظاهر  
وعبد الله ، وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة الزهراء .

(١) كتاب السير للويس

## الفصل السادس

عند ما بلغ باب الهادي ومرشد الكبير فخر الكائنات  
ورسولها الخطير، الاربعة من سني حياته، كان يرى الصور والصور  
ويسمع صوت الله ولا يرى أحداً. ثم صار يرى رؤيا، صالحة  
في النوم وكان لا يرى رؤيا الايامات مثل حق الصبح واقديست  
روحه المالية من أن تجدد فيما حو بها ما يروى أوارها من معرفة  
طورها الهادي اشتد شوقه اليه، ان املها عاب عنها ذلك الشوق  
حتى أصبحت زاهدة في كل رزق وكل سمع ولذلك رأى محمد أقدر حبيب  
اليه الطلوة ولا افراد وكان امار «حرارة» الحظ من هذه الروح  
الحانية على حبيبها، تذكر الله وتطيق الأمل والمكر.

### (١) قصص الانبياء

(٢) كانت عبادته فيه المكر وقيل لله كره وهو الصحيح واحتلوا  
بأي الشرع كان يدق لك الآية فقه شرعية نوح وقيل ابراهيم وهو  
الظاهر وقيل موسى عليهم السلام وقيل غير منتم شرعية أحد وهو  
المختار لظاهر قوله تعالى «وكذلك أوحينا إليك رؤى من أمر ما كنت  
تدرى ما لك كتاب ولا الامن» و«نفقوا» صلى الله عليه وسلم لم يمد  
صنا ولم يقارف شيئاً من «وراث الخاهلية» للمعرب.

ففي يوم من أيام عزله وقد تناهى صفاء قلبه بما اعتاده من  
الخلوة ، انقض حتم السر المكنون وانكشف المطاء عن الامر  
المصون ، جاء الامين حيريل رسالة من الملك الجليل فالتقى عليه الآية  
الاولى من الكتاب المنزل

رجع الرسول صلى الله عليه وسلم ذات يوم من ذحراء ، بمنع  
اللون ، مرتجف الصدر ، يملو الاضطراب اضطراب الوحل الحار  
وهو يقول

- زملوني زملوني -

فزملمته السيدة خديجة حتى ذهب عنه لوعوهي مستفربة  
لما حدث ثم فتح عيديه ، نريفتين قل خديجة تمدن ومن عليه الخبر :  
- لقد خشيت على نفسي

فاجابت

- والله ما يجزيك الله أبدًا انك اتعمل ارحم ونحو الكل  
وتكسب العدو وقرى العيب وتعين على نوائب الحق  
وامد أن هذا روع وطأت نفسه ، اطلق به خديجة حتى ات  
به ورقة بن نوفل اس عها افقات له خديجة

يا بن عم اسمع من اخيك فقال له ورقة :

- يا بن اخي ما ادرى

(١) اقرأ باسم ربك الذي خلق الا ان من خلق اقرأ وربك الاكرم

فأخبره الرسول خبر ما رأى ، فقال له وردة .

- أبشر يا محمد أتخاتم الانبياء الذى أخبر به عيسى بن

مريم وهذا التمام الذى أرسله على موسى باليتى فيها جسد عا

باليتى أكون حيا ابخر جك قومه لك وان يدرككم يومك أنصرك نصرا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

- أو يخرجى م

فأجاب :

- نعم لم يأت رجل قط مثل ما جئت به الا عودى

وكان ابن عم خديجه هذا قد شمع من الاعوام وارنوى من

حديث الاناء ، تعلم العبرانية وقرأها ، الاسفار ، وعرفها الا الذين ورصى

بدين ابن مريم (عليه السلام) دينا وقد صدقت نبوءته وتحقق كل ما

أخبره به .

فتر لولي بعد ذلك فترة طولة بعد ورود جبريل الروح

الأمين في المرة الاولى فكان اى ينزل في الغار متوقفا لذلك

الجمع المهيبة بشوق عظيم ، ولكن بدون جدوى فيخرج لهذا الامر

حزنا شديدا . الا ان السبعة حديثا التى كانت تقرأ في سفجات قلبه

وتعلم مكونات صميمه وحجته الروحانية تدل كل ما فى وسعها

لمواساته ودفعه الى الصبر والطمأنينة

كانت تؤبده وتؤازره وتشرح صدره وتخفف عنه أعباء الهم  
والحزن ، تجالس به وتعاشره لتبده عنه سحب الشك والريبة ،  
تفاكه به وتحدثه برقيق الكلام وحلو الحديث مداواة للألام  
نفسه ، تسوق اليه المعطيات والمبرقعات لطايره

لقد أحببت بعلمها حياء عميقا كبيرا بلغ من عمقه وخطورة  
شأنه أن أحاط الرسول سياج بقيه من كل نمر أو أذى ، فكانت  
أروحه ضللاً ضليلاً وقلبه رداً وسلاماً فلا بدع عاراه في هذه  
السيدة من اصغيات حتى تساعد على استقبال أمور عظيمة لاسها  
خلقت لتكون روح ذلك الرجل الذي سيأتيه أعظم الامور  
تشد أزره وتأخذ بيده ، أما هو فكان يقابل هذه الصداقة الخاصة  
باحترامها وموادتها وكرامها الاكرام احريل

امتد أحبل تلك فترة الى ثلاثة أعوام مصت ابن مرائر  
اشبهة وآلام النفس ، لم ينسر لى الهادي رؤية حيرائيل عليه  
لسلام اثناءها ، وان كان يرى له ملك آخر هو اسراييل بعده  
بالارشاد والاعليم .

ثم عاوده الروح مرة أخرى ولانبي صلى الله عليه وسلم  
مستكف في حراء، فارق في محار النابل والامكر، وقال له :

« يا أيها المدر قم فادبر وربك فكبر . وثياك فظهر .  
والرجز فاهجر . ولا تمن نستكبر . واربك فاصبر »

فكانت هذه الآية الشريفة مدد اللبنة المحمدية وعلى أثرها  
تلم الرسول الوصو، والسلاة ودعا السيدة خديجة الى الاسلام  
فآمنت به وكان وجهها أول وجه مبارك أشرق بنوره

وكثر ترده صلى الله عليه وسلم بعد ذلك الى ( حراء )  
ونزول الآيات عليه وكان كلما رأت آية قرأها على السيدة  
خديجة امتثلت فداء وتروح معه وتؤيد أمره وحمل يدعو  
من يأنس من أهل مكة سرا الى أن آمن به كل أصدقائه ومحبيه  
ودخلوا في زمرة اصحاب المكرمة حتى رل قواه تعالى .  
« فاصدع عما تؤمر وأعرض عن المنكرين » فامتثل صلى الله  
عليه وسلم ما أمر به وأظهر دعوة الحق فكثير أنصاره واشتد حنق  
المشركين من قريش عليه فأجمعوا للتشر له وعرض عمه ابو طالب  
للشردونه، فلما رأت قريش ذلك، اجتمع أشرافهم ومشو الى أبي  
طالب وقالوا له :

- ان ابن خبيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أعلامنا  
وصان آبهنا فأما أن نمكمه عنا وأما أن نخلي بيننا وبينه فانك على



مثل ما نحن عليه من خلافه فكيف . وقال لهم ابو صالح قولا  
 رقيقاً وردهم رداً حليلاً . ومضى رسول الله على ما هو عليه فشرى  
 الأمر بينهم وبينه حتى قولت إجن وصمان ثم مشوا إلى أبي  
 طالب مرة أخرى وأعدوا إليه في أمر النبي صلى الله وآله وسلم  
 واشتد قولهم في ذلك فمظم عن أبي طالب فراق فرمه ولم يظب  
 مسلماً بخد لانه الذي صلى الله عليه وسلم ثم كلم الرسول ومن  
 صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا له مكره ، وأجر عن نصرته ، وقال  
 - يا عم والله لو وصمو الشمس في عيني . حر في يساري  
 على أن أترك هذا الأمر ، حتى يظلمه الله أو أهلك فيه . ما تركته  
 ثم استعير رسول الله صلى الله عليه وسلم كية وكان أبو  
 طالب يحب ابن أخيه حباً جمّاً ولم يكن قد سلم بمهده ، كما دراه  
 حزينا حتى قام إليه ولحق به يقول

- يا ابن أخي قن ما أحييت فوالله لا اسمع نبي . بدأ وأما  
 على قيد الحياة .

أما أمنا حديجة الكبرى فقد صحت في سبيل الدعوة لكل من  
 ونفوذ ونؤارده ونشئت قلبه وتقوى حالته المنوبة بنسبه ما يصدق  
 من اذى المشركين

كانت احدث في الخامسة والستين من سني حياتها وكانت  
 اكبر مسلمات مكة شأواً وأعلاماً نفوذاً كانت منبع الأمل للمؤمنين

تسكب معنى النشاط والعزيمة في روح نساء المبارك . ولكن قد  
 أن لهذا السبع الظاهر أن ينقطع عن فيضه المزير شبة ، شبة حتى كان  
 في آخر تلك السنين أشر شدة من العمة على سرير الاحتضار  
 شخص عزيز جداً تعرف روحه حائلة في هذا المحيط الصغير  
 إلى أن كان حذب من أمراته وسنته قصى بطيراهما إليه وأمر  
 به أعلى . . .

هذه روح ، هي روح السيدة خديجة ، تلك هي كان  
 لانية لها إلى حورهم وفهم الصواعق في الدار . . . تلك التي  
 ماتت وتركت رسول الله في حرب ووحشة

\*\*\*

دوت سيدة خديجة بالحجون في مكة وولدت في صلى  
 الله عليه وسلم في عامه . . . وقد كان وفاتها عاقبة موت صهيبي  
 طالب فأنزله فيه ذلك تأثيراً شديداً

كان يشعر برأيه كبير في الحياة ، ولم يكن إذا ذلك من  
 يستطيع أن يلا هذا العراج ، كمن صلى الله عليه وسلم يقول عن  
 زوجته أنها خير النساء في الإسلام كما أن مريم خير نساء عالمها .  
 وقد أنى صلى الله عليه وسلم على خديجة مدبر عن غيرها  
 وإن لا سرق هنا حديثاً مرفوعاً عن زوجته النابية السيدة عائشة  
 دايلاً على مكانة سيدة خديجة أم المؤمنين من نساء زوجها أكرم  
 الكائنات صلى الله عليه وسلم

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وجد على السيدة خديجة حتى خشي الله، إلى أن روي - سيدة عائشة بنت أبي بكر - بعد ثلاث سنوات من وفاة السيد، أم المؤمنين

قالت السيدة عائشة - كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرج من البيت حتى يذكر خديجة في حديثه - شاء عبيها وكان إذا ذبح اشاة يقول ارسلوا إلى صدقاء خديجة، فذكرها يوماً من الأيام، وأخذتني الفيرة فقلت هل كانت إلا عموماً أيد لك الله خيراً منها، ومضت ثم قال لا والله ما أبدى الله خيراً منها. آمنت أذكفر الناس، وصدقتني أذكبي الناس، وواستني بما لها أذكرني الناس، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من نساء، قالت عائشة فقلت في نفسي لا أذكرها بعد ما نسبته أمداء وذكرت ذات مرة فقال دأبي لأحب حبيها، الوفاء من الأيمان.

ها هو حديث سيدة عائشة، كل كلمة آية بينة تنطق بحصة نالها. فليس لي ما أقوله سوى أن من يتأمل قليلاً في سيرة هذه السيدة الطاهرة، وفي محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بماتها وأحرام ذكرها بعد وفاتها، يدرك لأول وهلة ما نارت به من شخصية بررة ومن عالية.

كانت تريد عن النبي صلى الله عليه وسلم خمسة عشر سنة، ولكنه مع ذلك أنزلها من نفسه المكاة السامقة في الحياة، وحفظ جميل ذكرها

بعد الممات . فيا الله من تلك الجاذبية الشديدة والشخصية المألوية ،  
وهل استطيع بعد ذلك كله الا أن أختتم سيرتها العطرة بالحديث  
النبوي الجليل :

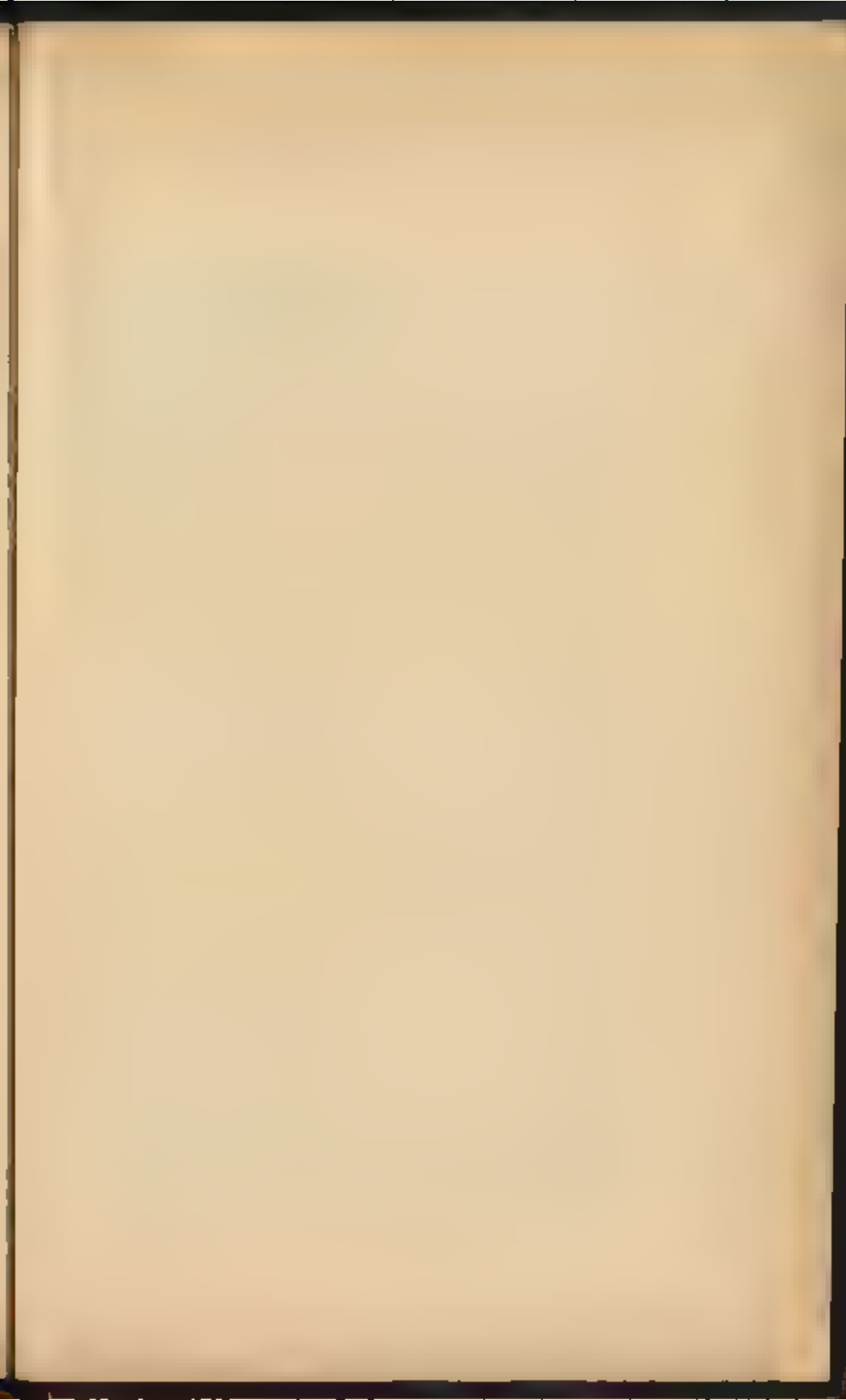
الوفاء من الإيمان ،



- ٢ -

السيدة عائشة

---



## الفصل الاول

- لاجل هذه السورة -

سيدته عائشة وهي بنت ابي بكر صديق من اعلام  
 فرات عزة وجاه واحد لا رمة له من اهل الرسول صلى الله عليه  
 في الامم وانه من رومن اباء من عومر الكبرية  
 بعد الرسول صلى الله عليه وسلم عليم في عالم الخلق من  
 انما هو روحه سيدته حديجة في ابا عبد الله الا انه مدح  
 في عهده لان من كان في عهده كان له اذن

\*\*\*

من فرات من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم تكن  
 طبعه في الدنيا وادبها وشون باسمها وبها بون سلطوته  
 ولا طبعه من هذا العصر ولا طبعه من حل فيهم كانت  
 في حقداء عليه وهو من شريرة نعمة او ان اسوء واكيد  
 واما ما جده في صلى الله عليه وسلم لانه ايام خضاب حربه  
 صلى الله عليه وسلم

في مثل هذا الوقت منسب في لا واهي اشديها  
 من الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الجاهل من  
 مداوه وصدقوا الله في حقه الكائن في سورة البركان

حتى أصبحت لا إقامة في مكة على هذه الحال مشقة ليس بعدها مشقة .  
 بدأ المشركون يباوئون رسول الله وأتباعه المقيمين في مكة ولا يدعون  
 وسيلة من وسائل الأذى والافتراق دون إيصالها إليهم ، وقد حرروا  
 كل ما في استطاعتهم من صفوف الكيد والادى ، لارجاع الذي عن  
 دعوتهم والحيلولة به بين رسالة الله إلى خلقه ، وقد كان كل واحد  
 منهم حريصا على منعه واستنصاه والمراعاه له أو يقدر على  
 ذلك . وقد دام الحال على هذا الوجه من الشدة والقساوة ثلاثة  
 عوام ، فتاب الصحابة مرة ومروا من الانحاء إلى المدينة  
 المنورة ، فساروا إلى دار السلام مهاجرين أرسلوا أحادا والأزواج  
 ومن الغريب أنه فيما كان المسلمون يملكون مثل هذا  
 لا يصرون في مكة ، إذا هم تكاثروا وحدث شدة في المدينة . وما  
 كانت الدعوة قد وسات كثير أسس للقبائل وآباء رسول كانوا  
 بكرم ووفاء المهاجرين في طريقهم إلى المدينة ويملكون لهم  
 المأونة والتمضية ، ولم تخلف من أبعه صلى الله عليه وسلم إلا  
 أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأبو بكر صديق قائما حينما  
 انقسموا على محبة الرسول

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقام به تنظرا مروره بالهجرة دون  
 أن يظهر ذلك وكان أبو بكر رضى الله عنه قد سحر له مهاجرة إلى  
 المدينة ونح على منى بأن يأخذ له بذلك فقال له :



« على رسلك وأنا أرجو أن يؤذن لي »

فاحتبس أبو بكر رسلك .

ولما رأته ريش ماضي أحناب رسول الله صلى الله عليه وسلم  
من صيب الخيل وحسن الخوارق الدنية والممونة ، حتى بذلتهم لهم  
القبائل حتى آمنت . رهبوا ذلك وحدهم وأخروا رسول الله وكان  
أحرف ما يجاهونه ، هجرة إلى المدينة فبقيت حوله عصاة من  
المؤمنين . يكوون قوة قوة إسلامية كبرى ، فاجتمعوا في  
دار الندوة كعادتهم وشروا في أمره فقر رأيهم على أن يحكموا  
من كل قبيلة شريراً فيملونه دفعة واحدة فيفترق دمه بين قبائل  
فاهربوا على ذلك . بعد أن أقام الدين احتاروم لهذا العمل  
على باب الرسول . ثم الكائنات ، في تلك الليلة

## الفصل الثاني

عن جبرائيل روح الامين ، فأنزلني مني الله عليه وسلم  
بقصد لك ركن . وانه امر المحبرة واصطفا . فذكر تسلي  
معه فقال النبي لعل بن ابي طالب كرم الله وجهه  
« سمعني فرأيتني روح بردي هذا طهرني الا حصر فيه »  
فانه من يخلص بك في ذكر الله »

ولما قصدوا على باب لذلك ، روح عالم مني الله تعالى  
عليه وآله وسلم ويده حقة من العراب ، فعمل نوره في رؤسهم  
وهو يسر سورة يس . و . . . . . في رؤسهم  
بعوهم وقد آداهم ربهم . . . . . في رؤسهم  
محمداً . قل لهم يحيى كاش . فخرج ، فله . . . . . في رؤسهم  
رجلا منكم الا وقد وضع رؤسهم في رؤسهم . . . . . في رؤسهم  
كما قال . ثم دخلوا من الرسوم وخرجوا من رؤسهم . . . . . في رؤسهم  
عليك عليه السلام مصححي بالرد ، فطوبوا في رؤسهم . . . . . في رؤسهم  
فبدوا جند متعبرين حتى صرح . فله . . . . . في رؤسهم  
وأوه قالوا بن محمد ، فأجابهم بقوله لا . . . . . في رؤسهم

وامسقط في يدهم<sup>(١)</sup>

ووراثته اجتمعوا لرسول علي هذا اوجه في نفوس مشركين  
وحقق لذلك وجوه فرائض فاجدوا فيه الرشد وسبب وطامعوا  
من بعده وبأبصارهم به ثمة رقة وهدى حرج لا يترارو وقفة في  
اقدم ائمة صلى الله عليه وسلم.

اما رسول صلوات الله عليه وعلى آله وسلم فقد اجتمع في  
من بعد روجه من بعده وفي يوم من اقبل نحو دار أبي  
سكر سيد بن محمد الصهر من بني هاشم في داره فاجتمع اليه  
الآل في الامانة فقام اليه ابو بكر حتى سجد عليه يقول

واعاهاهم اهلك قال

- قد شرف في الخروخ - وسأله ابو بكر

- وهل نامك؟ قال:

-

فبكي . بكر جند فرح وقال

- يا بني ما رسول الله خذ احدي رحتي هاتين

ففي رسول الله وسنة لا تفر واسنة حرا ابو بكر  
دعاه اليه راحته - وواحدة مكانه نحو - عة عمر . كاه

(١) يدل في ذلك قوله علي واد بكمركم الذين كفروا  
بستوك او يقتلوك ويحرقوك ويكرون ويكفر الله والله خير الماكرين

وفي ساعة معينة من ساعات المساء خرج الرسول فخر الكائنات ومعه  
أبو بكر الصديق رضي الله عنه واعتصموا به في جبل ثور على مسافة  
ساعة من مكة وما كانا يمانان به حتى أوحى الله إلى عبدك  
وسمعت خيولها على أنه وأنتاب ذلك يمانان به عشاً فوق حيوط  
القمح كوت وباصنا فيه .

وقد وصل القوم في مخيمهم عندهم إلى جبل ثور . وقاربوا المار  
ووصل جماعة منهم ، بينهم رجل يدعى أمية بن جندب المار ، فقالوا  
لبعضهم : لن ندخل هنا يا قوم . فأجابهم أريفة

ما استجفتموا لي . إن أمية قد سمعت خير بها ، قبل أن  
يولد محمد . وانظروا إلى نبيهم أو كتابهم . فرحت يمانان

فرجع القوم على أثر ذلك إلا أن أرسولاً وسديقاً كانا قد  
انصرا بأقدام قوم دقتم أبو بكر ذلك وقال

- لو أمانى ناس برسول الله لمانى ذلك أما واطقتك مصر

لا سمح الله فتهلك جميع أمتك

فقال له الرسول يريد سبيته

- لا تخزن إن الله مما .

وعند ما قفل القوم واحمين واتعدوا عن ما قال له الصديق

برسول الله وأن منهم ضابطاً بصره رأياً فقل :

- اسكت يا أبا بكر ما صحت يائنين الله ثلثهما ؟

مكث النبي صلى الله عليه وسلم وصديقه في "أمارثا" بيت  
عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو علام شاب فقيد بدخ من عندهما  
وقت - حر فيصبح مع قرأين مكة كتاب ، ثم يأتيهم حين يختلط  
الظلام ليجريهما ماحوال مريش وحر كانهن وكان على مقربة من جبل  
نور أحمد موالى الى بكر رعى الله عنه ، رعى قطيعا من الغنم  
في أيهما يحلبهما فيمديان به

ومعد ثلاث ساعه من ابدان بار حنين ورحلو أو أحدهم من صديق  
سواحد وما رآه كذاك حتى جاء موقفاً - حتى (فقد) ومروا على  
حده رجل يسمى ابو ... يدور كمن سوي روحه وأمه سوار دا  
عند ام ... ثم يسيروا ... شاك فظفر رسول الله صلى الله  
عليه وسلم الى شاة في حدهم وسأله من ... قالت  
- هي أجهد من ذلك عما حدهم ... ثم أجهد

فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح يده مرعها  
وسمى لله ودعا لها في شام ... حث عليه ودرت ودعا بااء راط  
الرهط شب وسقاها وسقى أصحابه وشرب آخرهم ثم ملاه وخادره  
عندها .

ولما عاد ابو معد الى خيمته ورأى الرهط سألها ما هذا قالت  
لأأدرى أنا حضر هنا رجل مبارك مسح يده ضرع شاة وهو  
قرأ بعض الادعية فدرت بك كما ترى ، فأجابها

لأنه وإن يكون في الأمر بعض الحكمة صلى له شكل  
هذا الرجل .

فوصف له صلى الله عليه وسلم وما رآه عليه من المنة  
والخلال فب هو صلى الله عليه وسلم من قرش أبي كنفه هذا  
فأباهه على الأبن



ولقد تعب حمه ومضاعف شتى ومخدرات هرات ووصف  
الرسول صلى الله عليه وسلم مربية (دود) العربية من مدينة  
النورة ، فلبث فيها بضع ثم خرج من وعاء الله وأنس  
مسجد قده وهو أول مسجد في دار الإسلام وهو مسجد  
قرية الأندلس الكريمة ثم تفرغوا في دارهم ثم أتاه  
الرسول صلى الله عليه وسلم في دارهم ثم أتاه  
ثم أتاه في دارهم ثم أتاه في دارهم ثم أتاه  
الرسول صلى الله عليه وسلم في دارهم ثم أتاه في دارهم  
الآن لا أذكر كنهه إلا أنه في بطنه من (دود) و (دود)

(١) هذه هي مدكنى مدروس عوف من الأندلس وقيل  
لست لرسول فيهم ربع عشر ليلة وقيل ثلاثاً وقيل خمسة وأهل مكة  
يقولون أن مسجدهم هو الذي أسس على التقوى

اول جمعة صلاحها بالمدينة <sup>١</sup> وحقها محطة بيعة قال فيها بعد أن  
حمد الله واثق عليه :

أيها الناس ان لكم معي فائزوا الى ممالككم وان لكم  
نهاية فائزوا الى نهائكم . ان تؤمن بين محادين ، بين عاجل قد  
مضى لا يدري ما الله صانع به ، وبين آجل قد بقي لا يدري ما الله  
قاض فيه . فليأخذ بيد من نفسه لهسه ، ومن دنياه لا آخرة به  
ومن شية قبل الكبر ، ومن حياة قبل الموت ، فالذي نفس  
تحمد ييده ، ما بعد الموت من مستغيب ، ولا بعد الدنيا من دار ،  
الجنة أو النار .

وبعد أن قرأ خطبة أخرى ركب يريد المدينة وكان كالحادي  
أومر على دار من دور الأمار اعترضه ورموا برماق بافته  
يقولون : هلم فارسل الله صلى الله عليه وسلم الى القوة والمنعة .  
فيقول لهم

— خلوا سبيلها لها مأمورة —

وقد أرحي لها رماقها وما حركها وهي تنظر بيناً وشمالاً  
والناس حولها حتى بركت حيث بركت على باب مسجدته ثم تارو  
وهو عيب . ففسارت حتى بركت على باب أبي أيوب الانصاري ، ثم

(١) ورد في كتب السير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتته  
ارصم مصلاه مسجداً وسمى مسجد الجمعة

انتهت بمكة وشمالاً ثم ثارت وركبت في مراكبها الاولى وألقت  
جراتها بالارض وأدركت منزل منها وقال هذا المنزل ان شاء  
الله تعالى

فاحتل أبو أيوب رحله وأدخله مكة . وعلى هذا الوجه  
الجميع أرضى الرسول جميعهم ولم يصنع حاطر أحدهم .  
ولم يهرح أهل المدينة بشئ . مقدار فرحهم برسول الله صلى  
الله عليه وسلم حيث صعد أرجاله . مساء يوم قدمه فوق البيوت  
وتفرق الغلمان والخدم في صرق ينادون . جاء محمد . جاء رسول  
الله صلى الله عليه وسلم .

وكان قرب المنزل الذي نزل فيه رسول الكائنات قطعة أرض  
قصيدة عام مسجداً وأبى فيه نفسه نقدة عرباً وكان أهل  
المدينة ذلك في ضوئ من - تردد لا يدعون سبيلاً من السبل  
التي هم مر - لا استكوه فآحى بينهم وبين المهاجرين ووجه  
في - لهم وقسمهم في أمواتهم وتروهم في قوتهم واتقوا لمكاره  
دوهم وصار أحدهم أرف سريره وأخيه في ليل من جهة في  
نسب وانحدوا ذلك الاحاء ولولا - خه وسبباً أعلى من  
كل سب

هذه نتيجة - فائمة . وهذه - فائمة حميدة اهتت تلك الحادثة  
الحاصلة في الاسلام . الهجره



## الفصل الثالث

( زفاف عائشة الصديقة رضى الله عنها )

عند ما وصل أهل إلى مكر الصديق رضى الله عنه إلى المدينة ،  
 رلوا في ( بنى الحوات بن الحارث ) وفي شهر الثامن من الهجرة  
 النبوية ، قام الرسول ومعه جماعة من الأئمة من رضى الله عنه  
 في المنار ، ودخل على السيدة عائشة رضى الله عنها وكانت هذه  
 الزوجة الثانية لما ركة من أرواح إلى ، عسارق الوعد الامير ، صديقه  
 حسناء ذات فضايلة وبصارة

واليك وصف حمدة رافدا من حديث لها قالت :

« تزوجني النبي صلى الله عليه وسلم فأنقذني أمي وأبي إلى  
 أرواحه ومعنى صواحب لي فأنقذنيهم إلا قدر ما يزيدني فأحدث  
 بيدي فأوقعتني على باب الدار ، فأسوة من الأصا في بيت  
 نفس على الخير والبركة وعلى خير صر فاستلطني اليه فدخل من  
 ثنائي فم يرمى إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم صحت فاستلطني  
 إليه وأما يومئذ مت سبع سنين »

(١) روى هذا الحديث البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وفي  
 هذا الحديث معان كثيرة من مستحب الدعاء بالخير وبركة نكي من

وكانت معها في الحجرة (سما) بنت عمر فحدثت نفوس  
 من يكن في ولجها سيدة عائشة من الطعام سوى قليل من اللبن ،  
 شرب الرسول بعده ثم مديده الكريمة بالاناء الى عائشة فخرجت  
 وم تداونه فقلت يا لاردي ما يعطيه لك النبي صلى الله عليه وسلم  
 وشرأتا به ما تقي .

على هذا النحو من الاسامة وصفاء وقلة الكاهنة ثم رواج  
 النبي نبوات لله عليه وسلم من السيدة عائشة الصديقة رضي الله  
 عن في الشر من من الحجرة .

كانت عائشة حبة صيرة ذات ملامح حنة وكانت في  
 عهد راحتي حتى في واثق واحدا كانت امة تقطع مدعى اتم مع  
 صو حبا . وهي في مكاه اعلى املها وانتهى امرهم واد  
 دارسوا من تنعيريه وسير مدخل عرفة اعلى حبر فداء ، و مستحيين  
 رفيقتهما وارس في حال ما السيدة عائشة برمت عرائسها على  
 مرأش وتسدت عنهم . نرى دعت الهواه المارز ومهرت  
 نرى لامد فرب الرسول منها وسأها ما هدد فقلت .

- هي هي -

فلا وحين وفيه سجدات سفياف العروس وريتها روحها واجتماع النساء  
 لذلك وفيه حور الريف من ر (المغرب)

وسلم مبتسماً.

وكانت أم المؤمنين عائشة، لبيبة وطنه، شاعرة، خطيبة  
يلقبها الرسول صلى الله عليه وسلم بأحيرة، ويحبها بحبة  
الكيدة، وكان من دواعي سروره صلى الله عليه وسلم أن يرصدها  
ويعمل مافيه سرورها، حتى توثقت محبته لها وازدادت مكانتها في  
قلبه الطاهر.

كان الرسول يصلح نمله ذات يوم وكان الحرف قد بلغ أشده  
فتنهدى حبيب الرسول والآلات فطرات المرق تندحرح على  
خده. وكانت السيدة عائشة وهي تسخن الدقيق تشهد هذا حل  
محيرة ووله فالتفت إليها الرسول يقول

- ماذا دهالك ؟

وأجابت :

- لوراك الشاعر عروسة زير لكنت المعنى بقوله يا رسول الله  
فسألها أي قوله دحأت حبي يقول :

فلوسموا في معراؤف خده لما بدلوا في سوم يوسف من نقد  
لوامي زليخا لوراين حبيبه لاآرن ما تقطع العلوب على الأيدي  
فترك الرسول ما بيده وطام اليها به لها من عينيها وهو يقول ما معاه :  
« ود سررتي ، سرك الله يا عائشة »

وقال لها الرسول ذات يوم وهو جالس عنده ( ما معاه )

أننى أعلم وقت فضلك منى حيث تقواين اذ تخلفين ورب  
ابراهيم ؑ اما اذا كنت راضيه عنى فتدعيني رب محمد ؑ فاحات  
أننى يا رسول الله اذا غضبت اعملت اسمك فاما حتى لك ولا تغير.  
كان النبي صلى الله عليه وسلم يقضى أكثر أوقاته بحجاب روحته  
المحبة عائشة. وكان الناس أملا فى الحصول على رضى الرسول  
يخرجون هداياهم يوم عائشة وكان الوحي يهزل عليه صلى الله عليه  
وسلم، وهو بحجابها، ولذلك كانت السيدة عائشة تشاركه فى تأثراته  
النورية اذ كانت واقعة على دقائق أحواله وحركاته وكل شأن من  
شئونه .

وقد شكازوجات النبي من نحرى أسمين يوم عائشة هداياهم  
فاحتمن الى أم سلمة التى تقدمت بذلك الى الرسول ورجته أن  
يخطر الناس بذلك فقال لها :

« لا تؤذوى فى عائشة فانه والله ما دل على لوى وأنا  
فى حلف امرأة منك غيرها »

لم يئأس أم سلمة من هذا الاخطار سوى، بل عادت الى  
محقق أمها وتوسست هذه المرة بفاطمة لزهراء التى جاءت الى  
ابها تخبره بذلك الا أن الرسول صلى الله عليه وسلم سألها هل  
تخبين من أحبه، وما ردت عليه بالاجاب قال لها ادن أحبي عائشة  
قد كانت لعائشة منزلة سامية فى نفسه حتى كان صلى الله

عليه وسلم يقول لزوجته اظهريه أن حبه لها كالمرورة الوقتي  
لا انفصام بها . فكانت السيدة عائشة تسأله من حين لآخر ، اطمئنا  
على مكانة هذه المحبة فيقول : كيف حال لمرورة يا رسول الله فيحبها .  
إنها على حالها لم تتغير ولم تبدل . وقد أثرت تعاليمه العالية في  
نفسها الكريمة وحدث منبتاً صالحاً حتى نشرته في السبل مبادئ  
للهد والقباعه فكان عروة بن الزبير يقول عنها

درأيها تصدق بمائة ألف درهم في سبيل الله وهي في  
بعض خلق ، وأخرج من معدن صريق أم درة قال :  
— « أتيت عائشة نائه ألف مرفقها وهي يومئذ ثقات  
لها أما استطعت بما أنفقت في نشره بذره حياءً فطرن عليه  
فقلت لو كنت أذكرني أفعلت »



السيدة عائشة مميزة صفة وشرف وحلال بين محبذات  
الأمم الاسلامي ، سم تنوهر لسواها من السيدات وهن كانت أدبية  
لبية عامة ، خطيبة شاعرة ، من أفقه الناس وأعظم الناس ، وأحسن  
الناس رأياً في العامة . وعنها يقول عروة بن الزبير  
« ما رأيت أحداً أعلم بعقده ولا بهاب ولا بشعر من عائشة »  
بله من فخر فخره السيدة عائشة ، تلك التي استطاعت في فترة  
كبيرة من حياة لرسول الشريفة أن تدخل عليه المرور والراحة

وتعمر قلبه بالغبطة والانس - كانت امام عبيد الشر يفتير النمثال  
الحسب للسعادة. وما كان ينفصها في حياتها تلك الا ان تكون اماثلا  
تحرم من انشكى باسم طعنها الا ان خرا الكائنات لم يدع سيلا  
الى غمها من هذا القيل فكنه بان اخنها عبد لله بن الزهير  
اذ كان قد درج في البيت السوى وشب بين احضان المائلة  
النبوية المطهرة .

افتنى الرسول بمصالحها المتارة فقه في قبه الطاهر بحبها حتى  
كان انس بن مالك يقول اءول حب طهر في الاسلام حب الرسول  
صلى الله عليه وسلم وم المؤمنين عله امام المؤمنين فكانت  
نشأته هذا الحب وتقول فاب على الله الرسول صلى الله عليه  
وسلم نعتى فذكرت بحى جدر من بصورتها ، ثم قالت ولم يكبح  
بكر أعبرى ولا امرأة او اها مهاجران عبرى . وانزل الله وانى  
من السهاد ، وكان يزل عليه الوحي وهو معى وكنت اعتدل اء  
وهو من اء واحد ، وكان يعلى وانا معترضة بين يديه وقدس بين  
سحرى وبحرى في بقى وفي بلى ، ودفن في بقى

كانت من احب خلق الله اليه هى وابها الصديق . كيف لا  
وقد اصابت حياة الرسول بمهم وجمال بمسها حتى صارت اخوهرة  
للأمة في عقد تلك الامم السعدمة الماركة فقد كانت تاج الفجار  
في زمانها وحريرة السرور لسيد الكائنات : فطوى لتلك النفوس

العدالة التي نترك أرقام السعادة والانس والعناء في محيطها التي  
تعيش فيه وفي الاحياء التي تشاركها والاشياء التي تلامسها ولقد  
نظر ذري تلك النفوس خائفة بعد زوال رسومها ، لمصور لنا  
جلال « الماضي » وسمع في صورة « الحال » روح الخيال .



## الفصل الرابع

(حديث الافك)

في هذا الحديث وما أورل الله في شأنه عصاة، ذكرى قومه

يعتقلون

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة له مع قبيلة بني  
المصطلق في حجة (أقدر) على مقربة من آبارا صريحا، وكان  
معه من نسائه (١) ليلة عاشية السدقة رضى الله عنها، ولما  
قهر وهو من المدينة، ذكر رسول ليلة بالرحيل وكان اليد  
عاشية محمولة في هودج. إذ كان آية الحجاب قد رأت،  
فقامت حين آدر بالرحيل ومثت قصاصها حتى حوت  
الحش. فلما أصت مر شام، أفت إلى لرحيل ولما لبث صدرها  
هذا عقد لها من جرع (٢) قد انقصه فرجعت لئلا عقد لها وحسبها  
أتمه ودفأ قبل الرهط لئلا يكون رجليها، فاحملوا هودجها  
فرحلوه على نهها الذي كانت تركه، وهم يحسبون أنها معه وكان

(١) كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرا أفرغ بين  
أرواحه فأبى حرج سهمها حرجها معه (المعرب)  
(٢) فتحت الحش وسكون الذي حرر فيه سواد وساب



النساء اذ ذاك خفافا فلم يستكر القوم حين رفقوا ، خفة اليهودج  
فاحتملوه وساروا ووجدت السيدة عائشة عقدها بعد ما استمر  
الجيش ، فحالت منزلهم وليس فيه أحد وتيممت منزلها الذي كانت  
به وطلت أهنم سبعة دوا وبرحمون اليهم ، فبينما هي جالسة عليها  
بينهاها فنامت

وكان صفور بن العيص المسمى قد عرس من وراء الجيش  
فأدبج فأنصح عند منزلها ، قرأى سوادا سان قائم ففترب منها  
وعرف ثم المؤمن حين رآها حيث كان يراها بل نزول آية  
الحجاب . وبنية همت السيدة عائشة فاسترجاعه حين عزمها ، وخمرت  
وجهر ، فحبه ، فأنهم به حقيقة لا مرموى حتى أصبح راحته فوطى .  
هلى يذبحها فركم ، واهق فودها الراحلة الى ان أتيا الجيش

ه . يبدأ حديث الافك . وفي هذا الحادث أخذ أصحاب  
الافك يبهضون ككاشات ه . أوهم السببه وكان أشدهم نقفا  
وأكثرهم حوصا ، عبد بن أبي سلول ومن استحابة حسا بن  
سبت ومسطح بن ثمة وغيرهم . وهذال الدس هذا الحديث  
وشاع في الأندية حتى سمع مسمع الرسول صلى الله عليه وسلم وأبا  
بكر الصديق رضي الله عنه وأم رومان والدة السيدة عائشة  
وكانت السيدة أم المؤمنين لم تسمع بعد ما بعرض فيه الناس حيث  
ما كانت تصل المدينة حتى لزمت فراشها حتى أصابنها وقد رابها

في وجهها أنها لا ترى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف الذي  
كانت تراه منه حين تشتكي انما كان يدخل فيسلم ثم يقول  
- كيف تبيكم ؟ ثم ينصرف

كانت هذه المعاملة نزيه السيدة أم المؤمنين، ولا تشعر بالشر  
حق نعمت، تخرجت هي وأم مسطح قبل المناسم، وهو متبرزهم  
وكاوا لا يجرحون الا ليلا وذلك قبل تخاذ الكف قريبا من  
اليوت، فأقلت هي وأم مسطح حين فرغا من شأنهما بمشيان،  
فعنرت أم مسطح في مرطم فقالت

- نعمس مسطح . فقالت لها السيدة عائشة

- بنس . ففت أنسبين رجلا شهد ندرا

فقلت :

- يا هتاه ألم تسمى ما قال ؟

فسألها السيدة عائشة ما قال . فأخبرتها بقول أهل الاءك

فازدادت مرصا على مرصها ولما رجعت الى البيت ودخل عليها

الرسول صلى الله عليه وسلم وقال لها كمادته

- كيف تبيكم .

قالت له :

- أناذن لي ان آتي ابوى

---

(١) تبيكم بكسر التوقية إشارة الى المؤث مثل (ذلكم) فعد كر

فأذن لها الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولما أنت الى بيت  
أبيها قالت وهي ترتعد :  
— يا أمنا ما اذا يتحدث الناس به  
فقلت :

— يا بنية هوني على نفسك الشأن ، هو الله اقل ما كانت امرأة  
قط وصيثة عند رجل يحبها ولها امرائر الا أكثرن عايبها .  
فقلت :

— سبحانه الله وقد تحدث الناس بهذا ؟  
ثم بكى السيدة عائشة تلك الليلة حتى نسحت لا يرقأ لها  
دمع ولا تكتحل بنوم وكان ابو بكر رضى الله عنه اذذاك في  
في الطابق الاعلى مشغولا تلاوة القرآن فما كاد يسمع بكاء ابنته  
ونوحها حتى نزل اليها وطلب خطها قائلاً .  
— صبراً يا بنية عسى أن يرسل الله في شأنك آية

وقد زاد من حيرتها كتمان الامر فيها ، فاداد مرضها  
حتى أصبحت لا تستطيع القيام من فراشها  
ولما بلغ الامر الى رسول الله عقد مجلساً من أهله وأصحابه  
المقرين ، يستشيرهم ، وكان بينهم ( علي بن أبي طالب ) و ( أسامة  
بن زيد ) وسيدنا عمر وعمار وغيرهما من كبار قريش ودهن  
السيدات ، وكان من عادة الرسول أن يعقد مثل هذه المجالس

الله ائولية كلها وضحت ان ضرورة بذلك . فاما ائسامة فأشار عليه بما يعلم  
من براءة أهله وبالندي يعلم في نفسه من اود لهم فقال .  
- هم أهلك يا رسول الله ولا تدرهم والله الا خيرا  
واما على من أنى طالب كرم الله وجهه فقال :  
- يا رسول الله لم يصيق الله عليك والدماء سواها كثير  
وسل الجارية تصدقك .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريدة فقال  
- أي بريدة هل رأيت فيها شيئا يريبك ؟  
فقات له بريدة

- لا والذي بعثك بالحق نبيا ن رأيت منها الرأفة فمضت  
عليها اكثر من أنها حارية حديثه الحسن تنم عن محبة أهلها وتأي  
الداجن " فتأكله

أما سيدنا عمر الاماروق فقد أحب بوقرودة ما معناه  
أن السرور قد تروح عائشة بأمر الله وأنه لا يريه شيء من  
عائشة وقال عن ان هذه الاشاعة من اهل المنافقين وأنه  
لا يصدق شيئا من ذلك، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من  
يومه فاستعذر من عبد الله من أبي مبول قال وهو على المنبر .

- (١) أمهمه بفتح الهمزة وكسر الميم وباعداد المهمة أى أعينها به
- (٢) الداجن المهمة والحلم الشدة التي تالف البيوت ولا يجرح الى المرعى

« من يمدني من رجل بلغني أداء في أهل بيتي، فوالله  
ما علمت في أهل الأخير أو لقد ذكر وأرجلا ما عمت عليه شرأوما  
كان يدخل على أهل الاممي »

فقام سعد بن معاذ أحد بني عبد الأشهل فقال  
- يا رسول الله أ، والله عذرك منه ان كان من الاوس  
ضربنا عنقه وان كان من حوالة الخرج أمرت بقتله فبني أمرك  
فقام سعد بن معاذ وهو سيد الخرج وكات أم حسان بنت  
عمه من ثده وكان رجلا صالحا ولكن احتمته احبيه فقال لسعد  
بن معاذ -

- كذبت امر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك  
فقال ما سيد بن حضير وهو ابن عم سعد فقال معاذ احمد بن  
عبادة

- كذبت - امر الله انقبضه فانك مدين بخود عن الله ومن .  
وتنادر الحيز، لأوس و خرج - حتى هموا أن يقتلوا - ول  
الله صلى الله عليه وسلم قائم على الميراث، ثم يزل بمحضرهم حتى سكتوا  
وسكت .

ولما وصل الحمر الى اسبدة عاتشة سكنت يومها ذلك ، لا  
يرقأ لها دمع ولا تكتنح بدمع ثم تكب يداها المقلدة فأصبح عندها  
أبواها وقد اكبت بيتين وروى حتى صت ان البكاء فاق كبدها

وبينا أبوها عندها وهي تبكي إذ استأذنت امرأة من الانصار  
فأذنت لها فجلست تبكي معها، وبينما هم على تلك الحال، إذ دخل  
رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسلم ثم جلس ولم يجلس عندها من  
يوم قبل لها ما قبل وفد مكث شهراً لا يوحى اليه في شأنها شيء  
فتشهد رسول الله حين جلس ثم قال:

- أما بعد يا عائشة ما بالي بك كذا وكذا فركنت بريئة  
فسيرت لك الله وإن كنت ألمت بذنب فاستغفري الله وتوبى إليه  
قال البعد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه  
فلما قصي رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامه استمضى دمها  
لاستعظام ما بعثها من الكلام وقالت لأنيها .  
- أحب مني رسول الله صلى الله عليه وسلم فما قال .

قال أبوها ؟

- والله ما أدري ما أقول رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فالتفت لأنيها تقول مثل قولها إلا أنها فأجابها كما قال سيدنا  
أبو بكر الصديق رضي الله عنه . ولتفتت أذاك يا سيدة عائشة  
وأجابت بقولها

- إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ما نحدث الناس به حتى  
استقر في بفسكم وصدقتم به فلئن قلت إني بريئة والله يعلم إني  
لبريئة لا تصدقوني بذلك ولئن اعترف لكم بأمر والله يعلم إني

عنه بريئة لتصدقني فوالله ما أحد لي ولكم مثلاً إلا إيا يوسف  
أذ قال : فصبر جميل والله المستعان على ما تصهرون

وبعد ن أتمت مقالتها تحولت و ضلجمت على فراشها وهي  
تعلم انها بريئة وارا الله ميرتها يبرائها وقد حدث ما كانت ترجوه  
فان الرسول صلى الله عليه وسلم ما فرق بمجلسه ولا خرج أحد  
من أهل البيت حتى أنزل الله عليه الوحي ، فأخذه ما كان يأخذه  
من البرحاء (١) حتى أنه ليتحدر منه مثل الجن (٢) من العرق  
في يوم شات (٣) من ثقل القول الذي أرل عليه ثم سرى عنه  
وهو يضحك . وكان أول كلمة تكلم بها قال :

- ابشري يا عائشة أما الله فقد برأك -

فقلت لها أمها فومى اى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجاب  
- لا والله لا قوم ولا أحد الا الله هو الذي أرل برائي  
وكان ما أنزله الله من وحل وان لدين جاء واما لاهك ، سبة مسكم  
العشر الآيات من سورة البقرة في برمة السيدة عائشة وقد أراد  
الرسول صلوات الله عليه أن يأخذ بيد عائشة ، الا انها رفضت  
محتدة ، حتى انتهرا ابو بكر والدهاء اما الرسول وسار من وقته  
الى المسجد وجمع اصحابه الكرام وقرأ عليهم خطبة جامعة وتلا  
عقبها سورة النور

(١) لشده والصيق (٢) المونو (٣) شدة الرد

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يمشي على مسطح  
بن أثانه « امرأته منه وفقره . فقال . والله لا ألق على مسطح  
شيئا أبدا بعد ما قال له انشأ ما قال « نزل الله تعالى . لا ولا تأكل  
أولو الفضل منكم والسعة « الى قوله « غفور رحيم » فقال أبو بكر  
- لي اني والله لا أحب ان يقر الله لي  
فأرجع الى مسطح ما كان يفتقه عليه . وجمع الرسول عقب  
نزول آية البراءة أصحاب الاطك وأمر محمد للقدف .

\*\*\*

قد سبب عقد المدينة حادثة هذا ، وبلا وقالا ، حتى لم يبق  
أحد لا يعرف قصة هذا العقد الكون من احجار النين ، وكانت أم  
الؤمنين عائشة مع رجال الحبش من غزوة احري فزلوا في موقع  
قريب من المدينة يدعى ( صاعل ) فهقدت عقدها مرة ثانية  
فأهزم الرسول بالامر وأوقف جميع القافلة للتحري عنه ، مع أنهم  
كانوا في موقع قاحل لا ماء فيه ولا نبات ، فعطش رجال الحبش ولم  
يجدوا ماء للوصو ، ولحقهم كرب شديد وقد بحثوا كثيرا دون  
جدوى حتى اضطروا للقيام لا ان أم المؤمنين ضرت عاينه تحت  
راحلتها " فغضب رجال القافلة وشكوا ما لحقهم من الضر الى  
أيها اني بكر الصديق رضي الله عنه . فاستغفرت له الحية وقام من  
(١) السيرة الحلبية



فوره يعهدت لرسول ليهر ابته وليصع حدأحوادث العقيد .  
 تلك الحوادث التي فتكررد ونوحب الاضطراب . وما كاد يصل  
 حيث يريد حتى وحد لرسول نفا على ركة الله أم المؤمنين  
 فترب منه . او بادرها بالتوبيخ وقارص الكلام وهي ساكنة .  
 لا تبدي ولا تبيد ، احتراماً للرسول صوات الله عليه وسلم وهو  
 في تلك الحالة . لا ان الرسول سرعان ما نشر اما بكر نزول آية  
 تميم وعندها تلاها على اصحابه الكرام فلهوا زابى زولها  
 هو أبو بكر رضى الله عنه .

من أحب انساناً أحب حبيبه ففي جيداً زنت تلك العقود  
 المصنوعة من حرج لبيس . ولكنها كانت أمتعة للريفة ، ليس لها  
 أثر من ذكرى التاريخ ، فظلت مهمة الذكرى صحائف الحوادث  
 قد تكون لالحلى أيضاً درجات من الميرة قدر ما يكون  
 التفرات والمشاعر من الأهمية بالنسبة لموقع صحتها في الحياة ان  
 حوادث أيامها من الأهمية والمكانة بقدر الاهتمام لدى يذله اصحاب  
 هذه الحوادث فحواها . فمقد السيدة عائشة كان حنية ذات قيمة  
 بقدر امتياز السيدة نفسها وخطرها في الحياة والا لما كان شغل صفة  
 كبيرة من التاريخ الاسلامي

## الفصل الخامس

### ( حجة الوداع )

قد رآه ما كان بين الرسول وزوجته من الحناء بسبب حادثه  
المنه، فماتوا في انس عميق وراحة حقيقية . كانت السيدة عائشة  
الانيس الوحيد لروح الرسول ولم يتور عنه له الدنى شائبة في وقت  
من الاوقات لم تند سحابة واحدة في سماه سمادتها ، منذ السنة  
سادسة حتى الحادية عشر من الهجرة فقد وقعت حيايتها في سبيل  
الرسول ونقلت ذنوبها وودت ماها في صديق الدين وفي  
سبيل ابصاله الى درجة الكمال

اما لاسلام فكان آحدا في الانشار والشيوع بسرعة  
مدهشة محيرة للعقول وكان ارضه الطيبة التي يهدده المراء  
بالعربية في رض خصبة لا تلبث ان يرق ريحها اعطار مع الريح ،  
كذلك لاسلام كان يديم ويشيع في مستدي الممالك والامصار  
ويستولى على القلوب فيشتد هودا وتشبثا يوما بعد يوم .

كان لا يرحمه اثر سحري ، تحذب القلوب ويأسر النفوس ،  
فيكبرها برواها وثيقه لا ينفصم عراها . فاحذ عدد الاتباع يرداد  
بسرعة تفوق حد الوصف وخاصي اعمار مروا عديدة في سبيل

تأييد كلمة الله ، خرجوا منها ظافرين غاعين تخفق فوق رؤسهم  
ألوية النصر

رسمت عقيدة الاسلام في تلك القلوب الصافية وقوى  
أيمانهم فاندفعوا بقوة الى الأمام يحطون ما يترص سبيلهم من  
حواجز وموانع

ووقفت المدينيات القديمة حيرى ، أمام هذه العقيدة الجديدة ،  
لا تبدي ولا تعيد ، ثم مالئت أن طأطأت لها الرأس ومدت لها يد  
الاخلاص والأمان . كان التيار جارفا فلم يستطع أن يقاومه الا  
القليلون

في مثل هذا العهد الزاهر من الدعوة الاسلامية ، أي في السنة  
العاشرة من هجرة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ، أعلن  
الحادي ، نفي الكائنات أتباعه أنه سيزور مكة المكرمة لأداء  
فريضة الحج فتوافدت القبائل والعشائر من الجهات زراعات ووحدانا  
على المدينة المنورة ، ينتظرون اليوم الموعود . ولأيام ثلاث خلون  
من ذى الحجة خرج الرسول صلى الله عليه وسلم الى الطريق بعد  
صلاة الظهر ومعه أهل بيته وأصحابه وأربعون ألفا من حجاج  
المسلمين ، فوصل مع هذا الجمع الحاشد الى مكة المكرمة في اليوم  
الرابع من ذى الحجة وبعد أن انتهل لرسول صلى الله عليه وسلم الى  
دبه وطلب المغفرة وحسن المآب تقدمت اليه القبائل الرافدة من

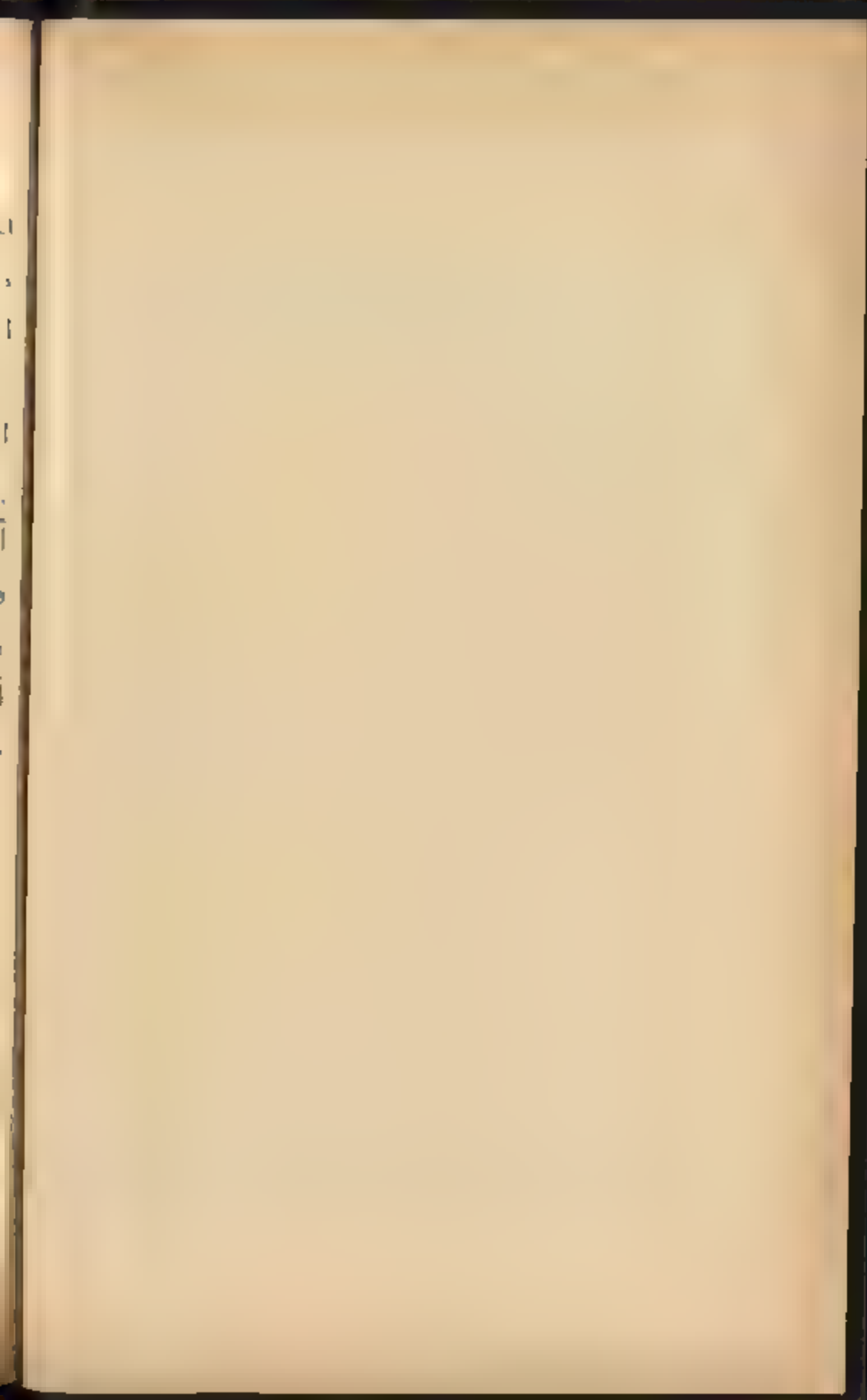
الجوار الأخرى فأدوا الجميع فريضة الحج

لاحظ الرسول أثناء سفره أن البعير الذي يحمل هو دح السيدة عائشة يسير بمرعة كبيرة تغطي جسمها ولقطة أحمالها، بينما كل البعير الحامل زوجة الأخرى السيدة صفية، يسير بصحبه وهوادة لسانها ولكثرة أحمالها فامر الرسول بأن يتقل حملا السيدة عائشة إلى رحل السيدة صفية وأحمال هذه إلى رحل الأخرى جاء إلى عائشة يستمعها لهذا العمل فعميت من دحم وكنات قلبية فلم يجاوزها الرسول إلا أن حادثة وصت مسامعهم وكرومهم ونحو ابنه وضع حدها كما كاد الرسول صلى الله عليه وسلم يري بعد المماثلة إليه حتى أحسد صديقه فأحاله أنه سمع ما قالته لك فأمره بخر الكائنات أن الذي دفعها إلى ذلك هو عزمها وأن المرأة إذا عارت لا تدري ما تقول بل يكون القول جرافا . وكان يوم عرفت يوم اخمة فأدى الرسول فريضة الحج مع مائة ألف ونيب من المسلمين وعقب الصلاة حلقهم هذه خمسة أبيات

و الحمد لله حمده واستغفبه واستغفره وتوب إليه ونعوذ بالله من ضرور أعسنا ومن سيئات عماسنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأحجم على طاعته وأستفتح بالذي هو خير . أما بعد أيها



مكة المكرمة



الناس ، اجمعوا مني أيمن لكم ، فاني لا أدري اعملى لآلئكم بعد ما بي  
 هذا ، في موقفي هذا . أيها الناس ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم  
 ان أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في  
 بكم هذا ألا هل بلغت اللهم أشهد . فمن كانت عنده أمانة فليؤدها  
 من ائتمنه عليها ، وأن رما الجاهلية موصوع ، وأن أول رما أبدا  
 رما عني العباس بن عبد المطلب . وأن دماء الجاهلية موضوعة وأن  
 أول دم تبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب .  
 ون ما أثر الجاهلية موضوعة غير السداة أو السقاية . والحمد لله (١)  
 وشبه العمدة ما قل بالعصا والحجر وفيه مائة يعبر فمن زاد فهو من  
 أهل الجاهلية . أيها الناس ان الشيطان قد يئس أن يصد في أرضكم  
 هذه ، ولكنه قد رضى أن يطاع فيها سوى ذلك مما تمحرون من  
 أعمالكم . أيها الناس ان الذي زيادة في الكفر يضل به الذين  
 كفروا ، يحلون له مآما ويحرمونه عاما ليواضئوا عدة ما حرم الله ، وان  
 الرمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والارض . وان  
 عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق  
 السموات والارض ، منها أربعة حرم . ثلاثة متواليات وواحد فرد  
 ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان ،  
 ألا هل بلغت اللهم أشهد بها الناس ان لئسكم عليكم حقا ، ولكم

(١) القود القصاص ، أي القاتل صدأ يقتل

عليهن حق : لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن  
أحدكم تكرهونه بيوتكم إلا باذنكم ولا يأتين بفحشة ، فإن فعلن  
فإن الله قد أذن لكم أن تمضواهن ونهجنهن ونهجنهن في المضاجع وتضربوهن  
صركاً غير مبرح ، فإن انتهين وأطمعنكم فعليك رزقهن وكسوتهن  
بالعروف . وأعدا النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً  
أخذتموهن بأمانة الله ، أو أخذتموهن فروجهن بكافة الله ، فاتقوا الله  
في النساء واستوصوا بهن خيراً ، ألا هل بلغت اللهم اشهد أيها الناس  
أنا المؤمنون أحوة ولا يحل لامرئ أن يأخذ أخيه إلا عن طيب نفس  
منه ، ألا هل بلغت اللهم اشهد . فلا ترجمن ممدى كفاراً ، يضرب  
بعضكم رقاب بعض ، فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا  
بعده : كتاب الله ، ألا هل بلغت اللهم اشهد . أيها الناس ربكم  
واحد وإن إياكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، أكرمكم  
عند الله اتقاكم ، وأيس امرئ على عصى فضل إلا ، تقوى ألا هل  
بلغت اللهم اشهد . أيها الناس إن الله قد قسم لكل وراث نصيبه  
من الميراث ولا يجوز لو أرت وصية في أكثر من الثلث والولاء  
للغرائس وللأعاهر الحرة ، من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه  
فعلية لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا  
عدل والسلام عليكم ورحمة الله



عند استماع جمع حاشد من المؤمنين هذه الخطبة وكان عددهم كبيراً ،  
فلا يصل صوته المبارك الى جميعهم فأخذ ربيعة بن امية أحد أصحابه  
الكرام ، يكررها عليهم بصوت جهوري

وبعد الانتهاء من الخطبة أذن بلال ثم أقام صلوات الله عليه  
وسلم الصلاة وصلى الظهر ، ثم أقام فعلى المصروفي . . . ذلك اليوم  
أرسل عليه قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم » وأنعمت علىكم  
نعمتي ورصيت لكم الاسلام ديناً . . . قالوا ولما نزلت هذه الآية  
علم أبو بكر يقرب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فبكى .

وبعد أن خطب الناس وأتى على جماعة المسلمين اصباح  
عبدية سواه ، أتى مكة أم في طريقه الى المدينة أبانم صلى الله عليه  
وسلم وهو في موقع قريب من المدينة بقرب صموده الى الرفيق  
الاعلى وعند وصوله الى المدينة ، مرض الرسول مرض الموت  
وأول ذلك أنه خرج من جوف الليل الى البقيع فدعا الأموات  
واستغفر وتضرع كالودع وأصبح مريضاً من يومه .

ولما رجع من البقيع وحده السيدة عائشة تتوجع من صدام  
لحم برأسها وهي تقول :

— « وارأساه . »

فقال لها الرسول :

— ذلك لو كان وأناحي فاستغفر لك وأدعوك

وقلت :

- واتكئنا والله اني لأطعنك نحب موتي ولو كان ذلك  
لظلمت آخر يومك ممرسا ببعض أزواجك  
فانضم الرسول وبذلك تمكنت من ادخال بعض السرور  
على قلبه .

وكان بين يديه ركوة أو علية فيها ماء فكان يدخل يديه للماء  
فيمسح بها وجهه

كان الرسول هادئا - اكثرا في أشد أوقات مرضه ، ينام باعثا  
منمضا ثم لا يلبث أن يفتح عيديه الشريفتين فيمدعو ويستغفر  
وكانت السيدة عائشة تلازمه على الدوام ولا تفارقه لحظة واحدة  
وكان وهو على ركبها يسمع بلالا مؤذنا للصلاة فيقوم بنفسه  
بحرجه وطافته يصلي بالاس ولما اشتد عليه وطأة المرض ، وكان ذلك  
قبل وفاته بثلاثة أيام ، عجز عن الخروج الى الصلاة واجتمع الناس  
في المسجد وأذنوا بها فهم بالخروج فعجز فقال : ( مروا أبا بكر  
فليصل بالناس ) فعلى بهم أبو بكر رضي الله عنه حتى اذا كان اليوم  
الثاني عشر من ربيع الأول والواثنون صفوف في الصلاة كشف  
رسول الله صلى الله عليه وسلم سترة الحجرة فنظر اليهم وهو قائم  
كان وجهه ورقة مصحف ثم تبسم ضاحكا فبیت الصحابة وهم  
في الصلاة من شدة ما نالهم من الفرح بخروج رسول الله صلى الله

فيه وسلم ونكص ابو بكر على عقبيه ليصل للصف وطئ أن  
الرسول حارح للصلاة فأشار اليهم بيده الكريمة أن أموا اصلاتكم  
وعند ما دخل الرسول صلى الله عليه حجرة عائشه في يومه ذلك  
ثم متمددا واضعا رأسه للشريفة على فخذه ولما جاءه جبريل يستأذن  
ال دخول عزرائيل عليهما السلام فتسلى عليه ثم أوقها شخص  
بصره الى سقف البيت ثم قال اللهم الرفيق الاعلى فأنتم للملك  
أراده ورفع تلك الروح العلية الى أعلى عاين ، حيث الرفيق  
الاعلى وهي في حضن زوجه ام المؤمنين وما كادت تشر بذلك  
حتى أجهشت في البكاء .

## الفصل السادس

عند ما توفي رسول الله صلى عليه وسلم ، كانت أم المؤمنين عائشة في الثامنة عشرة من سنن حياتها ، فأنزوت في كسر دارها مع حواربها تقطع مراحل العمر في هدوء وسكون وتفي دقائق الحياة في تلاوة القرآن وعادة الديان .

كانت على جانب كبير من الذكاء ، تلم بمسائل كثيرة من الفقه كما أنها على نصيب وافر من سائر العلوم كانت أحب زوجات الرسول وقضت معه شطراً كبيراً من الحياة فلا غرو إذا وعت في حافظتها ما كانت تسمعه وتراه من ضروب الأحكام الدينية والمعاملات الشرعية ولا عجب إذا رأينا السحابة وعيون الانصار يتخذونها المرجع في أحكام الدين ومسائل الشرع الشريف ، وقد ضربت دهم وافر في المناوي الشرعية ، فكانت إذا ذكرت أمام (عطاء بن أبي رباح) قال

« كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأياً في العامة » ومنها يقول عروة : « ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة »

بلغت الاحاديث التي روتها السيدة عائشة ألفين ومائتين

حديثاً وعشر . من ذلك مائة وسبعون حديثاً أجمع الاتفاق عليه  
وأخذ منها البخاري أربعة وخمسين حديثاً

أما فضلها وحسن رأيها فيكفي أنها كانت المرجع لأمثال  
عمر ومن اليه من فحول الصحابة أما وصاحتها فيكفي أن يزيها  
مثل معاوية بقوله « لم أسمع خطيباً أبلغ ولا أفصح من عائشة »  
وقال بن قيس : « سمعت أبا بكر وعمر وعلياً وعثمان بن عفان فلم  
أجد في أدوالهم الحرالة والمذوبة التي تفرق في كلام عائشة »  
وكانت تروى الشعر وتعلم وقائع العرب وحروبهم وسيرهم حتى أنه  
ما كان ينزل بها شيء إلا اشددت فيه شعراً وفي حديث الذي  
صلى الله عليه وسلم عن أبي موسى أنه قال : « فضل عائشة على  
النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » وعند ما أسس سيدنا عمر  
بن الخطاب ديوان بيت المال في زمان خلافته وخصص مرتبات  
سنوية أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم فكان يعطى كل  
واحدة منهن عشرة آلاف درهم إلا عائشة ، فقد جعل لها اثني  
عشر ألفاً . وقد عارض بعض الناس في هذا الامتياز الصادر من  
وجل العدل عمر ، دون أن يجهروا العرض منه وسألوه عن السبب  
فأجابهم : « ذلك لأن عائشة كانت محبوبة الرسول »

أما هي فكانت تبذل مالدنيا من مال ونصيب في وجوه البر  
والخير وتهوين حاجات أهل الموز والمساكين ، وفي سبيل إعلاء

### كلمة الدين

كانت تزور الكعبة في كل عام ثم تعود الى المدينة فهذه  
الزيارات التي دامت الى السنة الرابعة والثلاثين من الهجرة هي  
فترات الحركة في حياتها الساكنة فقدمت أيام حياتها على نسق  
واحد من النظر في شئون الخير والاحسان ومن التفرغ الى  
المبادات وحل ما يستعصى على المسلمين من الاحكام والمعاملات  
كان لأهل المدينة عاصفة حب شديد واحترام عميق نحو  
شخصها المحبوب اذ كانوا يقدرون ذكائها ويأهون بحسن رأيها  
وبرون في زوجة الرسول الممزقة بين ظهرانهم ، الذكرى الخالدة  
التي تذكرهم بأيام السعادة

---

## الفصل السابع

( وقمة الجبل )

كانت عائشة ( رضى الله عنها ) قد خرجت من المدينة الى مكة ، ليالى حوصر عثمان بن عفان ، ثم رجعت من مكة الى المدينة . فلقبها فى الطريق ، عند موقع يقال له ( المرف ) بعض أولاد خالها ، وهو عبيد بن أبى سلمة ، فقالت له  
- ما وراءك ؟

فقال :

- قتل عثمان .

قالت :

- فاصنع الناس بدمه ؟

أجاب :

- بإدموا عليا

قالت

- ليت هذه انطبت على هذه ، ان نم الامر لصاحبك

ثم رجعت الى مكة وهى تقول

- قتل عثمان والله مظلوما والله لا يطلبن بدمه

فقال لها الرجل

- لا والله . ان أول من أزال حروفه لانت والله لقد  
كنت تقولين اقتلوا نمثلاً فقد كفر<sup>(١)</sup>

ف قالت

- اهدم اسنودوه ثم ملوه ، وقد مات وقالوا ، وفولي الاخير  
خير من فولي الاول<sup>(٢)</sup>

ولما رجعت الى مكة ذهب نواي الحجر لاسود وجهت  
الناس وخطبتهم بقول : اهدم اسنودوه ، الناس ان الله قد  
الامصار ، وعبيد اهل المدينة احتجوا على هذا الرجل المنكبين  
يعني عثمان - اقتلوه ظمأ وعدواناً ، فسهكوا الدم حرام ، في  
البند الحرام ، في الشهر الحرام ، الحج وعقب ذلك قام (عبد الله بن  
عامر الحضرمي) نواي المعين من قبل عثمان على مكة فحلف بأن  
يطيئها وركبت حملها المشهور باسم (عسكر) ، وقد التفت حولها سبع  
آلاف ، تريد البصرة وكلهم من بني كلاب ، الرير  
وطبعة وقد كانت عشة (رضي الله عنها) في توجهها الى البصرة ،  
اجتازت ماء يذل له (الحواب) فبيعتها كلابه ، فقالت للدليل  
- ما اسم هذا الموضع

(١) كان ذلك لقباً لعثمان بن عفان

(٢) الفجري



قال :

- الجواب . فصرخت بأعلى صوتها وقالت :

- ردوني ، انا لله وانا اليه راجعون ، سمعت رسول الله صلى

الله عليه وسلم يقول عند نسيائه أبتكن نبيها كلاب الجواب

ثم عرمت على الرجوع ونالوا لها إن الدليل ككذب ولم  
مرف الموضع وبعد يوم وليلة وصلوا الى البصرة بعد أن نزلوا

ههنا كيرا في اقناع السيدة عائشة وسوفها الى البصرة وعند

اوصلوا الى مقربة منها في موقع يقال له المربط خرج الى مقابلتها

الناس فخطبهم خطبه بيمة أهمتهم فيها بقتل عثمان ظلما وحسبهم

على طلب دماءه وختمت الخطبة بقوله تعالى ألم تر الى الذين أوتوا

صيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله فأثرت هذه الخطبة

البايعة في نفوس الكثيرين وتمها عدد كبير من اهل البصرة

حتى بلغ عدة جيشها ثلاثين الفا فلما انتهى ذلك الى امير المؤمنين

علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ، قام فخطب الناس وأعلمهم الحال

وقال انها فتنة وسأمسك الامر ما استمسك بيدي . ثم انه ما هم

فيه من الجوع والنصب على الحرب فهم اليهم في جيش من

الهاجرين والاصار . وكان معه من أهل المدينة اربعة آلاف : ثمانية

منهم من الاصار واربعمائة من الدين بآيوة تحت الشجرة لمشورة .

وكان اكثر اهل البصرة مع جيش عائشة . فالتقى الجمعان بظاهر

بالبحر في مكان يسمى (الخريبة) وجرت خطوط وحروب ، ففزع  
بعضها التقى على كرم الله وجهه والزبير فقال له :  
- يا زبير ما أخرجك ؟

قال :

- أنت ولا أراك أهلا لهذا الامر

فقال - سيدنا علي :

- أنذكر لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقاتلته وأنت طائم

قال

- اللهم نعم ولو ذكرت لما سرت مسيري هذا. والله لا أقاتلك أبدا

ثم انصرف عازما على ترك الحرب ولكن قابله للأسف

في الطريق رجل يدعى (عمر بن جرموز) قتلته وأتى عليا برأسه

فغضب لذلك وقال :

- بشر قاتل للزبير بالنار .

وتقابل سيدنا علي مع طلحة أيضا فقال له :

- يا طلحة تطلب بدم عثمان ؟ قلن الله قتله عثمان أما يا عتي ؟

قال :

- يا عتيك والسيوف على عتقي .

ولما تراءى الجمعان كان عسكر عائشة وطلحة والزبير رضي

الله عنهم ، عشرين ألفا ، فقبل أن تنشب الحرب ، وعظهم أمير المؤمنين

ونذهم الى الصالح وبذل لهم كل ما ليس عليه غصاصة من جهة الدين  
فألوا الى الصالح شيئا وباتوا على ذلك ولكنه نشب القتال بين  
القبيلتين في المدافعة ودامت الحرب يوما وليلة وأصابهم عار ربح  
طالعة فأعطيه ، فدخل البصرة رديفا لعلامه وقد متلأحه دما  
فأت من الريف بدار خربة من دور البصرة وقهره اليوم بالبصرة  
في مشهد محترم عندهم

وما عائشة رضي الله عنها فاتها كانت على حمى في هودج وقد  
ألبس هودجها الدرع والسلاح الحديد وهي ترفه - حركة قتال  
وقد تراى جده على الموت ، حياطة لها ، وذياد عم - حتى أقبل  
قتل حولها المات والألوف وقطعت على زمام هودجها سيمامة بيد  
وكما نزعته عنه كف نزعته اليه أخرى وكانت حادثة القتال سوط  
الجل بما تشبه من الثبال حتى كأنه النفذ ، وما ألبس قوته من  
السيوف ، وقد سالت السيدة عائشة في محبتها حتى المساء وقد وضع  
في مكان بعيد عن الناس ، وكان اخوها - محمد بن أبي بكر - من  
أصحاب عى كرم الله وجهه فأمره ان يتصلى الى أحد ، ومظهره هي  
سليمة ثم ادخلها ليلا الى البصرة في دار عبد الله بن خاف وطالت  
هناك حتى بدء شهر رجب بأمر الامام على وقد أحسن اليها كرم  
الله وجهه غاية الاحسان ، وجعلها بكل ما ينبغي لها ، وأذن لها

(١) تاريخ ابن الوردي



## الفصل الثامن

لواستشيا وقعة لحررأنا الشبيبة أم المؤمنين قطعت الرحلة  
طويلة من الحية - من السنة العاشرة للهجرة إلى الثامنة والخمسين  
هـ - في العادة وتلاوة القرآن المريع وفي وجوه البر والمواساة  
رواية الأحاديث وتخريج المسائل العقبية .

على هذا الموال المدع وسارت السيدة عائشة في حياتها  
التي ، تلك حبة انى وقعها على سبيل اعلاء كنه الله من أحد  
لك أحسن الناس ومن أحل ذلك كان ينالهم أهل مكة ويفتخر  
بشخصها الكريم أهل المدينة .

أقر عداء زمانيها وحول رجال من معاصريها بوجها وتوقفا  
حتى دامت شهرتها في الممالك والأقطار

صفحة حينئذ حادثة ، تلك الصفحة المشرفة من صفحات  
السلام انتهت وقاها في العام الثامن والحمد لله من الهجرة .

وكانت وصيتها عند ما وافتها بعد الموت أن ينزلها ( ذكران )  
مولايها في قبرها ثم يلقى نضير هذه الخدمة

وما كادت تلك الروح الشريفة تصعد إلى ربها ، حتى علا  
الحبيب واشتد بكاء من في ابدار ، فترسلت ثمينة جارية لها  
تستوضح الامر وما كادت تغلب إليها بالخير المشغوم حتى بكت

هي أبطانكم قالت : كانت عائشة من أحب الناس الى الرسول  
بعد أبيها الصديق ،

نوفت الى رحمة ربها في ليلة السابعة عشرة من شهر رمضان  
المكرم ودفنت في تلك الالة ومثى جميع أهل المدينة في جدارها  
وقد صلى عليها أبو هريرة رضى الله عنه أما الدين نزلو قبرها فها  
عبد الله وقاسم ولدا محمد بن أبو بكر ، وعبد الله بن عبد الرحمن ،  
وعروة وعبد الله ولد الزبير رضى الله عنهم

ماتت هذه السيدة العظيمة ، خدشات جليلة وحسنات  
شيرة حبها الى الالة الاسلامية فخدمت الله لم ورها في طلائع  
دامس لأمثال له ..

شعر أهل المدينة بعظم رزقهم وجليل حطمتهم كما أحسو  
بينم حاجهم بعد قول تلك السيدة له لبة من بينهم ، فبكاه الكل ،  
بكاه الرجال قبل النساء ، والشيوخ قبل الشباب إذ كانت  
قد شملتهم جميعا باردية فصاها وأعطية رها وخيراتها .

ان انحدرات الاسلامية في تلك الارمان السعيدة أى ، من  
بده عهد الاسلام ، كن قدار تفيس الى مستوى عصرهن الراني  
فوهبن أنفسهن انعالية الى عمل الخير والفضل حتى النفس الاخير ،  
فكان عمر احدهن عصر قائم نفسه ، وترجمة حياة الواحدة منهن صفحة  
جليلة من صفحات التاريخ . ولقد سطعن في سمائه بيهجة وايافس

ما كن الشهب الثاقبة في سماء الاسلام في العهد القصير الذي  
لا لآت فيه أنوارهن الباهرة .

لاحت أنوارهن زمنا قصيرا في سماء الاسلام شأن  
كواكب الاسحار ، الا اننا مارلنا نلمس آثار ومبضهن في طيات  
اصحف . وهذا ما يسمت فينا الامل والمرور . فها نحن أولا .  
ببدأ اليوم ، بفضل تلك الانوار ، والاسلام في محته وقتامه ،  
لو أننا الشهور والامل بأن نخلق بعدا صحائف خالدة مثل  
صانعهن



- ٣ -

العباسة بنت المهدي





## الفصل الاول

اي قارئ المزيرو

لو سرحت الطرف في حدائق الادب الافرنجى، مفكراً  
 فى أشعارهم العالية، مدققاً النظر فى آدابهم النفيسة ومؤلفاتهم  
 القيمة وما يتخللها من مزاج وما أثر وما تتضمنه من درر العاظم والغالى  
 حكم، ممتعاً نفسك بعسير الذكريات القديمة المنسوعة من جوانبها  
 تعلم وتشم رائحة الكل أمة من الامم وقائع خاصة بها، وحوادث  
 اشتهرت عنها تنشئ مع طبيعتها الشعرية وتخرج بمحاتها الروحية  
 تحفل الايام والمصور تلك الصفحات المشرقة الماضية  
 والحوادث المهمة والوقائع المؤلمة فلا تصل أسماعنا إلا وقد  
 ازدادت روعة وجدالات فنصنئ اليها بشئ من الدهشة تملك نفوسنا  
 اننا نمج من أبهة تلك الوقائع ونذرة ما فيها من  
 الشخصيات، ونشم بلذة معنوية تبطن أعماق نفوسنا، فنغوص  
 بلتها باندياح ولذة

من الذى يصور لنا تلك الوقائع وينفج الروح فى اشخاصها  
 فيصيرها خالدة لا تزول مدى الدهر ولا تمحى أبداً بالدين؟  
 أهل الفن وأرباب الخيالات هم الشعراء والادباء، قال كاتب بقلمه  
 والمصور بريشته، والخطاط بمتقنه، والموسيقى بالحنانه والشاعر

وزانه يخرجون لما صورأحية بارزة من تلكم الحوادث المثولة  
ولوقائع المدهشة ، لا يصعد نراها أو نسمع بها أو نلمسها  
أصوهم وتارعم وأقولهم حتى تسيل نفوسنا رفة ، ونحفق  
وبناشفقة ، على أبطالها الذين نذهب نفوسهم ضحية على مذهب  
اشبهوات والمظاهر

الفن ، هو الذى يحمى لما نفتش بتلك اللواصى الحزينة الملوقة.  
من ، هو الذى يصيرنا فمتقد بأن هذه الشخصيات حبالا نادوا  
قطوع القرين ، انه جذب الى قصص حياتهم الملوقة بالاحاجيب  
وحالما تأتلف بهم نحن اليهم ونحبهم . اما أسماؤهم الالعجية فهي  
التماثيل الغريبة فى طريق افتنا الاصلية وهوقعهم المماز فى تلك  
الحوادث ، لها أثر بليغ فى نفوسنا ولذلك لا نكاد نذكرهم إلا بشيء  
من اللوعة بين الآهات والزفرات

فتدقنا الآداب الغريبة فصرنا مع تيارها وأصبحنا نقلد كل  
أساليبها فهل أصبنا للرعي ؟

لو وقفنا عند حد ترجمة ونقل الموصوعات التى تنقسمنا ولتى  
تفرينا على نشر العلوم والمعارف بين ظهرانيد ، وتأخذ بيدنا الى  
مناهج الرقى والافلاح ، الو وقف بنا الامر عند هذا الحد ، لكان  
عملنا صالحاً وسعينا جميلاً ولكن الاذواق الغريبة استولت على  
مشاعرنا واحساسنا وارواحنا فذسينا ما يحيط شخصيتنا من لطف

وخرّف وبذلنا، في وسعنا من ارادة وعزم للتشبهه بعلفنا حتى  
تخدرت اعصابنا بدوى مرض (١) نورزيزم) أى التقليد الاعمي  
وليتنا استطعنا ان نروى طائنا أوليتنا تفكر في الزمن الذى نضييه  
هباء في سبيل الوصول الى هذه الغاية

لوردجنا البصر كره واحدة الى ما صبتنا المحيد، ذلك الماضى  
المشرق بأوار المحمد والعجاء لعمنا مقدار خطانا ولا سنعنا من  
استخراج معلوماتنا من دوائن الادب الغربى فحسب

خرائن آثارنا الشرقية مملوءة بالكنوز والنهاس التى تهر  
الابصار بهريق لمعاتها واشراق صيانتها . في زوايا تلك الخزائن بدور  
مواهب كامنة لا يمكن للغرب أن يجود بها على الشرق يومنا من الأيام .  
لو نظرنا اليها وأعرضنا جانبا من العناية والالتفات ككنا الآن  
أصحاب ثروة قوية حفظها لنا الجودود بالمتاعب والآلام . .

فقل لى بربك أما ترى أن فيما تركه لنا السلف خير مما  
نستعيره من لغرب عندما من الكنوز تى . كثير أموال ومجوهرات  
خالصة من كل غش وخداع عليها طابع الاسلام لم نغرها الأيدي  
ولم تنظرها الاعين حتى الآن

لو أردنا لاستطعنا ان نحيك لانفسنا جلايب مفهومة من ذلك  
الأنسجة الحريرية النادرة . ولو شئنا لجعنا تلك الاقشع الثمينة  
ملابس تمشى مع الطراز العصرى ولوشئنا لكسو « تلك المخلفات

الفدعية أحسن الصور والأشكال التي نجما من أحمل صناعات اليوم  
وبذلك نعد لافسنا ألوية الظفر والفخار في ميادين الفن. إننا لو  
أردنا الاستعدادنا من شخصيات عديدة ووقائع كثيرة ذات أثر كبير  
فكل الأدوار الإسلامية مملوءة بالحوادث العظيمة وقد اشتمل كل  
عصر من عصور تلك الأدوار أسماء أبطال يحركون في النفس  
عوامل الشفقة والاعجاب

إن في سلسلة الحوادث العظيمة التي تمت أيام الرشيد وانتهت  
بموت العباسية وختمت بمأساة إرامكة، امرأاً نرري بأشعار  
(رومي) وما يتخللها من حب وصدقة، وعظمت تصفى. ما يتخلل  
قصة (حوليت) من أنوار الاخلاص والوفاء. لم لا نتناول الأعلام  
هذه القصص؟ إن هذين القائلين الوفيين، قاب جعفر وقلب  
العباسية، ليستحقن التصوير والتحليل، فلم لم تلاق حادتهما  
الاهتمام اللائق بها؟ هل كانت حياتهما الشادة، تلك الحياة التي  
ذهبت ضحية المرور والاستبداد، موضوعاً تافهاً في آثارنا  
القومية؟ ..

الخطأ الكبير الذي تركه الرؤس الكبيرة أقل أثر من  
النتج السيئة التي يولدها الخطأ نفسه. فإذا كان الخطأ شيئاً عاراً  
كانت الخسائر الناجمة من هذا الخطأ أكثر شيئاً وأشد عاراً  
عند ما نقلب صفحات التاريخ ونقع أنظارنا على بعض المظالم

للمدهشة ، لانها لك من تبجيل أيماننا الحالية - ولو على غير اختيار  
منا - أمام الوقائع الدموية التي حيا وطيسها في تلك الازمنة  
نرى اليوم ارتقاء هبتنا الاجتماعية فنقدس في انفسنا هذا  
الرقى التدريجي . زماسا - على أي الحالات ومن كل اوجوه -  
زمان الانسانية ولو فكر أوائكم الخلفاء المستبدون في وقع  
ضرباتهم الاليفة ، لو علموا أثرها الكبير وانعكاسها المدهش  
لامتنعوا عن تلك المظالم الشائنة التي ارتكبوها واضمحوا  
غورورهم في سبيل الاحتفاظ بحسن الذكرى

---

## الفصل الثاني

الخواهر العفيفة في عقد بنى العباس ، الزمردة الثمينة بين  
درر النساء ، تلك التي كاس فلادة تزين جيد العصر الثاني من  
الحجرة ، أخت الطيبة وبنت الخلافة . ذهبت ضحية الاقدار  
وفريسة الظروف القاسية

السيدة العباسية ، اللبنة الدكية ، أجن سات المهدي ، ثالث  
خلفاء بنى العباس ، تولى المأسة في ميدان الريح الاسلامي ،  
وسحاب قاصم ، خاطب بياض شهرة الرشيد بسواد دائم .

كانت معززة مكرمة في عائتها الهاشمية المحيية ، امتازت  
به منذ نعومة اظفارها من المطنة والكياسة وحسن الذوق  
والابلاغة . فكانت حزب من نفوسهم منزلة سامية ، منزلة  
التقدير والابلال .

أما قصة حياتها وأوائل نشأتها ، فهي اسطورة جميلة تشناق  
الاذن اسماعها والتلفذ بخيالها

مرت أيام صباها في بغداد كسلمات الصبح بين أحضان  
جدتها الفناء ، فكتسبت من بدائع الطبيعة رونقها واستعارت  
من الورود نفعاتها . ومن اليايل نغماتها ، ومن ساعات الفجر

وأوقات السحر بهجنها وصباها ، هامت في أودية الخيال ، حبال  
الطبيعة ، فأشعثت روحها وأظارها من كوزة الله  
نشأت وترعرعت في مسارح الذوق ، رافعة روحها من  
الأنس واللدال ، وفي معاني السرو ، رافعة روحها من  
موسيقاه طمع ، حميلة الروح ، رافعة روحها من  
أدب العم وأدب النفس ، رافعة روحها من  
ومعاني المعونات والمادد  
فتحت أظفارها في شمسها ، رافعة روحها من  
فشاهدت ما حواه من معطيات رده ، رافعة روحها من  
المعبره وعرفه المرهرة مردادت مهمة وحلا  
اسم ملاك جميل ملاك لا يخطئ  
الاولى الا انها شر عن ملاك لا يخطئ  
دقق النظر في تلك الآلة ، رافعة روحها من  
وأيام حياتها ، لو جندناها ، رافعة روحها من  
والآلام ، ان المرء يعض فلاة حروبه على  
المنظومة في تلك الاكباد - هذا أمر ضاعده فكم أراد أن  
تبع عقده لفة أيام من سعادة طويلة لأمم ولكن الدهر  
القاسي ، الدهر المتسيفار على عالمنا الخفير أبي عليها هذه المعمة  
بل عاده وأشهر عام حرمنا عوانا شمس في غمغمة عقده رافعة كانت



راه نيرا يستعمل روحها

لم تفت المباشرة لانها تمقتب ثر الغواية المعوجة كلا . اع  
رادت ان نجى ثمار الامل دور ان تحمل بانقدر . وتنبأ به فبات  
تدهور تحت عدلات الامدار ودومت بحسبها لهدم الدين  
يما هو في ذمة كل امرى يعيش على وجه السيطنة فكان  
مقتلهم مقبلة . ريحية وصياعها باعث على تستحسن اسمها في صحيفة  
اسماء الخالدة .



## الفصل الثالث

البرامكة الذين كانوا غرة في جبين السولة العباسية وتاجا  
مفروق أيام الرشيد، هم أحفاد بعض المايك من الفرس الذين  
أتوا بطنوا بغداد أيام خلافة المنصور. كانوا قديما على دين الموحس  
ثم أسلم منهم من أسلم وحسن اسلامهم. استوزر المنصور جدهم  
سديد بن برمك فكانت لهم الكلمة النافذة والسيطرة التامة في شئون  
الملك والادارة وضربت بكمارهم الامثال وشدت اليهم الرحال  
ويطت بهم الآمال بذلت لهم الدنيا أفلاذا كبادها ومنعهم أوفر  
الامداد ما كانت يحسب وبنوه كالنجوم زاهرة والصور زاهرة  
والسيول دافقة والنيوم مطرة، أسواق الآداب عندهم نائمة  
ومراتب ذوى الحرمات عندهم عالية والدنيا في أيامهم عامرة  
واجهة الملكة ظاهرة

أما يحيى بن خالد وهو والد جعفر فكان غرا المائلة للبرمكية  
وكان من صاعقه اذا ركب ان يعد صراخا في كل مرة مائتا درهم  
يدفعها الى المَرْضِين له يميننا ويساراً فاذا رآه الناس بشروا بعضهم  
لبعض بتدفق غيوث خيراتة وحسناته عليهم  
يحكى أن احد اعدائه البخله اضطر في احدى المجالس أن



الأمر وبينما كان يفكر فيما يجابهه مثل هذا الاسراف من الخراب  
على الدولة خطرت بآله حيلة جميلة جمع من الدراهم ما يوازي  
قيمة المائة ألف دينار وبشرها في صحن الجامع الذي يحل فيه الهادي  
وعند وصول الهادي الى الجامع في صلاة الجمعة ومعه يحيى نظر  
الى الدراهم المائنة أرجاء الجامع شرقا وغربا فقال -  
ما هذا؟ ما اكر هذا المال

فوجد اوزير المرسنة سائحة وأخبره بان هذا القدر من  
ال هوائن ما سوف يدفع لشري الجارية فاستعظم المبالغ ورحم  
من عزمه . وكان يحيى يعجبه أخلاق هارون الرشيد وبفضله على  
حيه الهادي وعند ما حاول الهادي إيهام احاه من ولاية المهد والمباينة  
به جمهور الهادي حادث يحيى في ذلك ومثل له

- يا أمير المؤمنين . ان دعوات الناس على نكث الابعان  
قص اليهود ونحرا الناس على . من ذلك واوتركت أحالك هارون  
في ولاية المهد ثم باعت الحففر كان ذلك أوكد في يمينه  
فصوب الهادي رأيه وكان الرشيد بعد ذلك يرى هذه من  
اعظم أيادي يحيى بن خالد عنده

بعد انتهاء عهد الهادي وقد غل علما واحدا ببايع الناس  
أحاه هارون والمفضل في ذلك راجع الى يحيى فمظمت منزله  
الرامسكه من نفس الرشيد وأظهر امتسائه لهم في كل فرصة

صنعت . كان ينزل بحبي منيرة الوالد . استوزره في أوائل خلافته  
ونترك مقاليد الامور وديعة له يعمل فيها برأيه الثاقب وحسنته  
ونجاريه في الحياة فكانت اكثر النواحي والامصار تحت زمام  
حكمه وسيطرته وبمد أن تقلد الوزارة بضع سنوات أصبح ابناً  
جعفر الوزير المخلص للرشيد ورفيقه ونديمه وصديقه العزيز ، د  
المكانة السامية في سويده ، قلبه لا يمارقه لحظة من اللحظات . كان  
جعفر . اذ ذاك في العشرين من عمره وكان أخو الخليفة في الرضاة (١)  
فكانت أبواب القصر ودائرة الحرم مفتوحة الابواب على الدوام  
ولحسن محضه واطف حديثه أصبح محبوباً مأثوفاً من أفراد عائلته  
الرشيده .

كان جعفر طويل القامة ، نحيف الهيئة وسيم الوجه ابيض  
اللون ، مستدير الاحية ، ذا عينين براقين وابتهامة حلوة حديد  
الازاج ، فاضلاً كريماً على جانب عظيم من العلم والفضل وله من  
موارد الثروة ما لا يقل عن الخليفة فلا يكاد يوجد في بغداد انسان  
لم يصبه جانب من كرم فضله وصروته فكان محبوباً من الجميع ،  
يعتبره الناس النجم المتألق في سماء هرات المباسيين

(١) غلتر الرشيد انما هو الفضل وليس جعفر وكان الرشيد يأمن  
بجعفر أكثر من أنسه بأخيه الفضل لسهولة أخلاق جعفر وشراسة  
أخلاق الفضل

وكان يرى بنفسه كل المسائل المعقدة فيحل عقدها برأيه الثاقب  
 بربح الخليفة من هموم الإدارة وأعبائها ومع أنه لا يفضله جفن  
 لا يستريح في ساعة من ساعات الليل فضلا عن النهار في مصالح  
 سلطنة ، فكان لا يفارق الخليفة في مجاسة أو مسددة وكراديا  
 ربما يعلم الشعر ويفهم الموسيقى ولذلك لم يبق انسان في بغداد لا  
 قدر قيمة هذا الوزير المقطوع القرين

أحضر العلماء والحكام وأمرهم بترجمة الكتب الاجبية وشجع  
 الفلاسفة والمكرين وأسر دور العلم واشترى الجارة والطبابة والحكمة  
 في ربوع بغداد حتى أصبحت عطار الرحال العلماء وقطب دحي  
 الآداب والعمون ولم يفض على هذه المدينة الا القليل حتى سميت  
 (أسواق الآداب)

كان الرشيد يعقد النعم والخيريات على من يجيب له البرود  
 ويسبب له العبطة فيفضح ليراد بيت المال وصيانته الخاصة في  
 سبيل شخصه أما جعفر فكان يصرف ماله في سبيل المحافظة على  
 عهد الرشيد وأهله منكم وخلافته التي يتعاني في خيانتها . وكان  
 مع ميله الى اللذات يصرف نصف أمواله في وجوه البر والخسرات  
 اشتهر الرشيد بحسن ادارة جعفر وعائال القاب الحمد والنساء  
 إلا بفضل ستاء جعفر ، ثم كان دمد ذلك من أصحاب الحكمة  
 والحنى باستمداد جعفر وكفائه كما اصبح قرين العلماء ، جليس

الادباء ، نديم للشعراء بارشادات جعفر وبجعفر فحسب ك  
الرشيد رشيدا .

ما أجلها روحا ، تلك الروح العالية والنفس الالية التي تستنير  
مزاياها من أشخاص أخرى ولا تفقد بذلك بهجتها وأصواء كمالها ،  
كان الرشيد في بداية حكمه مسودة لوحة فنية تحتاج الى  
ألوان عديدة واصلاحات كثيرة وعمرور الزمن أصبحت تلك  
المسودة الناقصة في أيام وزارة جعفر لوحة فنية نفيسة وطهرت  
معرض التاريخ بتلك الالية والمهظمة

واليك الحكاية الآتية دليلا على الروابط القوية والائقة المتينة  
الموجودة بين الرشيد

قيل : ان جعفر بن يحيى جالس يوما للشرب وأحب الخلوة  
فأحضر ندماءه الذين يأكل بهم وجلس معهم وقد هبوا المجلس ولبسوا  
ثيابا مصفوفة وكانوا اذا جددوا في مجلس الشراب واللهو لبسوا  
ثياب الحر والصفر والخضر ثم ان جعفر تقدم الى الحاجب ألا  
يأذن لأحد من خلق الله سوى رجل من الندماء كان تأخر عنهم  
اسمه عبد الملك بن صالح ثم جلسوا يشربون ، ودارت الكاسات  
وخفقت العيdan وكان رجل من اقارب الخليفة يقال له عبد الملك  
ابن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس وكان شديدا الوفاة  
والدين والحشمة وكان الرشيد قد التمس منه أن يناديه ويشرب



حمة وبدل له على ذلك أموالاً جيلة فلم يفعل ، فانفق ان هذا ( عبد  
الملك بن صالح ) حضر الى باب جعفر بن يحيى ليخاذه ، في حوائج  
له ، فظن الحاجب انه هو عبد الملك بن صالح الماس ، فأدخله  
على جعفر بن يحيى ، فلما رآه جعفر كاد عقله ينحجب من الخياء ،  
وفطن ان القضية قد اشبهت على الحاجب بطريق اشتباه الاسم  
وفطن عبد الملك بن صالح أيضا لقصة وظهر له الخجل في وجه  
جعفر بن يحيى ، فانبسط عبد الملك وقال :

— لا بأس عليكم احصروا لنا من هذه النياب المصيبة شيئا  
فأحضر له قميص مصبوع فلبسه وجلس يباسط جهر ابن  
يحيى ويمازحه ، وقال :

— اسقونا من شرابكم .

فسقوه رجلا وقال :

— ارفقوا بنا فليس لنا عادة بهذا

ثم باسطهم ومازحهم وما زال حتى انبسط جعفر بن يحيى  
وزال انقباضه وحيائه ، ففرح جعفر بذلك فرحا شديدا وقال له  
— ما حاجتك ؟

قال :

جئت - أصادحك الله - في ثلاث حوائج ، أريد ان تغايب  
التعليق فيها ، أولها ان على ديننا مبلغ الف الف درهم أريد قضاءه

وثانيهم، يريد ولاية لابي يشرف بها قدره، وراثتها أريد أن تزوجه  
ولدى يابنة الحبيفة، فلما بنت عمه، وهو كنف ولما  
فقال له جعفر -

- قد قضى الله هذه الحوائج الثلاث، أما المال ففي هذه النساء -  
يحمل الى منزلك وأما الولاية فقد وليت بك مصر، وأما الزوا  
فقد زوجته فله، ابنة مولانا أمير المؤمنين، على صداق مائة  
كذا وكذا فانصرف في شأن الله

فراح عبد الملك الى منزله، فرأى المال قد سبقه ولما كان  
من المد حضر جعفر عند الرشيد وعرفه ماجرى وأنه قد ولاه  
مصر وروحه الله فمحبب الرشيد، من ذلك وأمنى العقد والولاية  
فأخرج جعفر من دار الرشيد حتى كتب له الله ما يريد مصر وأحضر  
القضاة والشهود وعقد العقد (١)



الرشيد براقب الطوع الخفدة ،عالم قصر الرامكة



## الفصل الرابع

تلك هي ثقة الرشيد بوزيره وأنيس قلبه وحبيبه العزيز جعفر  
والى هذا الحد البعيد وصلت دالة الوزير على مولاه الخليفة . كان  
يرى نفسه أكبر شئون الدولة وأعوصها فيقيم أوزانها ويفصل  
في قضايها سواء كان في حضور الحاكم أو في غيابه . وسواء علم  
الرشيد أم لم يعلم . فهل كان يخطر على البال أن تنفرح بينهما  
شقة الخلاف ؟ وهل كان يظن أن الشمس تشرق عليهما ذات يوم  
وهما مختلفان متناذران وقد أحبا مضيئهما واستوثقا من نفسيهما  
الى هذا الحد ؟ لم يكن بين الخليفة ووزيره سر مكتوم ، فكل  
سرائر الخليفة ونياته صفحة مفتوحة أمام جعفر ، وكل دغائل  
جعفر وخفايا نفسه ملأها الخليفة فهل يأتي عليهما يوم يتكره  
أحدهما للآخر ؟ ما كان يعضى يوم دون أن يذهب رسول من  
قصر الخلافة الى قصر الدمامة . ما أكثر ما كان يخرج جعفر  
من حضرة الرشيد فيرسل في طلبه ، وما أكثر الاوقات التي خرجا  
فيها الى الصيد والفنص ، ما أكثر الليالي التي أمضيها معا جنبا  
الى جنب يتفقدان فيها أحوال بغداد ، ما أكثر الهدايا  
والتذكارات الثمينة التي يهدي بها الخليفة وريه الصادق فهل

كان لكل هذه الاوقات والساعات والليالي والايام نهاية وحدا  
نعم كان لها مبدى ونهاية. كانت الايام الدائرة ، تلك الايام  
التي تمضي بثبات من المشاغل والحوادث تقترب ، طم وهدوء لهذه  
النهاية . كانت السحب المتراكمة في سماء مستقبل الورير تنذر  
باحتمال حدوث هذا الانقلاب التدرجي . لان أعداء جعفر كانوا  
يتكاثرون وينفقون بنسبة استعمالاته في الشهرة وبمد الصيت  
نوم أنه يستطيع أن يستولى أشد الخلق ويستعبد قلوبهم فيود  
نعمته وسلاسل جوده . وقد فانه أن الناس قد تنسى كل حسناته  
إزاء نعمة واحدة يندفها عليه الخليفة أو مميزة من المراهبا بختصه  
بها دونهم .

أولا الحسد وما تنطوي عليه الصدور من الاحقاد لولا  
ما يحمله الانسان لأخيه الانسان من صفة وغل لما استطاعت  
رياح الافكار أن تطهي شمس هذه المصطفى .

كثير الساعون في اخلال روابط الثقة المتينة التي بين الخليفة  
ووزيره ، واشتد ساعد الذين يحملون الماويل الهادمة لهذه الثقة .  
وبين هؤلاء الساعين الاميرة ريبة فانها نفرت منه منذ حادثة  
مكة وانتمزت كل فرصة سانحة لتكون ضده . انهم انفس  
نظرات جعفر المصوبة الى ابنها الامين وهو يخاف ثلاثا يمين  
الطاعة وعدم الخيانة بين يدي أبيه الرشيد وفي حضوره في بيت

الله الحرام ، لم تنس سمية في تنصيب السامون لولاية المهدي بعد  
انه الامين ، بل أسرت ذلك في نفسها ، متوعدة الانتقام يوما  
من هذا المملوك الفارسي

لم يتدبر جعفر الا بالتمسة . وكان مرتاح الضمير ولذلك  
لم يخش خصومة أحد حتى ولا تنكر الخليفة عليه . لم يشك في  
انسان ولم يترحم ان الخليفة قد يحنق او يحقد عليه في ساعة من  
الساعات ، لم يخطر على باله أن الخليفة قد يرتاب به أو يسيء  
اليه الظن وهو يشاهد من شرفة قصره جواهر الخلق المحشدة في  
الضفة اليسرى من الدجلة حول قصر البرامكة . لم يدرك أن هذا  
العالم الى فناء وبوار لأن صحف السعادة والرفاهة كانت تستر  
الحقيقة عن عينيه

كان ينظر الى هذا العالم بمبنى مسافر يقطع الصحراء ووجهته  
المراب يحطو اليه مبتهجا مسرورا مفتونا مأخوذا للب . كان  
يعيش آمنا مطمئنا غير حاسب لمعاديات الدهر حسابا لماذا ، لأنه  
كان واثقا من مودة الخليفة . كان يعلم أن منزله من نفس مولاه  
الرشيد هي منزلة المباشرة من نفس أخيها أجل إن الرشيد ما كان  
يستطيع صبرا عن مفارقة أخيه المباشرة التي شبت ونشأت معه  
وشاركته في أهوائه وميوله . كان التذاذه من مشافهة المباشرة لا يقل  
لذة عن محادثة جعفر ، وإن سروره من سماع اشعارها يادل ابتهاجه

من مناداة الوزير له وكما كانت أدبيات أخته تجلب له السرور  
والانشراح ، كذلك مواعظ جعفر وأقواله الحكيمة تشالج صدره  
وتدعوه الى الاعتباط ، كان يمتخر بمجازية العياصه ويباهى بوقار  
الوزير ورزاقته . وبالاجمال كان لا يحتمل معارضة احدهما فكما  
يجلسان اليه معاً في الفصر والحدقة ومغاني اللهو ينشاهدون  
الاشعار وبخوصون فنون الحكمة والفلسفة . كانت العياصه على  
علم ناصح وأدب رائع ، تعد من حكايات عصرها وعالمات زمانها  
وكان الرشيد يسر من الرجوع اليها في كثير من معصلات  
المسائل العلمية ويناقشها ويبحث فيها الساعات الطوال في مختلف  
الفنون وعندما كل ينشأ الاية ريدة يترقب من هذه الحوادث  
كانت تنصب ويظهر عليها أثر الاجمال . كانت لا تصمم علو  
كعب العياصه في العلوم ودراستها المعنوية الربيعه فكانت تنفس  
هايتها هذه الرنة وتغار منها مع أنها على حظ وفير من العلم

عندما كان يجلس الثلاثة ، الرشيد والعياصه وجعفر ، في  
المجالس المعنوية ذات القباب المكسوة بآيات الامن من قصر خلافة  
فيخوصون لجة الحديث والمسارة ويشقون عباب الشعر  
والموسيقى وتغنى نفوسهم بالمطبة والهندسة ، يسون بتداد ولا  
يخطر على بالهم شأن من شئون العالم . من بدرى أى لدر من  
غوا الى الالهام وتغار المريح وتناح العلم الناصح كانت تسقط



أرجاء تلك المجالس ؛ لو كان للجدران المنطاة بقطع الديباج  
والمكسوة بأفسس الحرائر لسان ناطق لآتخفنا اليوم بشكات لطيفة  
معان مبتكرة جميلة وحسات من المعط لا تخطر على البال ...  
ولكن قد نداعت الجدران وطارت الاستار على أجنحة آلهة  
شعر وذهبت تلك الايام أدراج الرياح ولم يبق لنا من ذلك  
أضئ المشمش سوى خراطة محدودة من الخواطر . اننا لنتمطي  
لآن سفينة الذكرى ، ذكرى (الانس الثالث) : الرشيد والعباسة  
وجعفر ونحوهم خضم تلك الايام فلا نجد شيئا ولا نشعر الا  
رداء من أمواجه ....

كل الرشيد منتطابها (الانس الثالث) وكان يرمى  
نفسه في أحضان هذين المريرين اينسى مشاعر اليوم ومتاعب  
لادارة ؛ كان يشمرهمة كبرى من تلك أحداثات والمناذرات  
اتى يعقدها في المجالس ذات القباب ولا يكتم شموه هذا عن  
العلماء وأكابر رجال الدولة ممن يمثلون ابن يده

كان يشئ على ذكاء العباسة وبقدر بلاغة جعفر وبياهي بمادتهما  
له . هذه الحلة الروحية كان يعرفها العلماء الذين كانوا يمتثلون  
او يتعاصون عن مجالس لهمو والشراب المستشرة في العصر الثاني  
من الهجرة . كبر عليهم محاسبة العباسة للرشيد في حضور جعفر  
فسددوا اليه سهام تقديم ولومهم . لم يتقدموا رفاهة العظماء

واستفحالهم في ضروب اللذة ، الامر الشائع في ذلك العصر ، مثل انتقادهم لهذا الامر وكان الرشيد لا يستهجن هذا البعد ويرى أنهم يحقون في هذا اللوم ولكنه لم يستطع ان يقطع عن امر يشع روحه بالدائنة المعنوية فلم يأل جهدا في التفكير وعمال الروبة لاييجاد حل مقبول للمسألة ، وفي النهاية جمع علماء في العصر بمقدوا مجلسا لهذه الغاية .

أعمل العلماء رويتهم وشحفوا قرائحهم فوجدوا أحسن حل للمسألة أن يمقد لجعفر على المباشرة إلا أن الرشيد لم يقنمه هذا الرأي . لأن المباشرة الشرفه سلبية المائلة للبوية لا يمكنها ان تنروج بمحفو ولا يجوز لمالك ايراني ان يقنر سيدة من عقيلات بي هاشم ، فلا مناص اذن من ايجاد حل آخر كان للفقهاء في موقف دقيق لا يسهم ان يكونوا هدفا لفضب حليفهم فاحتاروا وأسقط في يدهم لانه محم عليهم ان يوفقوا بين أوامر الشريعة ورفعات الخليفة وبينهم في لجج الحيرة والدهشة خطرت على بال احداهم فكرة عرضها على مولاه فنالت الاستحسان . رأى هذا العالم أن يزوجهها حتى يحل له النظر اليها ولكن لا يقربها ( ١ ) وهكذا أجازوا تلك المسامرات الليلية في قصر الخلافة تحت هذا الشرط . فقبل الخليفة أن يمقدله عاها ورضي

(١) ابن الاثير . الطبري . القمزي

ما لشرط وبذلك تغلص الرشيد من قبل الناس وقتلهم وعاد إلى مناداة  
صديقيه العزيزين وجلسيه الاليفين

لم يكن بعد هذه الحادثة إلا أن أسعد حالاً من الرشيد - أنه  
ليقاوم أصعب الأزمات فيفرجها برأيه ، به ليقف باسمه هارثاً أمام  
الشدائد وأنصاعاً يتحج في القوانين والشرائع والمادات ويبسط  
سلطان نهوذه على غرائر الطبيعة فيظهر ازداره لما يظنه الناس  
أمراً مستحيلاً

أيها المروء أيها الطامع الأدي للأنسانية ألم تقـ آنحطمت  
على صخرة تلك الدالية ولم أملا تكسر عند أقدامك ولم رغبة حارة  
وددت أنفاسها الاغبرة فوق مذبحك : وأي ادبار استطاع  
مقاومة مفناطيسيتك . لو أحصينا الذين رموا بأنفسهم في أحضانك  
فكم يبلغ عددهم ؟

أيها البشرية : ألم تستطع الاجيال ان تغير تأثير غرائزك الموروثة  
ولم تستطع المصور المتقادم أن تعدل تريبتك الروحية والفكرية  
كان الرشيد يعتبر النساء التي يقضيهما بجانب وزيره من أوقات  
عمره وأشهاها . كان لا يصبر عنه لحظة واحدة ويستفيد من ذكائه  
وعرفاته ويتنازل لقبول مشورته وآرائه ومع ذلك أظهر التردد  
والخوف أمام علمائه وقتهائه الذين أجازوا اختلاطه بأفراد عائلته  
معنا لهم أنه مملوك فارسي

اصل جمفر وأرومت هو نعمة الوحيدة ، ما وقد أثبت الرشيد  
بأن المروءة والشهامة وأدب الغس مزايانا أنسانية لا تشفع للمرء  
في جميع أطوار حياته فقد استكشف أولا بما عرضه عليه علمه وه  
لو أننا وصلنا إلى فرادة نفس الرشيد لعلمنا أنه كان راضيا  
أمر الزواج إلا أن غروره المتسلط على قلبه وقف حائلا بينه وبين  
الرضى بهذا الأمر أما جمفر فقد كان متلويا على أمره مامع  
العباسة ومزايها الروحية فكان يزداد تعامها بها وشغفها به  
رغم أوامر الخليفة . كانت العباسة حياة جمفر يومه يومه  
وجسمه حتى لقد أصبحت هيأه لا ترى نوراً عليه وهذه  
التي سطعت في سماء حياته

في هذه الآونة كانت العميون والجواسيس إلى تأتمر  
بأمر رييدة واقفة لحركات جمفر والمرصاد في عذره و واحد إلى  
قصر العباسة ، ويحملون إلى زبيدة حوادث تهمهم أمام حدة تهمهم  
بين خائل الورود والفرقة وكان الجواسيس لا تكتفي بـ  
في سبيل مأموريتهم لأن جمفر كان يشي عباسة السوداء  
شارة العاسيين ، ويصل إلى القصر من طريق الشرفة المظلة على  
الدجلة جهاراً ميانادون تنكر إماماً عطياً صهوة جواده وإماراً كبا زورقه  
كانت أخيار هذه الزيارات اليلية تصل إجماع زبيدة وابنتها  
والفضل فيمتدرون مجلساً من مشايخهم لتدبير مكيمة يوقعون

جعفر في حبائلها

كان الفضل بن ربيع خادما صادقا للامين، ذي المزاج المتلون .  
 كان في مبداء أمره حاجب الخلافة ويشغل الآن مركزا كبيرا وكان  
 يمد جعفر لما يراه العاليه ويطمع الى الوصول للوزارة فجعل يعمل  
 في اسقاطه سرا ولا يرى فرصة فيها هلاك البرامكة إلا اقتسمها .  
 كان يريد أن يقص على الذين وقفوا حجر عثرة في سبيل أماله  
 ولما علم فلم يقدم يوما من سبيل فيه ايداء جعفر وقد أسعفته الاقدار  
 بان كان يبحث عنه . خرج يحيى بن عبد الله العلوي على الرشيد  
 قائم الرشيد لذلك وذهب اليه الفضل بن يحيى فذهب اليه الفضل  
 وصره قال يحيى الى الصلح وطلب أمنا بحط الرشيد فأجاب  
 الرشيد الى ذلك وصره وكذب له أمنا فقدم يحيى مع الفضل  
 فلقاه الرشيد أول الامر بكل ما أحب ثم أمر بحبسه بعد ذلك فما  
 سمع الاطباي ذلك حتى أسرع الى جعفر قائلا :

قد كتبت لنا أمنا فحضرنا اليك فاذا أنت أمرت بابقائي

في اسجن عرضت نفسك لقهر الله وغضبه

وعلى اثر ذلك أطلق جعفر سبيله فافتم أعداؤه هذه الفرصة

ونقلوا الحادثة الى الرشيد

## الفصل الرابع

كان الرشيد حائقا خاصا بعد تلك الحادثة وأخذت مكانة جه  
 اتصال في نفسه شيئا فشيئا وكأني به وقد اختل بفرقة على أمره  
 هذا البيا وأوصى مسرور السيف بأن يتمتع كائما كان من الدخول  
 عليه يقول في سره : ما هذه الجرأة كيف يستطيع جهر أن يصر  
 أمرا واما الخليفة صاحب الهي والامر له قد وصل من استبد  
 الى حد لا يمكن السكوت عنده ، وكأني به وقد حدث له  
 بعقل هذه الأقوال يشرف من نافذة غرفة ، ولا تسلية له  
 بزئير الاسود المجوزة في أعاصير الحديدية بحديقة القصر  
 الى اهدا ما حدث فان التاريخ نقل اليها انه نزل بعد سماعه  
 النبأ الى حديقته ، حيث أقفاص الليوث وهذا طالب من الحارس  
 أن يحضر له رصيعا مذبوحا من اللحم .  
 أخذ قطعة صغيرة ورمها الى أمز الليوث عنده فالتهمها في الحال .  
 وقف بعد ذلك ينتظر ان يبقى اليه الدقيق . انتظر كثيرا ولكن عبثا  
 لان الخليفة امر الحارس بأن يمنع منه الباقي . هيل صبر الاسد  
 وكان يزأر من حين لآخر كأنما يطلب بلسان الحال فريسته  
 وقف الرشيد يتأمل طويلا هذا المنظر ويقارن بين حالة الاسد

حالته الروحية وكأني به الآن وقد امتزجت نفسيته بنفسية  
 لاسد مشفق عليه ، ونادم على منع الفريسة عنه . وكأني به وهو  
 ظر الى الحارس شذرا ويلومه لانه ينفذ في صديقه الاسد هذا  
 لامر المامى ، يجد في الاسد شبيها به وبالحارس مثيلا لجعفر ،  
 عدوه الات .

وعند ما عيل صبره لم يطلق احتمال رؤيته الاسد ينمذب فأمر  
 ن تلقى اليه الشاة كاملة فأقيت ومعجم الليث على فريسته وقطعها  
 . با بين برائته وأخذ يقضم العظام أيا به وبعد أن استقرت كاملة  
 . ممدنه رضى ربيعة الأمن المظنر وأخذ يصوب نظراته الى  
 رشيد ، تلك النظرات التي لم يذهب عنها بريق الحدة والغضب  
 أما الرشيد فبعد أن وقف طويلا أمام هذا المنظر عاد الى  
 سره وقد هدأت الثورة القائمة بين جواب نفسه

به ايفكر فيقول في سره لو كنت الآن داخل المغص فأى  
 شئ كان يمنع الليث من أن يهاجمي فيقتربنى افتراس قطعة  
 اللحم . كان يرى في نفسه وهو يمشى نحو القصر بين طرقاته المريبة  
 أصص الرياحين ، أسداً غامداً الى الافتراس ، نفسا طموحة الى  
 الانتقام ، كان توافكا الى التشقى من عدوه اللدود جعفر . ولكن  
 هيات لم نحن الفرصة بعد فهو ينتظر الفرصة بفروغ صبر ولا  
 يدعها تفلت من يده بعد اليوم .

وصل الخليفة الى القصر وصعد نواً هرقته الخاصة وكان  
منظر المروب جيلاً يجذب الروح فجلس متكئاً على الدافئة  
يتأمل بحزن واطراق ألوان السحب المتما وجهه في السماء ومالاً  
أن مد بصره الى الضفة الاخرى من الدجلة حيث يوجد  
قصر البرامكة

ارتعشت نفس الرشيد داخل جـمـهـه . كان الناس عند  
مدخل القصر ينتظرون أوامر الوزير ، بين داخل وخارج ،  
يهربون ذات اليمين وذات اليسار وبينهم الجنود ورجال المعية ،  
هرج ومرج . هنالك الضجيج ، هنالك الحركة ، هنالك كل شيء ،  
ارتكرت عيناه عند هذه القطعة من الضفة الاخرى وكلما  
به النظر اشتد حنقه ، وارتفع صدره بيران الميظ المضطرب ،  
بين أحشاء قلبه . كانت أهذاب عينه تنهز بحركة عصبية وهو  
يرى أن سكون الماء وهدهو الطبيعة لا يتخللها سوى حركة  
واحدة في تلك الساعة ، هي الحركة الآتية من الضفة الاخرى  
أمام قصر جعفر

أيقن الآن أن جعفر هو حاكم بغداد وأمير الدولة وخليفته  
الاسلام . علم الآن أن جعفر كان كل شيء . ولكن أين هو من  
هذا الضجيج ، أين مكاته من هذه الحركة ، أين عز الخلافة  
وشرف الحياء ، هنالك في قصر البرامكة ، الذي يلعب بالاضواء



« وج بالحركة أما قصر الرشيد فقد نسر بل رداء السكون  
و صموت .

تبطننت اعماق نفسه بالآلام خفية في هذه اللحظة فئسى  
كل شيء .

في صداقة جعفر واخلاصه وفطاته ، نسي أن هؤلاء المنشدين  
لدار وزيره جاوا ياتمسون نداء ، يستمطفون مروءته ، ياتجشوا  
البطل شهامته . نسي أنهم واقدون اليه لقمضه مصالحهم ، نسي أن  
« فرا أخذ على عاتقه هذا الحل ليخفف عنه التعب . نسي فصاحة  
وزيره وحسن تديره ودرابته . ثم نسي كل شيء ولم يبق في  
قلبه وذمه إلا أمر واحد ، اهتزت له أرجاء روحه وأخذ قلبه  
يقف لاجله من الحدة والآلم . وكأنه يقول : « لست أنا الخليفة  
وإنما الخليفة جعفر ما أشد بلائي ، كيف لم أفطن إلى هذه النتيجة  
مدا أستطيع أن أعمله الآن أو أن جعفر أنزع إلى انزعاج الحكم  
من يدي وسير رجال الجيش على ، وجلهم من الاعجام صنائع  
معروفة ونداء ١ »

هذا ما كان يردده الرشيد في مثل هذا الظرف ، لاسمارة اشتدت  
هجمات الاعداء ووشايلهم في حقه فلا بلغت حتى يسمع واشيا ولا  
يشي خطوفة حتى يجد من يمدته بخيانة جعفر له . وما كثر الاوراق  
التي كان يمددها في سريرته تحذره بماقبة الحال وسوء القلب

فكر كثيراً واستعرض وجوه الرأي للتخلص من هذه  
الحال فخطر بباله ان يوفده الى الخراسان ولكن أحجم عن هذا  
الرأي لخطورته لان جمعه قد يجتمع مريدوه واشياعه حوله  
هناك، فيؤلف منهم قوة كبيرة لا تقاوم، فلم يجد الا القتل داء  
شافيا. ولكن كان عليه أن ياتس لقصد هذه عذراً ويتنظر  
الفرصة السانحة. ولذلك لم يجد مندوحة من الصبر والثبات  
فنادى سروراً وأمره بان يذهب الى وزيره، يدعو الى تناول  
طعام المشاء

كان لرشد ينتظره بوجه باسم ومحباً طلق وهو على أريكة  
مزركشة قائمة على عرش مذهب. وعلى مقربة منه مائدة توءم  
باطق الفضة المحتوية على صنوف العواكف والمشروبات، وبحزنها  
أكواب من البللور تتلألأ داخلها أشربة ملونة وقد هامت القاعة  
بصنوبر العنبر والصندل والعود

في الزهرة المجاورة، على مقربة من القاعة التي فيها هذه  
النفائس، كان أبو نواس وأبو زكار وإبراهيم الموصلي يشاورون  
فيما بينهم على الاغاني والالحان التي يطربون بها في تلك الليلة مسامح  
مولام الخليفة

لم يمس على انتظار الخليفة زمن كبير حتى وصل مسامحه  
سليط السيوف وصميل الخيول. حضر جمعه مع رجال حاشيته.

صوب الخليفة انظاره نحو الباب الذي سيدخل منه الوزير  
وعند ما رفع الوزير السجف الحقيقية المتدلية على الباب نظر الى  
الخليفة ثم الى نظراته المتطوية على السجف والحقد فكاد يصق في  
كاهه ولكنه لم يشعه وحط نحو الخليفة خطوات ثابتة ، يقدم له  
تحية الاحترام

أخى لرشيد ماين جوانحه من التليظ والحقد وابشم  
لارزبر اخى ما تطوى عليه جوارحه فقال له ممرصا على  
اسه :-

- ما هذا يا اخي اننا سنناول الطعام على حدة فهاذا  
اعتنيت بلباسك الى هذا الحد

كان الخليفة في هذا المجلس صاحكا لاهيا ، بملا الاقداح  
وبسأل جمهر من شئونه الخاصة ، وبداعب الدماء يطرب لحنات  
الموصلى وانشاد الشعراء أما جمهر فكان يحاول اسكت خفقان  
قابه واصطراخه ليشارك الخليفة في هذا السرور والفتشط كان  
يحاول أن يرفع عن نفسه أثر تلك النظرات الاولى الى قابله الخليفة  
بها كان يجاهد نفسه ليتسم وليصحبك ؛ ولكن كانت كلمات  
الخليفة وابتهاماته ونظراته تسدد في صدره كأنها سهام مسنونة .  
علم جمهر كل شئ وأيقن بزوال مكانته من نفس مولاه وأيقن  
بالسقوط على أثر تلك النظرة العنوية

أمكن أن يكون الخليفة وقف على سره وأطلع على ما بينه وبين المباشرة أعمال أن يكون ذلك . فمن يستطيع أن يخبر الخليفة بهذا الأمر ليستهدف غضبه . هل وصلته وشاية أو سعي إليه أحد أمده . لا ريب في ذلك فإنه كان يشعر بأن أعداءه يتألبون عليه وأن كلهم اشتدت في الأيام الأخيرة وبأن نفوذهم أخذ في الاستفحال

قارب الطعام على الانتهاء وكان الرشيد ووزيره يتناولان الفاكهة وكان الخليفة قد مديده الى اجاصة فقال له فجأة :  
- كدت أنسى كيف حال يحيى بن عبد الله الطالبي ؟ فارتبك جعفر إلا أنه قال :

- هو في الحبس يا مولاي

فقال الرشيد : - بحباني ؟

فقطن جعفر وأجاب لا وحياتك ، ولكن أطاقته ، لأنى علمت أنه ليس عنده مكروه فقال له الرشيد :

- نعم ما فعلت . هذا ما كنت أنتظره من حسن فطانتك

انتهى الطعام وجلسا يتنادمان قليلا وخاصا في شئون مختلفة وفي النهاية عندما قام جعفر نظر الرشيد إليه وهو يقول في نفسه :  
حقلي الله ان لم أملك<sup>(١)</sup>

## الفصل الخامس

أسدل الرشيد الستار على تلك الجلسة البديعة بمجلة تهديدية  
حفظها لنا التاريخ حتى يومنا هذا . هاقند دار الملك دورته  
وانقضت أيام الصفاء والمخادنة ، أوقات السلام والمخالصة انها  
لساعة وهيبة . وأزمة عصبية وشدة مريرة أن يجد المرأ نفسه هدفا  
لسهام الخاصة بعد ان كان موضع التجلة والأكرام على غرة من  
الدهر وغفوة من الزمان

دام الحال على هذا الموضع فتمقت الازمة وكان جعفر  
سائرا . مهموما واعدائه فرحين مسرورين ، لا يفكرون عن  
نصب شراك الحيل والدسائس وإبصال الأذى اليه ، ما وجدوا الى  
ذلك سبيلا

اشتد قلق جعفر لانه كان لا يفكر بشأن نفسه حسب ، بل  
كان يفكر في أمر عباسه ، فاذا سمع الرشيد بما وصلت اليه علاقتهما  
وبنتائج هذه العلاقة أى بابتهاهما حسن ، قضى عليهما وطوى من صحيفه  
الوجود خبرهما . غير أن جعفر لم يفقه أن يأخذ الحيطه قبل وقوع  
المحظور ولذلك أرسل الطفل الى مكة مع مولى من مواله الخاصين .  
حقا ما الحياه الا مجموعه احساسات وآلام إن جعفر أليضحى

وزارته وما هو فيه من أبهة حال ورقعة عيش في سبيل راحتها  
وهناهما ولكن كيف يتسنى له ذلك وقد تكاثر عليه أعداؤه ليس  
أمامه ليعيش آتيا مطمئنا تحت ظلال الراحة والهدوء، الامفارقة  
بفداد وإن السبيل الى ذلك سهل ميسور فهو يتحمل مناعب السفر  
الى تلك الاصفاع مع عباسه وابنيه، انه يستطيع ذلك اذا قدر أن  
يرك الوزارة دون أن يلحقه ما يحدث السمعة والشرف . ولكن  
الشعب الشعب ذى المزاج المنفرد ، الشعب المتبون كالحرباء  
قد انقض اليوم من حوله وحول بيته الكثيرون ممن نشأوا  
ونشروا في ظلال نعمة البرامكة وندم . كان واثقا من ذلك  
مع انه لم يحاول يوما ما ان يجرح احساس أحد منهم انما كان  
يسمى في أن يقيم بالثامنة وعدل ما أعرج من أخلاقهم كان عليه  
أن يقاوم ويكفح وأن يقف أمام هذه الجوع المحتشدة مستمدا  
من المولى المون والعناية . قد صمم أن يقاوم حتى النفس  
الأخير دون ان يتطرق اليه اليأس أو تنقر عنه الجريمة مادامت  
روحه للمنوية أي العباسة في حفظ وأما  
فمم كان وجود العباسة يفرس في كل ذرة من ذرات كيانه  
بذور الشجاعة والاقدام . أراد أن يجيب في دائرة تنقسم العباسة  
داخل حدودها  
كانت أخت الرشيد نجمة آماله ، منبع أشواقه ، أفق ممراته ،

بل كانت هي الكل في الكل .

كان الآن يمشي للعباسة ويمتل للعباسة ويناضل لاجل  
العباسة ، انها مقرأمله ويمت شجاعته وإقدامه . سوف يكافح  
أعداءه بمداليوم ويقف أمامهم وجها لوجه وياق عاينهم درساً قطعياً  
في نظرية تنازع البقاء لمرض واحد هو سمادة العباسة ...



## الفصل السادس

بينما كان جعفر غارقاً في قرار عميق من لبح هذه الفلسفة  
الروحانية والمشاعر المعنوية وهو يظن نفسه في حصن حصين من  
خيراته السالفة ونعماته السابقة ، كان المحذور قد وقع وسق السيف  
المذل . أجل ان عيون زبيدة الذين نقلوا اليها أحلام لافاقه الليلية  
هو والعباسة وتزاورهما ومناحلهما لبعض تحت أشعة  
حدائق الخلافة ، نقلوا اليها كذلك بشرى ولادقاهن وورود  
الى مكة ، الى غير ذلك من خطير الحوادث

ما كاد ذلك يصل مسامع زبيدة حتى اعتمدت بأحد زواياها  
الأمين وتشاوروا جميعاً كيف يرفعون هذه الحوادث الى مسامع  
الخليفة .

فكروا كثيراً فوجدوا خير وسيلة يرفعون بها  
رقاع يدنون بها أيتام من الشمر تتضمن الحادثة ونهايات أرجاء  
القاعة التي يجلس الرشيد فيها وسرعان ما عمدوا الى هذه الفكرة  
فأخرجوها من حيز القول الى دائرة العمل .

لم يلبث الا قليل من الزمن حتى علم الخليفة بالمر المكنوم  
وأسكنه في قرار مكين من زوايا صدره وسافر بخافة في تلك



السفة الى الحجاز فأوجس جعفر خيفة من هذه الرحلة ونوقع أن يحدث على أثرها حوادث ذات بال

وصل الخليفة الى مكة فيث للعيون والارصاد يبحث عن ابن تمباسة الى أن عثر على ضالته وعرف النجل الطريف سليل الدوحة الهاشمية ، من سمات وجهه . كان الحسن ذا وجه مشرق بضياء الحسن والبهجة ، يشبه أمه المباشة أخت الرشيد وتكاد عيناه لبراقتان تمشيان سراحيب

كاد الحب يتغلب عليه ويشفق على ذلك للفلام الجليل بن أخته ولا المرور . نعم ! تغلب القورور على أمره وتسيطر على حواسه . أعبر الانان أمام تلك القوة الموهومة التي تسيطر على ارادته استوثق الرشيد من الامر فقفل راجعا الى بغداد مقر الخلافة ، وقد خفف ذلك من هيجان غيظه وكده . كان قد سافر الى مكة مسرعا مضطربا فعاد منها هادئا مطمئنا وقد وقف على ما يريد أن يعلمه بل مكث في محطات كثيرة لقبول الهدايا كما قل أيضا هدايا البرامكة كالمستاد وشنف سمعه بمدحهم وعدهم له وفي النهاية حط الرحال عند مدينة (الانبار) التي يستظرفها صلي شاطئ الدجلة

كان من عادة الرشيد أن يتقابل مع وزيره جعفر في هذه النقطة ، مدينة الانبار ، عند عودته من بيت الله الحرام . وكان

من عادة جعفر أن يولم فيها ولجة كبرى يدعو إليها مولا، الخليفة.  
ولكن حدث هذه المرة أن الرشيد لم يقبل دعوة وزيره وإنما فصل  
أن ينزل في قصره الخاص ليرتاح من وعناء السفر. ففهم جعفر  
ما ينطوي عليه هذا الرقص ونظر إلى أفق المستقبل فرآه مظلماً  
بسحابة سوداء اقتربت ساعة الأديار، نهالاً تسرع نحوه، وقد أصبح  
مستقبل ابنه الحسن مظلماً. فإذا ألقاه الخليفة في غيابات السجود  
ماذا تكون حاله العاسفة؟ ولم هذا الجدل المأثر وتكد الطالع؟ أهذا  
جراء صداقته وإخلاصه للخلافة منذ نعومة أظفاره، لا يعلم الرشيد  
كل ذلك؟ ماذا فعل للناس حتى يستحق منهم مثل هذا الجراء  
وكأنني به يقول لهم -

- صنعت لكم خيراً فكيف يكون حزائي شراً

هذا سؤال يجيب عليه الزمان، الزمان هو الذي يقول :

انهم خانوك لأنك أحسنت إليهم، ألم تسمع قول مشرع

الاسلام - (اتق شر من أحسنت إليه)

أخذت الأفكار تدغياته تباعاً آخذة بعضها برقاب بعض

ولكنه كان لا يصدق أن الخليفة يعلم يوماً ما بينه وبين العباسية لاه

كان جد واثق منها وممن رجال معيته. كان يعلم أن منزلته

قد قلت في نظر الرشيد. وكان يعمد وذلك إلى الوشائات التي يحكيها

الأعداء حوله. وعند ما نقل هذه الحالة إلى العباسية وجفاه الرشيد

له ارتفعت لانها كانت تعلم اخيها وأدركت بفطنتها وبمدنظرها  
 ان إدراج جعفر منشؤه علم الخليفة بما بينهما . أراد جعفر أن ينعما  
 ويسكن جاشها الا انه عشا حارب تخفيف مائة ألف حول روحها من  
 للشاعر الاولى انها كانت ترعد تحت هب ، رؤيا مفاجئة قد انقبض  
 صدرها امام مشهد مؤلم أصبحت تتوقع حدوثه الساعة قبل الساعة  
 كان الرشيد في تلك الآونة وقد سار من الانبار الى بغداد  
 في السفن وجعل قبل أن يصل العاصمة يشرب تارة ويأكل اخرى  
 وعنده ابو ذكار يغنيه فيما اقبل المساء دها مسرورا الخادم ، وكان  
 ومبعضا لجعفر فقال له

- اذهب فحيتي برأس جعفر

بعد أن اتهم جمته هذه ملا فذبح الشراب وأخذ يسمع أبادكار  
 الذي أهدته ، طيعة في تلك الساعة العجيبة هذا البيت  
 فلا تبعك فكل فتى سيأتي على الموت يصرق أو يمادى  
 وبينما كان الرشيد يستدشد أبا ذكار باقي الايات  
 كان مسرور في طريقه الى قصر البراسكة وعند ما وصل  
 هناك دخل على جعفر في غرفته بميرادن وقال له  
 - الخليفة يطالبك

وبينما كان جعفر غارقا في الحجب ، من افكاره ماودة مسرور

بقوله ،

- ان الخليفة قد صلبك

- لقد سررتني بمحبتك وسوائى بدخولك على بنير اذن  
- الذى جئت له أجل ، يجب أمير المؤمنين الى ما يريد بك  
نظام جعفر مع رجل حاشيته ووافق مسروراً الى قصر الخلافة  
وهناك ظل رجاءه على الباب ودخل معه ومسروراً الى الحديقة ووطفا  
الى غرفة خاصة على الطريق وهنا قال له مسرور  
- ان انيرة يطلب رأسك

صعق جعفر في مكانه على أنفه - هذه الجملة وتصمغ أمام هذه  
الضربة الفاصلة ووقع على رجائه بقدمه ما ناسيا عزة نفسه ووقاره  
وقال مسترحها

- بربك يا أخى عاود أمير المؤمنين ، فإن الشرب قد جعله على  
ذلك بل أماني الليلة فانه نادم عن فواه غدا  
- تذاوى الآن بقولك يا أخى وكنت قبل اليوم تأنف من  
صالحى . انى الآن لا أرحمك ولا أرحم شبابك ، فؤدأمر الخليفة  
أن تموت الليلة وليس لدى سوى هذا الامر

- لم تكن حياتى فداء الخلافة ، ليكن الموت جزاء اخلاص  
دام ثمانية عشر عاما وانما أريد أن أعرف منك أمراً واحداً قبل  
قتلى أريد أن أعلم ذبى الذى استحق ديه الجزاء  
فنظر اليه - مسرور شزرا ثم فاه بهذه الكلمة :

- العباسية -

ما كاد جعفر يسمع بذلك حتي قام من مكانه مدعوشا وقد  
لمن في سماء غياته فكرة واحدة هي أن يموت مداعها إذ ربما  
أنه العباسية بموته ، فقال :

- دعني أدخل داري فأومئ

فنظر اليه الجلاد بنفسه وقال

- لا سبيل الى ذلك

لم يطق جعفر صبرا على أثر هذه الخلة الأخيرة فهاجت أعصابه  
ومحتم على مسرور متوردا يريد خنقه إلا أن الجلاد تمكن  
من أن يتماص منه وفر إلى زاوية من الزاوية وكان يعلم أن العباسية  
ماتة لا محالة فصاح يقول

- قد قات السيدة العباسية

وقعت هذه الخلة كالصاعقة على رأس جعفر فمادت كل  
قواه وأفقده الرشيد والوعي فهرع نحو الجلاد جانيا متمنا هذه  
السكرات :

- ما انتظارك أذن ، د أعيش مدعاه عجل انرحبني

من هذه الحياة

هكذا - لم نفسه للجلاد وهلى هذه الصورة المفجعة قتل جعفر  
البرمكي بأمر من عمره ثمانية وثلاثين حجة في عام ١٨٧ ، من الهجرة .

- بعد أن أخذ مسرور رأس جعفر قدمه الرشيد علي وسا  
من الاطلس فأمر بتعليق تلك الرأس التي أحب صاحبها وصاد  
زمنها ، على جسر بغداد وأن تحرق بعد ذلك مع الجنة وأن يقة  
كل من يتشدد بكرم البرامكة ومروءتهم ومن يرثيهم به  
مكتبهم . أما منصب الوزارة فقد اسند به جعفر الى هذوه اللده  
الفضل بن ربيع حاجب قصر الخلافة سابقا  
ومن عجب ما وقع في ذلك مارواه العمراني المؤرخ قال حدث  
فلان قال :

« دخلت الدويان ، فظرت في بعض تذاكر ابواب فرأيت  
أربعة مائة ألف دينار ، ثمن خلعة لخدم من يحبي الوزير ، ثم دخلت ..  
أيام فرأيت تحت ذلك عشرة قراريط ثمن نفط وحواري . لاجرت  
حثة جعفر بن يحيى سمجت من ذلك ،  
هكذا يريد القدر ومن يستطيع الوصول الى حكمة ذلك ؛  
مسكين أت يا جعفر قد صرت مظمراً لقول القائل  
« ان كان ياقلب نصيبك ، ظلم والهدف في هذه الحياة فقد  
تسلها من الاصدقاء قبل الاعداء »

## الفصل السابع

على أثر هذه الحادثة قام الرشيد ومعه مسرور الى قصر أخته  
بعباسة وكانت في الطابق الاسفل لم تذهب الى فراشها بعد ، قد  
معدت السفر الى خراسان في اليوم التالي ولقد دهش أهل القصر  
من حضور الخليفة فجاء بعد نصف الليل فهرعوا الى العباسة  
بدعورين يحتاج الخوف في أمثلتهم بخطر ونها بالامر  
وقد اقربت وصيفتها التي لم تمارفها طول الحياة ترجوها  
لرول من الشرفة الى الحديقة فلهروب عن طريق الدجلة إلا أن  
العباسة اكتفت بأن تقول :-

- بنات هاشم لا يعرفن سبيلا للهروب

قالت كلنهما تلك وقامت من فورهما لتستقبل أخاهما وتلافت  
معه في أول ممشي القصر فسلمت عليه باحترام إلا أن الرشيد لم  
يحاولها بل حل يسير ساكنا حتى الغرفة التي اعتاد أن يحالها فيها  
وبعد ان جلس على مقعد قال لاخته

- أوصدي الباب

أوصدت العباسة باب الغرفة وعادت هادئة ساكنة وكان  
الرشيد ينظر الى وجه اخته مدهوشا وقال لها :

— أنعمين حبيب عجبتى اليك الالية ، إن كنت جاهلة ذلًا ،  
فها أماذا تخبرك . جئت لاسمع من فك غنائك لي وحياتك لي  
هاشم . ما أنت بعد الآن أختي . قولى ما تريدن ان تقولىه فما  
ان تفارقى الحياة .

فأجابه العباسه - بدره بال

— لم أرتكب أولا ما يشين سمعة نبي هاشم ولم أحاط ذنبا  
أمر - ولا أهاب الموت كما أنتم . انى اذوانت من اسرة واحدة  
دغم اباكرك ولكنى لم اتمه ما تريدن ان تقواه فهل لك ان تصح  
بالأمير المؤمنين ؟

— لقد فلت أوان الزينف . اعترفى لئنم كل شئ . قال عالم  
بالامر وقد سمعت قصة جعفر ولا أستطيع ان أصح عن شامتك  
لأمرى واختلاصك بجعفر ، ذلك لملوك العارضى ولا يمكن أن  
أنسى تلافيكما معاً . انى نافر منك فيجب أن نموتى

بموت العباسه ووقفت جامدة وسط العرفة لا تبدى ولا تميد  
ولا تستطيع أن ترمع عينها من وجه أحبها المتقد بنيران الغيظ  
والضيق فصاح الرشيد بقول

— نكفى انى منتظر لجوابك .

فأجابته بصوت منهح كأنما كانت تصحو من كابوس مريع  
— انى حيلة جعفر أحبته واعتدت عليه . وما أخطأته من نفسى



هذا المقام الأجل لك ولما فيه من مزايا وموهب. فإذا كان ذلك حراماً  
فانتقض على حياتي. نبي بين يديك وأنا أخطرك بأمر فيه صالحك  
وتفعلك. لا تقتل ذلك الذي تقول أنه مملوك عرسي، ذلك الذي صير  
بعداد والدولة على نحو ما ترى ورقة من شأن البلاد (١). انتك ان

(١) صدقت الاميرة فيما تشتهى على لسان المصاحبة، من حفر  
هو الذي رفع من شأن بعداد وجعلهم عاصمة الخلافة. مهدي الحصار  
ومعظم المدينة والعمران. لقد أسرف الرشيد في ضم المكنة وبنى  
أنهم في تنظيم الدولة من عهد حدهم حله. لم يكن حله من أكرم  
أعوان إلى مسلم في نقل الدولة من الأمويين إلى العباسيين. تسمى الرشيد  
في بكنهم ما كان من محبة حله لعهده إلى حمير المصور عند ما قتل  
الأمير في الفرس ولا كراد عليه بهيك عما كان من تدير شؤون الحكومة  
وتعظيم دورها على يده ويدها به يحيي وحميده الفصل وحمير  
البرامكة كانوا حمل الدولة وقوام أمتها وكانت بعداد ملائمة بأثار  
فصلهم وحمودهم. أقاموا فيها المكاتب وحلقات الدروس ومدارس الحنفية  
والملاحية وبحال القضاة وغرف الشرطة.

روجوا العلم والفلسفة وشجعوا أهل الذمة وغيرهم على ترجمة كتب  
اليونان والفرس بما كانوا يبذلونه لهم من الاعطية. وما ينفقونه في هذا  
السبيل من الرواتب وكفى يحیی بن خالد ثراً أنه أول من عني نقل  
المجسطي من اليونانية إلى العربية.

سما في جمع الكتب من الهند وسواها واحتقدوا بطس الأطباء  
من مختلف البلاد لترويج صناعة الطب ويكفي الفصل بن يحيى من

فعلت ذلك بذكرك التاريخ خلافاً معسفاً وبذكر أيامك بالمار . إذ  
كنت تريد ضحية فيها أنذا . سكن نائرة غضبك بالقضاء على حياتي .  
ولكن أنا ما خالفت لك أمراً . إذا كان احترام عقد أمضيته أنت  
بيدك بعد خيانة فانهني . تذكر المولى واخش الآخر . ان العدا  
الالهى سيذكرك بموافك هذا

ففرع الرشيد من مكانه حاقاً وعيناه تنقدان بنيران العيف  
وهجم عليها يقول :

- قد تجاوزت الحد . ألمني هذا القول . وباه لا أستطيع  
احتمالاً . أنت مجرمة فيجب أن تموتى . كنت قد قيدت انعقد  
بشرط أنت الآن تنجاهل .

- كلا لم آسأه ولكن هل هو شرط مشروع ؟ أن يوز أمثال  
هذه الخيل في ديننا الحنيف ؟ ثم أرتكب أمراً يخالف للشرع  
واتما أنت الذى تريد أن نحرّم ما أحله الله . ألا اتق الله فى نفسك  
يا هارون ابن إيتاك ؟ ألم تنشأ معاً ؟ ألم نعطى على بعضنا منذ  
الصغر إن تلتى أذهب ضحية على مذبح غرورك . أما جعفر  
فأنت تعلم شوائبه ومزايه حق العلم ولن نجد من يسد فراغه فان  
كنت مصمماً على ضحية فما أنذا بين يديك . إنزل سوط غضبك  
الانز الجليل فى عمران بغداد أنه أول من سعى فى صمرانها وأنه أول  
من سعى فى استعداد الكاغد (الورق) فانشئت له المعامل فى بغداد

ي برىء واحد ولا تلوث يديك بحريتين  
 لم يتمالك الرشيد نفسه عند سماعه الجثة الاخيرة -  
 اساح مزجرا :  
 - ادفاعا عنه اُمأى . ستونون انتم الثلاثة : أنت وهو  
 وحسن . انا الخليفة لامرد لامرى  
 فرك اسم ( حسن ) عواطف الامومة في نفسها فارغمت  
 قد قدسى اخيها تصيح  
 - برك اصفح ولا تقبل مغلا برثا معصوما يا أمير المؤمنين  
 كوالدفاق الله ، انا لا اطلب الصفح من أخى انما أرجو الغفران  
 من الخليفة هارون الرشيد  
 كانت العباسية تبكى بكاء مرأ . وهى لم تفقد حرارتها حتى  
 تلك اللحظة ولكها أصاعت كل شىء واحلمت لنديا في عينيها  
 وسبحت يا أمة ممسكة الاوصال عند ما ذكر مقتل ابنها  
 لم يعبأ الرشيد بتوسلاتها وام يحركه بكاءها بل قال :  
 - كل هذا لا يجدى . قد فت كلتى الاخيرة  
 وبادى مسرورا بمد ذلك افهمت العباسية قصده فاعتدلت  
 ووقفت شاحخة برأسها تستشهد وتستغفر  
 دخل مسرورا وانهى أمامها ولكنها لم تحفل به ولم تتنازل  
 الى رد السلام وانما حولت وجهها الى الكعبة ، مقر ابنها الحسن .

وقد كانت تظنه على قيد الحياة، تدعو المولى أن يكلاؤه من  
عنايته ونحو ذلك بعد ذلك نحو قصر جعفر وفي لحظة أطار مسدود  
رأسها بصرة واحدة من سيفه فوقع على الأرض متدحرجا حتى  
أقدام الرشيد . . .

نلكا العيان الجليتان كائنا نظران إلى الرشيد تفكرانه  
بقضاء الآخرة عند ما ينصب ميزان الأعمال، فارتفعت روحه  
داخل جسده وقام من فورده بأمر ممرورا بأن يدخل فيماد به  
فوقه امرأة عشرة رجال حفرها وسطها حفرة وارووها  
وبعد انعام أمية أمر الرشيد بقتلهم وبأن ترمى أجسادهم في الدوحة  
عند مائة الفاجعة وخرج الرشيد من عرفة صحبة كل  
لحمان الصبح قد بدا وكانت أصواء الصباح الواقعة إلى الغرة من  
حديقة القصر تنير هذا المرقع الذي يهدوه وجلال

انقضى عمل الرشيد والنائم جراح غروره فأدار أكره  
الباب استعداداً للخروج ولكن ما كاد يفعل ذلك حتى ارتد به إلى  
من تأثير أنوار الصباح، هجم الضوء إلى العرفة من خلال الباب  
وملأت أرجاءها أشعة الشمس الآخذة في البزوغ مارة في  
طريقها إلى العروة بالورد والزهور وغائل القرنفل والياسمين  
فتصنع من ألوانها وروائحها الزكية باقة معنوية تضعها باحرام  
لجلال فوق مضجع العياصة



العمامة للرشيد لانوث يديك بحريتين



كانت الطيعة رغم اشراقها كريمة مطرقة ، هادئة يكسوها جلال  
لموت كأنما هي أيضا تنكي العبرة وقد كانت زهرة من زهراتها  
لو وقع مثل هذا المرور في أوائل الاسلام لدمشنا ووقفنا  
مهاوي أخيرة غير أن حدوث هذا المسف في القرن الثاني من  
لهجرة في ذلك الدور العظيم يأخذ بيدنا الى مناهج التمكيد  
لعميق. اني لا تخشى تدقيق ومحاكمة هذه العاجمة المؤلمة التي  
سودت صحائف الرشيد فالزمان قد قاساه

ان هارون الرشيد ، رغم صفاته وفصائله ، رغم مزاياه  
مناقبه قاتل سمك دماء جعفر ولم يقدره حق قدره

قد لوث يديه بدماء بريئين فلا جوده ولا كرم طباعه ولا  
نهرته ولا استمهال نفوذه تشفع له أو تزيل أثر الدماء من يده  
عند ما نقرأ تاريخ حياته نشور نفوسا ونشرد ، إنا نعلم  
أن مقالة الاحسان بالاساءة كانت من صفات الاقدمين ، لاسيما  
أيام حكومتى دوما واليوهان وسكننا قد دمدم ونشبت في ايجاد  
لمبررات لهم لانهم كانوا محرومين من نور العدالة الاسلامية  
فما الرشيد فسلم ومن بني هاشم فكان زائما عليه أن ينجلي المروءة  
ولكنه أبى إلا أن يضرب عظمه المستبد للفرور .

واني كامرأة رأيت من واجبي ان اقل سيرة الرشيد المعروفة  
كثير وتاريخ حياة جعفر المعروف قليلا وحياة العباسية المحاطة  
بغموض والابهام على هذا الوجه المبسط

٤

# المللكتة عصمة الدين

﴿شجرة الدر﴾





## الفصل الاول

الزمن مقياس الحياة ، ولولا الحياة لما كان الزمن ، ولما كان  
للأشياء بدايات ونهايات .

ونهاية كل أمر بداية أمر آخر ، فإذا اصمحت أمة من  
الأمم واحيى من صحيفة البقاء كيالها نشأت على أطلالها أمة أخرى  
كيان آخر . فكلمة ( الزمان ) من مخترعات لانسان ، وضعها  
بمسبها الحياة ، وليعبر بها عن سلسلة من الوقائع والحوادث  
. شئون ، طويلة الأمد مخمنة الخلقات . فهذه الكلمة مدلول  
وايس لها وجود .

وحياة كل شئ زمان قائم بنفسه ونهاية زمنه بداية حياة  
الشيء .

هاكم شجرة الدر التي تقص اليوم سيرتها الفريية وقد كان بدء  
حكومتها نهاية زمن جليل وعصر عظيم . أجل فهي بدأت حكمها عند  
. أهل نجم حكومة الأيوبيين العظام . وقد كان ابتداء هذا النور  
موق أطلال الحكومة الأيوبية أول نجمة من نجوم الأمل في سماء  
دولة المماليك . لقد انارت تلك الشرارة عسرها ، فكانت شجرة الدر  
حافزة الاتصال بين الأيوبيين والمماليك وتمكنت بهارتها من اظهار  
شخصية ذات رونق وجلال :

مصائب قوم عند قوم فوائد . كانت شجرة الدر راضية ، وثرية .

بين مخدرات الاسلام . فهي فنانة تركية عالية القدر ، جميلة الصورة  
جذابة الملامح . ذات دراسة وتدريب . على علم واسع ومعرفتنا  
لها عزة ماضية وجأش ثابت فاشتهر أمرها وطرصيتها في اقام  
البلاد ولا مصاره

واذا استثنينا بلاد الهند . فهي المرأة الاولى في الاسلام  
تقلدت الملك وادارت دولة الحكم بمهارة ودراية . لم يكن  
المألوف المهود في بلاد الشرق أن تحكم المرأة وتولي زمام بلاد  
بنفسها مباشرة ولذلك كثيرا ما قرأت قصة حياتها مشقوقة  
بالاستمرار بين طبقات بعض الرساثر والمخطوطات والدهشة  
تملكت قلوب كاتبها من أن امرأة تن وصل الى الحكم دولة  
الملكة عصمة الدين .

ان وصولها الى امر كهذا غير مألوف من أبدا فومر دليل دولة  
ودراية وذكا فائق الحد . أجل فن من النساء السلمات توصلت  
ضرب النفود وفراة الخطب على المنابر بالاسم ؟

كانت في أول أمرها جارية طريفة بحبها للصالح نجم الدين  
الملك السابع في حكومة الايوبيين فولدت له علامة سمي خيس  
وتزوجها بمد ذلك وأشركها في الحكم . كان الملك الصالح يحب  
ويحسها بالاحترام ولقد أعمرت قرة خارقة للعادة في إدارة  
الامور ، أدهشت معاصريها

ركت شجرة الدر زوجها في ادارة الحكم منذ كان وليا للعهد ،  
 ثم دمشق من قبل أبيه «الكامل» فأمدته برأيها وأعاته بفكرها  
 ماتت الزوجة الصالحة ، شريكة العمر وصديقة الحياة ، فبدأ يشم  
 هذه الممونة الأديبة ويقدرها حق قدرها ويربها (١)

دار الزمان دورته ومات «الكامل» فاضطر الملك «الصالح»  
 إلى العودة إلى مصر ، مقر العرش والحكم ، تاركاً وراءه ذكريات  
 لدة من أيام الهناء بين رياض دمشق وحدائقها النماء. هنا بدأت  
 معه وجهوده ، فقد كثرت الفتن واشتدت العارات في أول  
 نوبته الحكم فكان لا ينتهي من قمع فتنة حتى يرى نفسه أمام غارة  
 جديدة تهدد كيانه البلاد فيمضى إلى صدورها كبح حجاج الدين بربدون  
 عدو شر ، ولا يكاد يدفع ضررها حتى يسمع بالدلاع الحبيب فتنة  
 أخرى في قلب البلاد فيسرع بحوها كل هذه المشاغل والتماعب  
 صوته فيمد جواده لا يفارق صهوته ايل هار .

كانت فتنة الشام أشدها مراساً وأذكاها تراً فخشده جنوده  
 وحضر إلى مكان الفتنة على رأس جيشه ونعد أن كابد المرائر في  
 سبيل قمعها انتصر على الماصين وتمكن من الضرب على أيديهم  
 وتذليلهم ولكن لم يتيسر له أن يجي ثمرة الانتصر وأن يهاب بسعادة  
 الفوز ، لأنه أصيب بداء عضال أقمده في فراشه شهوراً طويلة .

(١) الدر المنثور

كان يتمنى الى رؤية وطنه مصر ويذوب شوقاً وحنيناً الى نيل  
 بلاده المذب ، فيقدمه الرغبة في انجاز ما نذب نفسه اليه من الفضاء  
 على الفتنة واجشائها من أصولها وعدم القيام من دمشق قبل تمام  
 الاشياء . وبينما هو يتأمل على فراش الأوجاع والاصاب ، بين  
 لذيذ الأمانى والأمال ، اذا برسالة من زوجته شجرة الدر التى كانت  
 تحكم البلاد أثناء غيابه ، تخبره فيها بقيام الصليبيين من قبرص  
 متوجهين الى مصر ، فقام من فورده نحو لا على هودح حتى وصل  
 المصورة فى بعثة أيام قسى أمها أشد المتاعب والآلام .



## الفصل الثاني

عام ٦٤٨ من الهجرة

أصيب لويس التاسع ملك فرنسا بمرض عجيب ، أعجز  
 دس الأطباء ومهرة الحكماء في علاجه ، فصرخوا كل عهودهم  
 الله وأعملوا كل ما استطاعوا من حديق وفكرة في سبيل  
 الوصول الى تشخيص المرض ولكن دعيت أتماه وجهودهم  
 أذاح الريح . ثم ينكروا من تخيف آلامه وأوص به فرقت  
 فرنسا في مهاوى اليأس ودمكت لا تدرى سبيلا الى نوحه الملك  
 ثم وقع فيه الى أن حطرت يوم . . . ( بلاش ديكستيل )  
 ثم مات و ( مرعرب دوبر وفاس ) روحته أن يحمها كآر  
 القفس ورجال الدين ليعمدوا عنه للمشاورة بما بينهم فقررو  
 أن يقد السموع في كل بيت وأن تهم الصلوات في الكنائس  
 على الدوام وسرعان ما قبل الكبراء والأمرء على تهمه  
 العكسة ، فدوة لمن دونهم من العامة ولم تمض فترة من الزمن حتى  
 كان جميع المسيحيين على ذلك المواعيد السموع ولا تهل  
 في القدس بلدت و ت . . . ونكر عن الملك لويس  
 . . . تراش . . . في آلام مرعبة الوبير وداهم المص . . .  
 السموع . . . ولم ترفع دوات . . . و تهللات . . .

رد القوة والحياة الى ذلك اللسان المشلول والجسم المفلوج فاحتم  
على حاله من الوهن والجود كأنه صم ملقى تحت الأحف والأرد  
اشد قاق للشعب ودب اليأس في قلوب القسس فكلم  
ترام في اسواق المدينة وشوارعها يقطعونها طولاً وعرضاً بمساجم  
الطويلة وثيابهم الكهنوتية ، وقد أيقنوا بأن شعاه ما يكمهم  
رابع المستحيلات لقد بدأوا يشعرون أن الملك مقضى عليه بالهلا  
وأن الموت على قاب قوسين منه أو أدنى بمد أن جربوا كل تعاوين  
وأدعيتهم فذهبت أدراج الرياح . لقد يئس السكل الالملك فهـ  
بقيت في صدره بقية من نور الأمل تخفف من لوعته كما  
لا يستطيع أن يأتي بأدنى حركة أو يحرك لسانه بكلمة ولكن  
قراء العقيلة ما زالت كما هي تجس بتوسل الى ربه بطلب الشفاء  
ويعال المرض بقوة ارادته ، معاهدك ربه سذر جملة رهن شعاه  
وقيد تخلصه من أسر بلواه . فقد أنذر وبالهول ما أنذر . . .  
أنذر أن ينقد بيت لقدس من المسلمين ويخلص تلك الاماكن  
الطاهرة من أيديهم القدرة ان تم له الشفاء وكتب له ربه لعافية  
والحياة الأمل حياة والنأس موت ، فقد دب ديب الحياة في  
تلك النفس الحائرة الحائرة حول الأمل وأصبح الملك عقب  
ابتهالاته النفسية يتماثل نحو الشعاه شيئاً فشيئاً موقناً أن نذره  
القريب كان سناً في شفائه زاعماً أن المولى لم يمن عليه بالشفاء



بيت المقدس



اليهود في بيت المقدس





الاعزاه على تطهير بيت المقدس من أيدي المسلمين الموثرة. ولقد صادفت هذه المقيدة العاسدة هوى في نفس المسيحيين في زمن كان فيه بيت المقدس محفورة بناية المسلمين ورحابهم أكثر من أي وقت آخر<sup>(١)</sup> لأن المسلمين وقتئذ كانوا أشد عسكاً بالدين، هذا إلى أنه بيت محجوج من جميع طوائف الشرق مرءوق بسين التجمل والاحرام من الجميع لبلاد الشرق مزينة لا يمكن إنكارها مع ما لها من مثالب ومساوى، تلك المزية هي احترام الشرقيين للمعابد وتقديسهم إلا ما كن المقدسة هذه حقيقة لا يمكن نكرانها فاحترام للشرق لكل مكان مقدس<sup>(٢)</sup> عريضة كامنة في نفسه ورثها عن آبائه وأجداده جيلاً بعد جيل.

كان البيت المقدس وما رل إلى يومنا هذا مسجداً محجوجاً من كافة أقطار العالم الاسلامي يزورونه ويقدمونه ويقبضون فيه شعائر الله ويحافظون على ما فيه من الآثار والتحف يحافظون على

(١) في بيت المقدس اليوم من التصلبات التي تمت في أيام مختلفة من عصور الحكم الاسلامي ما يدل على اهتمام الخلفاء والامراء من كافة أقطار العالم الاسلامي بالمسجد الاقصى.

(٢) قال الله تعالى في كتابه العزيز: (و بيوت اذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله)

أعز الأشياء وأحبها إليهم تلك الأندى الموثقة حسب زعمهم للضعيف  
وقياسهم الباطل طالما رفعت ما نهدم من أركانه وأصاحت ما تصدع  
من بنيانه فأعاد له الجدة زماناً بعد زمن وجيلاً بعد جيل ليكون  
لساناً ناطقاً وشاهداً عادلاً على احترام المسلمين عامة لمسحدهم الأقيس  
أما فكرة التخريب فلم تخطر على بال أمير مسلم مهما تنافى في الظلم  
واشتد في الجروت والفساد يجوز أدأ والحال على ما مضى تضحية  
المثبات والالوف على مدح التعصب؛

أقد أزهقوا في حرب مقدسة واحدة ما ينوف عن سمين  
الف من المسلمين الآمنين في ديارهم، فأصابوا من أعراضهم ومثلوا  
بأجسادهم حتى بلغت بهم العظيمة إلى حد استخرج صرائر القلوب  
ووضعها في القوارير ليستصحبوها إلى بلادهم كأدوية ناجية لبعض  
الأمراض حسب زعمهم الباطل

لقد امرهم لأخيل بالرحمة والشفقة وإن يدبر المرء خدعه  
الأيسر لمن يصفه على خده الأيمن فهل صدعوا بأمره هل المسيح  
هو الذي أوحى إليهم بأثرة تلك الحروب الشديدة يرضى منقذ  
الإنسانية والآمر بالاحسان والحن أن يموت الأنوف من أهل  
الهلل في سبيل عرور حملة الصلحان؛

أما وقد أبان لويس التاسع عشر من مرضه فأرسل إلى البابا  
يعرض عليه عزمه على تنفيذ ندره وأنه مستعد لتجهيز الممدات

لذلك وما كاد يصله الاذن حتى أعد الحلة الصليبية للسيدة وقوامها  
خمسون الفا من الجنود ووثق قطعة من السفن ولما تم له ما أراد  
ابحرت سفنه بتلك المدة وذلك المدد ووجهتها جزيرة قبرص



برى القارىء من خلال ما نشره ان الصليب ينافس الهلال  
منذ زمن بعيد ولقد أصبحت من القواعد المقررة لديهم ان للصليب  
قد يتسيطر في كل مكان ينير فوهة الهلال اما الهلال فلا يجب ان  
يمسى فوق مكان يحكم فيه الصليب لأن الصليب لا يريد ان  
برى رفيقا له ولا أن الظلم يمشى معها منوه الهلال ان الزور والبهتان  
لا يدومان لهما سلطان ولا ينطيان على الحق أو عما نوره اما  
الفوهة فقد تضغط على انقاسه فحسب

الشرق اكبر حلما وكرم وفادة وأشد تسامحا من الغرب من

كل الوجوه

لقد شاهد ملك فرنسا انه ان يهاجم الصليب في وقت أسف  
اليوم على مثله لم تكن اذ ذلك تمت قوه تستطيع ان تصدع عصية  
الاسلامية او تقف في وجه وحدتنا الدينية لقد فشلت كل محاولة  
مقدتها أوروبا ضدنا وذهبت مساعيهم التي بذلوها في سدل تشتت  
شملنا أذراج الرياح اذ كانت ترتطم ببعض نحن اهل التوحيد عروة  
وثق برباط معتزى واحد كتنا نصدا كل بقرة بقوة اسد منها هي

قوة الاتحاد فكانت كل صدمة منهم تكسر وتتمزكة قطع الزجاج  
 حقوق سور منيع هو سور عقيدتنا



أقام لويس التاسع أمه على منصة الحكم بذاته وسائر الى  
 قبرص في بضع أسابيع ومعه أقاربه وزوجته ووصفوها في موسم  
 الشتاء وابشوا فيها حتى انقضاها وكان فرسان الجزيرة قد أخذوا  
 في تمذيب من عثروا عليهم من أسرى المسلمين بأواع العذاب  
 وألوان الضيق وكانوا يكرهونهم على قبول الصراية بأمر وكيل  
 البابا فيحلى سبيل من يقبها أحد الموت وتقطع أوصال الدين برفضون  
 تمبير عقيدتهم

وقد كثر هؤلاء الأسرى المساكين في أبدى الفرسان  
 من طريق العريضة وقاسوا عسما شديدا وطعاما مبركا طول مدة  
 الشتاء حتى أنهم لم يتركوا نوعا من أنواع التمهذيب المروفة في  
 القرون الوسطى دون تجربتها عليهم وبعد أن أقام لويس وحاشيته  
 على مئر هذا الذئ في وارفاق الانفس البشرية خلال ستة شهر  
 قام به ودهه شرعا بهه محو مصر ووجتهم بيت المقدس لتطهيرها  
 من أبدى المسلمين

## الفصل الثالث

وصل الملك الصالح مدينة المنصورة، مضى الجسم، صريضا  
منهوك القوى فإزم نوا فراش المرض. كان يتألم من دماغ فوق  
ركبته ومن نزلة صدرية وفدت اليه أثناء الطريق "وكانت حرارة  
الجسم والسهل الطويل يندراجه يحظر الحل فينس من حاله وواقع  
في وهدة الاضطراب اذكر لا يستطيع الاشراف بنفسه على  
تمشية الحبش وما يارمه من الممدد ومع ذلك فلم يأل جهده في  
اصدار الاوامر المتتالية والمخطط الحربية لتحصين دمياط واعدادها  
للكماح والدفاع.

لقد أتم تحصين (دمياط) كما يجب وجوزها بذخائر ومونة  
تكفي حاميتها شهورا عديدة ثم شرع بهد ذلك في اعداد الاساطيل  
من القاهرة وحشد الجنود المصرية عند الساحل الغربي من دمياط  
تحت قيادة أمراء مصر ووجه القيادة العليا الى الأمير تقي الدين  
يوسف (٢) ...



(١) المخطط التوفيقية

(٢) المغريزي

وفي اليوم الثاني والعشرين من شهر صفر عام ١٤٨ هجرية  
حاصر الاسطول الفرنسي ثغر دمياط . ثم طالب الملك لويس -  
جريا على عادة الصليبيين - تسليم الثغر من حاميته وعند ما رأى  
علامات المقاومة وجه خطاب تهديد الى الملك الصالح ، نجم الدين  
الايوبي قل فيه :

« انك لتعلم اننى حامى ديار المسيحية كما انك ولى أمر المسلمين  
ولقد سمعت بلا ريب ان مسامى الأندلس قد أصبحوا اليوم أيضا  
في قبضة يدينا ، مستظلين برايتنا وهم يهرعون اليينا من حين لا آخر  
ذرائع ووحدا بنا بقدهون اليينا أموالهم وما ملكت أنفسهم رغبة  
في رضا أنفسنا وهم كالأنعام ، تقتل ذكورهم وتترك نساءهم أيام  
نسي أولادهم وبناتهم ونصير ديارهم خرابا بقنا ما علم ذلك إن  
كنت نجهله وتصبحى اليك أنى سأحاربك وأقاتلك معهما بذلت  
لى من وسائل الغرب ، اننى مهاجمك حتى لو أقسمت غير الصراية  
وارتديت ثياب القس وجمت الشموع أمامى . إما أن أفوز عليك  
فأجعل بلادك تحت قبضتى وإما انك تغلبنى على أمرى ها أنا  
مخبرك فلا تدس ان جنودى كثيرة درجوا لاجمعى لهم عدد يلاون  
الوديان والجبال وينافسون الجمعى كثرة وعددا . سوف لا ينفد  
هؤلاء الرجال سيوفهم بل سيهرعون نحوك لهلاكك ووارك ،  
لم ينته تلك الصالح من تلاوة الخطاب حتى بدت على رجليه

علامات التأثير وطفرت دموع الأثم من عينه ثم ناوله بمدد ذلك  
الى الماضي مهاء الدين الزهر اوى الجالس عن يمينه ليقراء بمدد  
النشاور فيما بينهما وبين رجال المعسكر أرسل الرد التالى :

« بعد البسملة والحمدلة أخذت كتابك وانك لتفخر على بكثرة  
جنودك وتهددنى بمالك من عدة وقوة الا فتعلم أنا رجال سيف  
لا نحشى امراً فى سبيل كلمة الله فن مات هذا شهيداً قام مكانه مؤمن  
آخر ومن قصدنا بسوء فاعما هو وارد الى حقه بطافه ألا تبصر  
هينك المفرورتان حدة سيوفنا وعظمة ابطاننا ؟ أنسى من رؤية  
القلاع والسو حل التى فتحناها وديار الاعادى التى أبدناها ؟ لو  
عميت فى أمرك لظهر لك سحر رأيتك وتكليف نفسك مشقة  
لا طائل تحتها ولا مطمع من ورائها لوزويت وتبصرت املت  
أى منقلب ينقلب الطالمون ؟ قال الله فى كتابه الزبر وكم من فئة  
خليلة علبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين »

قرأ لويس التاسع هذه الاسطر البارية فجمع رجاله فى الحال  
وشاورهم فى الامر وما كادوا يشيرون عليه بنزول الجنود الى البر  
حتى وضعت جنوده أرض مصر وأمامهم وكيل البابا يحمل صليبا  
كبيراً ومن ورائه لويس التاسع يحقق الاواء المقدس فوقه وفوق  
عائلته ومن خلفهم الخاشية والجنود :



بدأت الحرب مساء اليوم العشرين من شهر صفر واشتدت  
هجمات السفن لاسلامية على الاسطول الفرنسى شدة كادت  
تؤدى الى فشل السيايين وفي تلك الساعة الرهبة التى كان  
المسلمون فيها يقاومون أهل الغنائم مضطروهم ويتفوق هجمات  
العدو ثبات وعزيمة صادقة ، تراحم قائد المسلمين الأمير بحر الدين  
بالاسب وأحدولى الادبار ، كادت الجيوش لاسلامية تشرع  
قائدها حتى تولاهم الاضطراب ولادوا ايضا ما امرار اسوة قد ندم  
فساد الهرج والمرج بين صفوفهم واحتاط حالهم فاتهم سرع  
معدن فى الاربوب بكل ما فهم من قوة حتى وصلوا (شعور) ما  
الاهى فقد دعرو لهدم اخوة فعلوا ما وصل أيديهم من مل  
ومتاع متعقبين أثر خض ومن يرتفع ستار الليل عن دمايط حتى  
كادت سادة على عروشهم ، بعض فيها نازان من سكانها ، ما  
الصيدون بسبب ما رواه اهلهم ، ما يؤمد ، اشتبهوا فى الامر  
وحالهم ، نعتهم مدية من مسلمين لاية لهم فى  
فخ معصوب وقربوا من عدوهم وحسن ، حفزين يقدمون رجلا  
ويؤخرون حري وعندهم شروا بخوها تقدموا اخرهم ، متعسرين



ودخلوها دخول الظافرين المانيين .

ما أشد دهشتهم أمام ذلكم الغز . لقد ترك الجيش المذتور  
كل سلاحه وخلف الأهالي أقواتهم وأرزقهم التي ادخروها لسنة  
أشهر : . . . لم يبق في المدينة انسان واحد ولكمها كانت سلوة  
بالذخيرة والسلاح فما هذا التناقض لقد غنم الصليبيون واحرزوا  
العوز ودخل صليبيو القرن السابع مدينة دمياط دخول الظافرين  
دخل صليبيو القرن العشرين مدينة (رق كابت) " أبجف أهل  
الهلل من الصليب الفلوب الصافحة الانان اس مهم مقسم للحرف  
التاريخ عينة : . ما كاد الصليبيون يتولون على دمياط  
حتى حولوا جوامعها الى كنائس واستنوا في ربوعهم آسب من مشين  
وقد تمكنوا أحكم القلاع المصرية في زمن وجزوق في رصة غربة  
ما كانوا يحسبون بها وهامى الداهية قد اسحت في يد ذراع مهم  
يحملون اليها ملى شادوا اسقطوا في يدك الصليبيات في عصبه  
اشتد بأسه ورادت الآلهة وأوحاه لكم هب في الحبل مدهوعا  
بمرقة صعدة ووقف ام الحث في ريد زيره الى ان تمكن  
من ذلك .

والاستب به الامر جمع مرة خرد . . .

(١) يلاحظ ان سمو لاميرة كتب هذه الصفحة سنة ١٠١٣  
السن لان الجزء الاول من لاصن المركي مطبوع سنة ١٠١٣

في الحال حتى انه صلب في ساعة واحدة خمسين من (مناجق)

الجيش<sup>(١)</sup>

تقدم يوم الامير نغر الدين بفراره وتمهقره هذا جيوش  
المسلمين بوصية الدار واصاع على المسلمين انواتا كثيره وابوالا  
جهة ونفوسا زكية وقد وجه الملك الصالح حمته بعد ذلك الى تحصين  
المصوره وما بجوارها من القرى ولداكر ولكه لم يفس ضياع  
دمياط فكان لا يكل عن تجربة الذين تسدوا في المزمرة كان يذل  
دموع الذاب اسي وحزنا كذا ختمت في نفسه ماذنة لك الخيانة  
ثم تمرد اتباع الامراء الذين اهتم العقاب وحاولو المصيان والوقوف  
في وجهه الا ان الامر نغر الدين تمكن من اسكاتهم واقناعهم  
موصحا لهم مرض الملك السامع وقرب دنو الاجر من امير البلاد  
كان الامير نغر الدين مستحقا للعقاب والجزاء إذ كان اس البلاء في  
حادثة الانهزام ولكنه تراص من العقاب بسهولة ولم يصيه اذى ...  
لم يشترك الفريقان عقب سقوط دمياط في معارك حاسمة بل كان  
للحرب بينهما سحالا ، يتصادمان في مواقع صغيرة ، وكان عدد  
الاسرى من الصليبيين يتزايد ويكثر يوما بعد يوم وكان كاملا

(١) احدى رتب القيادة في الجيش حسب النظام التركي للتقديم  
وكلمة (مناجق) معناها القواء وهذه الرتبة هي نفس رتبة (أمير  
القواء) الحالية.

بجمع نفر منهم أرسلوهم الى القاهرة وبدأ المسلمون يستردون قوام  
 يجمعون شتاتهم شيئاً فشيئاً وقد أحرزوا فوزاً في بعض المارك  
 قوى فيهم لامل ودب في نفوسهم الدشاط الى الاستعداد امركة  
 حاسمة يطحنون فيها جيوش أعدائهم وهم على مثل هذا الحال  
 من الامل والثقة وادا بالملك الصالح تشدد عليه وطأة المرض في  
 ليلة الأحد من اليوم الرابع عشر من شهر شعبان وما أشرفت الشمس  
 اليوم التالي على حقول المنصورة التي ترين ضفتي النيل حتى  
 أنت روح الملك بعيدة عن هذا العالم العاني، فلما من العمر اربعين عاماً  
 قد كتموا خبر مرضه، حذر للقلاق وحشية اضطراب الجيش  
 قلوب جنته سرّاً في بؤس من المنصورة الى قصر النيل حيث كانت  
 سكن شجرة الدر ودفن في قلعة الروسة. لم يعلم بألوفه سوى  
 شجرة الدر وبعض أفراد من المقربين المحاصرين، إذ كانت الاميرة  
 تحاف من ثأره القتل والقلاق فأرسلت الى رئيس الأغرات  
 والى قائد الجيوش نفر الدين تطالبهما وأخبرتهما بما وقع وسردت  
 لهما الاسباب التي حدثت بها الى كتمان الامر فاستصوبا رأياها  
 وأقرهما على ما فعلت ثم قرر الثلاثة في تلك الجلسة أن يرسلوا  
 (أق طاي) أحد أمراء الجيش الى الملك المظفر توران شاه بن الملك  
 الصالح دوى عهدانه لطلبه المقيم في (حصن كيه) لاحضاره في الحال  
 وبعد أن أتمت الاميرة هذا الامر اذعت بعض الاوامر والمشورات

على الشعب وأخذت المواثيق والعهود على رجال الجيش بأن يطيعوا  
 الملك الصالح ويقيموا على عهد الملك المعظم توران شاه معه وقد  
 كتبت الأوامر بحض رجل من حاشية البلاط يدعى سهراب إذ كان  
 خطه شبيها بخط الملك وكما كان أسلوب الأوامر موافق لأسلوب  
 الملك نفسه حتى أنه لم يشك أحد في أنها صادرة من الملك ومن  
 هذه الأوامر أن يقرن اسم ولي العهد (توران شاه) باسم الملك في  
 خطب الخيمة وأن تعرب النقود باسمه وكانت الأطباق أثناء ذلك  
 تتردد على المنصورة تمر بأبناص وإيهاماً لهم بوجود الملك على  
 قيد الحياة وكانوا يتكلمون خير مودة وبذبحون عنه أنه في شدة  
 المرض غير أن الخبر اتصل ببعض الحراس بسفن نقله إلى الصليبيين  
 الذين أقامتهم الحادثة وأقعدتهم وحملتهم بتمباؤن لنزوة كبرى .  
 أهد لويس عدته لمهاجمة المنصورة وتحريك البهايم جميع جيشه  
 فالتحم الجيشان في معركة خطيرة دامت طويلاً وتلف عدد كبير  
 من الطرفين وكان ضرر الأعداء أشد وأخطر حيث مات ووقع في  
 الأسر منهم عدد كبير وقد استشهد قائد المسلمين في هذه المعركة  
 فظلت الحنود الإسلامية تقاوم مضطربة بلا رأس يحركها وأيقن  
 المصريون بما يهدمهم من الخطر وشعر ممالك الملك الصالح بالتهيجة  
 المؤلمة التي تتظلم إذا استولى الصليبيون على البلاد فقاموا جميعاً  
 قومة رجل واحد للذود عن وطنهم . هؤلاء هم الممالك البحرية

وقد أطلق عليهم هذا الاسم لاقامتهم بالمنيل فترأس الجيش أحدهم  
وهو (بايوردس) بفتح شتات الجيش وحمل على الصايبيين حملة  
بددت جوعهم وكسرهم شر كسرة ففرحت مصر والمنصورة بهذا  
الفور المبين وأقيمت الافراح وازينت الاسواق وتليت الدعوات  
شكراً للمولى على ما تولاهم من جميل فضله واحسانه ثم وصل نورن  
شاه عقب هذا الانتصار فاعلن وفاة الملك الصالح وعين ابنه خافاً  
ه أما شجرة الدر التي تمكنت عهاتها ودهائها من كتمان الخبر الى  
حين حضور ولي العهد وجهت اهتمامها الى اعادة الامانة ثم حذاداً على  
روحها تاركة مقابله الحكم في يد نورن شاه



## الفصل الرابع

ما كاد نوران شاه يستلم زمام الحكم حتى بدأ بهاجم الصليبيين  
أملا في الخوض معهم معركة حاسمة ولقد بذل كل ما في وسعه  
لاخراجهم وطردهم من الديار المصرية .

كان معسكر الصليبيين في دمياط ولكن معظم جنودهم  
كانت مقيمة عند صواحي المنصورة وأشمون، خطط نوران شاه خطة  
حرية تؤدي إلى العاف جيشه حول الصليبيين وما كادت فكرته  
تتكامل بالسجاح حتى كان جيش الأعداء محصوراً ونحت قهقهته .

أما الصليبيون الذين حوصروا بجيوش المسلمين من جميع  
أطرافهم فقد وقفوا في وهاد اليأس وانقطعت الامداد والذخائر  
عنهم فباثروا في حيرة من أمرهم ثم اشتد كرمهم عند ما انتصر  
(نوران شاه) على بحريتهم في النيل وإغراق نحو خمسين من سفنهم  
أصبح الصليبيون وقد انقطعت مواصلاتهم في ضيق واضطراب  
عظيمين وكان (نوران شاه) يرجو من وراء اضطرابهم هذا أن يقضي  
عليهم القضاء المبرم في مدة وجيزة . أما الجيوش الإسلامية الذين دبت  
روح المرأة بين صفوفهم عقب الانتصارات الباهرة فأنهم حموا  
على أعدائهم حملة منكورة، مدفوعين بقوة الايمان ثلثين بخمرة



«المعمل المصري، البدعة الحسنة التي سبقتها الملكة «صمة الدين»  
شجرة الدر»





الفوز فشقوا صفوفهم وانهاوا عليهم يكيدون لهم أنوان الضرب  
والقتل حتى بددوم وفرقوا وحسبهم شر مبرق .

دحر السليبيون ولاذوا باغرار ، مسرعين مهرولين في طريق  
ديباط ، ونسوا وم مرتبكين ، مشتتين رفع احدى الجهور  
الموصوفة على النيل عند مقربة من أشمون ، تمقب المسلمون أنوم  
حتى تقطة قريبة من ديباط ، حيث وصل لؤيس وحاشيته الى تل  
صغير فصدده وماكاد المسلمون يبدأون في محاصرهم والالفاف  
حول التل الذي اعتصموا به حتى طالب ملك فرنسا الامان وسلم نفسه  
مع رجال حاشيته وحماية نهر من جنوده



وقد وعد أثناء وقوعه في الاسر أن يسلم ديباط مقابل أن  
يثرك المسلمون له بيت للقدس فلم بعداً أحد بقوله بل ساقوه الى  
المنصورة ووضعوه اسيراً في دار القامي فخر لدين  
قرر توران شاه بعد ذلك أن يقيم نهار سكون فجمع رجاله  
وجنده وذهب بهم جميعاً الى المكان المنتخب لمسكره وهناك وجه  
اهتمامه لتشييد قصر فحم من الخشب على ضفة النيل ورفع بجانبه  
رحا عالياً جعله لمسكره وملءه الشخصيات ، تلك الملذات التي أسعس  
في تيارها ، اسيا أمر الصليبين وشئون الدولة .

كان يستقبل شمس يومه والكأس بيده وتغرب الغزلة عن  
حقول فارسكور وهو تمل مصى لحسم، مفكوك الاوصال من  
كنزة لاسهيك في مفاخرة بيت الحان ومثادمة الفالمان اكانت  
أيام حياته نغضى على هذه الوتيرة لا يملك صفوها سوى عداوة  
متأصلة في نفسه نحو الممالك البحرية اذ كان لا يطيق سماعاً لعدائهم  
وارشادهم فكان د جلس ليلاً جمع حوله الفالمان الذين أحصره  
من دمشق لانه كان لا يستطيع اوراقها ساعة واحدة وأوقد الشموع  
حولهم فدا دب ديب الخمر في النفوس وأحدث نكبات بالرهوس  
قام نوران شاه من مكانه بمشقة حسامه وبدق مهاجمة الشموع  
بمحارها وبكافها، بقطع رؤسها ويقتل محسومها، راعها أنها عداؤه  
الممالك البحرية .

عش هذه الحالة السبغة هذا الملك المعظم نوران شاه أيام حكمه  
وسلطته لاهاً عن الواحبات التي يحجب تفقدها في مثل تلك الايام  
المصيبة والارقات الرهبة التي يعانيها المساكين، سائر أعلى المناهج  
الوعرة المؤدية الى اثاره الفتن وتفكيك اوصال البلاد .

كان مديكاً مستنداً وحاكماً متروكاً وأميراً عديم الوجدان  
فكرهته الرعية بعد أربعين يوماً من تولية الحكم وابتدأت تغييب  
عليه أعماله وحركاته أما الممالك المحررون، تلك الكتلة القوية في  
عنصر الامة فقد جاهرت علناً بمدوانه وأقسمت بالانتقام وأخذ

النار عقب حادثة الشروع .

لم يبق انسان في مصر برماه ويصل لصالحه فقد كسر القلوب  
وصدع القوس وانصى يده حكم اعدامه . وبينما كانت شجرة الدر  
في قصرها بالمنايل تقصى اوقات الحياة محبوبة بالمز والاحلال ،  
مروقة انواع الرف وضروب الرفاهة . أرسل اليها تودان شاه  
يطلب منها رد موال ابيه واملاكة اليه ويهددها بالاستعانة بالقوة  
والنفوذ فرددت عليه تقول انها صرمت موار ابيه في الجهاد المقدس  
الا أن جوابها لم يرق في نظر تودان شاه فعصب غضبا شديدا  
وقال اجانيها لمحة عيفة لا يلبق صدوره امن رحل لامرأة  
ايه ما كانت شجرة الدر لتتظن من هذه المعاملة وقد حركت  
هذه الحادثة الحلق والعياط في تلك الدوس المصيبة ودفعتها الى  
تحريك الممالك ضد ( تودان شاه ) في الحال لم يردد هؤلاء في  
اجابة طابعها الساق فيظلمهم ، واستمدادهم اي محابته بالشر والمردوان  
تذكرت شجرة الدر جميل صنعها مع ابن روحها وكيف انها  
جاهدت في سبيل كتمان خبر الوفاة وكيف دمرت عيني . ولى العهد  
ومهدت له سبيل الحكم وكان كلما لجت بها لذكرى اشتد غضبها  
وازداد هياجها وغردها نحو من أحسنت اليه فاداء الماملة وقابل  
الجميل بالظلمة والكران .

لو لم تكن شجرة الدر لاتفجرت فتنايل الثورات في البلاد عقب

وفاء الملك السالح ولولا تدبيرها ومهارتهم الساء الحال والمآل أي يكون  
 حراء سياستها الحسة مقابلها بالعدوان ؛ أيصل بها الحال الى هذا  
 الحد من الاتهام بمد كفا حمار حمارها في سبيل توطيد دعائم العرش  
 لأن زوحها ؛ لالوم عليها بمد اليوم ولا تريب اذ هي رفعت لواء  
 التمرد والمصيار فقد نسبت بينهما شقة الخلاف وأخذ الذين بمحنة اطون  
 بشوران شاه يصلحون على اشتداد الازمة ويخونون في صدره ما يزيد  
 النار خراباً فيقولون له : « يا الملك والقوة في يد شجرة الدر وما  
 أت سوى قاب للحكم . انك انضيف عاجر ، لا نستطيع أن نتقمع  
 ما ملطه ما دام منافسوك على قيد الحياة »

تقمع أ : ل هذه هذه الكلمات في نفقة وقوع القتال فيثور  
 ثورة الجيوش ، مقبها ، أعط الأيمان على قتل جميع المماليك ولكن  
 ما كل ما ينبغي لاره بدركه \* تجرى الرياح لا لا تنهى السفن  
 لقد قتله المماليك قبل أن يقتلهم وتمرد عليه أولئك الذين هاجمهم  
 في صور وأشكال من الشموع نحت لأسرة (أق طاي) سفير مملكته  
 الى دمشق كان نوران شاه قد وعد (أطاي) مداً بأن يوايه في فظا  
 على الاسكندرية ولكنه أخلف وعده مما دل الى الفتنة والمصيان  
 في يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر محرم ، تناول  
 نوران شاه طعامه مع الأمراء والخشبة في المصرب الخاص كالعادة  
 وبعد أن تركهم ودخل ردة القصر استرخ قليلاً ، فحجم عليه

أحد المماليك بسيف مشهور فرغم الملك يذبه من طيا وجهه فأصابه المملوك في أصابعه وما كاد الضارب يرى ذلك حتى اضطرت أعصابه وسقط السيف من يده ولاذ بالفرار .

اغشى على الملك العظيم ونولاه الخوف لأول وهلة ولكنه سرعان ما تلك قوته ومكره في أمره فوجد أنه على أبواب الخطر وأنه لا أمان لحياته فيما إذا أقام في القصر فلم يول نحو البرج ليستصم به ورآه المماليك وهو يصعد قبة البرج فاحتاطوا به احتاطة الحوار بالمعصم :

صاح الملك بطالب الأمان ولكن لم يجد أحدا يطف عليه ويشفق على حاله في تلك الأزمة فقد كان الأمر والمماليك والشعب جميعا يكيدونه ويقترون له الموت والهلاك وهو في صياحه ونذبه وإذا بالأمير حسام الدين يقترب نحو القصر على رأس كتيبة من فرسان المماليك ولقد حاول سفير إمارة بغداد أن يمد إليه يد الممونة اذذاك فقامت عليه قيامة المماليك واضطروه الى الترام جانب الحيدة والسكون هاجت فارسكور وماعت بصنوف المماليك والأمراء وجمعهم الجميع على القصر يطالبون من توران شاء أن يزل والآخر فوا عليه البرح فلم يبق له أمل في الخلاص غير أنه طلب طالب منهم الأمان والرحمة منه تفغرا عن سيئاته وآثامه الا أنهم استمروا في امرهم وتغنم الى أن أشعلوا النار فاندأ الالهيب ينصاعد الى عنان السماء

ونبل أن تصل السنة النيران الى نوران شاه أتقى نفسه في النيل  
فرمت جموع كثيرة بنفسها وراءه وسدد الباقون على الشاطئ  
سهامهم نحوه وهو يمدو ساحة في الماء .

بدأ يثالب الأمواج وبدأ الناس تقربون منه وينالون جسمه  
بأطراف سيوفهم وهو يادهم بقوله : دعوني أخرج من مصر  
اني لم ائتكم الى هذا الخد ومذوني على هذا الوجه فلم يسمع  
انه قول لأن حب الانتقام كان قد استولى على القوم وكانت  
جموع كثيرة تطاذه في النيل مدفوعة بهذا العامل حتى وصلوا  
اليه وقتلوه شر قتلة . ذب الملاك المظلم نوران شاه ، الحقيقة الأخيرة  
في سلسلة الايوبيين ، على هذا الوجه لغريب الذي أثار دهشة  
المؤرخين : محروقا ، مقتولا ، مفروقا مذموما من الناس مفضوئا من  
الرعية . بعد أن حكم سبعين يوما .

استأنف الأمير حسام الدين من وصات الصلح مع الصليبيين  
عقب هذه الحادثة وأمرى عقد صلح وكان الصليبيون اذ ذاك في  
حالة حيثة فجيوشهم مشتتة ودمياط الى تحصنوا بها محاصرة ومال  
الطاعون . بهم فكان يفتك بجنودهم يوما بعد يوم يسوقهم الى الخراب  
والدمار فقبلوا الصلح وكانت شروطه في مصلحة المسلمين اذ كانت  
تحم على اهل الصليب بأن يدفعوا غرامة حربية قدرها أربع مائة  
الف دينار .

وفي اليوم الثالث من شهر صفر عام ٦٤٨ هجرية ترك ملك  
فرنسا ذلك الذي ساق مسلمي الاندلس كالأغنام ، دار القاضي  
عمر الدين حيث كان سجيناً وترك جنوده ثمر دياط يسحبون  
أذيال الفشل والمار متمدين بسفهم وفلول كتابهم عن مصر  
على أمل العودة لتخليص بيت المقدس ووفاء النذر .. أما الأمير  
حسام فقد أسرع مع جنوده وأمراته إلى القاهرة فاستقبلهم البلاد  
بمظاهر الفرح والسرور اذ اشتد حماس الشعب على أثر انعقاد  
الصلح وانكسار الصليبيين فدخل عاصمة البلاد دخول الفاتحة الطاهر  
وتوجه من وقته إلى قصر النيل وهناك أقاموا شجرة الدر باجتماع  
الآراء أميرة لهم تحت عنوان « الملكة عصمة الدين » فتقادت  
الحكم بحفلة زاهرة ، كانت حداً فاصلاً بين خاتمة الايوبيين وبداية  
حكم المماليك .

## الفصل الخامس

مثل الناس في هذا العالم العاني . مثل الضيوف في الفنادق  
 الفخمة ، وللك الذين يتركون آثارهم في سجلاتها انقاء للذكر ،  
 بفقرة جميلة ، أو عبارة لطيفة ، أو بذكر الاسم على حدة غفلا عن  
 زخارف الدهط أو نسيقات المعنى . كذلك الناس في ديارهم القافية  
 كل منهم يترك أثرًا يناسب مع كرامته وماله من مزية وقدرة  
 تحليلاً يذكرى الاوقات والأزمان التي يعيشها وما هذا الأمر سوى  
 حياة فلما أن يدل على عيش هنيء . ورفه . وأما أن يعبر عن سلسلة  
 من الحوادث المؤثرة وأما أن يحدثنا عن عصر حافل بتحليل لأعمال  
 . وإذا وصل الأثر الى مثل هذا الحد من الكمال ، كان جديرًا بعناية  
 الخلف ، فيستظهرون منه دروس العظة والاعتبار .

ليس في مقدور كل حي أن يصل الى درجة الكمال في الحياة  
 إذ العيش يهدو ، ويكون الأصحیح ولا صوصاء ميسور لكل فرد  
 هلمه . يستطیع ان يقضى أيام حياته على طراز واحد من الراحة  
 والسكرور ،

أما العمل على ابنه . أثر ما فيتصلب جهداً وكفاةً واخروح



من دائرة المؤلف جرأة لا يقو بها سوى الجهور.  
الشرق محافظ ، تمسك بأهدب القديم ، وله وعادات وتقاليد  
محبوبة ولكنه مغرط في محبتها الى حد ارهاها . برلة العقائد والمذاهب  
فانساء لا يترمن على منصات الحكم في بلاد المشرق ولا يوثق  
من الى حد تسليم أزملة الادارة لا يدينون فلا تكون ارة سوى  
كمية مهلة لا يعتد برأيها ولا يقام لها وزن وقيل من يعرف شدة عن  
حالتها الروحية . الميس لها اليوم منزلة اجتماعية ولذلك لا يكاد يوجد  
انسان يسأل عن نراتها ويتعرف أحوالها وشعره في الأرملة  
القدسية . لقد أنزحنا نحن الشرقيون أنزاحا قليلا بلدية الاوروية  
فتمشينا في تيارها وسينا شخصياتنا حتى صار مثلكم مثل نارك الصلاة  
للقم بين جامعين ' علينا ان نعرف من مناهل للندية الغربية  
ولكنه لا يبق بها نحن انما نتن نحن في سبيل هذا الواجب  
جميع الشرق وعاداته الجيلة وتة ليدع الحسنة .

( تشير الاميرة الى دائرة مشهورة لانس هيا بارادها طلب رجل  
من عنده أن يعد له بيتا بعيدا عن المساحد وكان قليل الصلاة يميل الى  
اللهو والمجون فذله العمد على مرل بين جامعين فقل ويحك أريد ان  
أتمتع من المساحد فتدلى على مثل هذه الدار فأجابه لا بأس عليك  
بمولاي أهل هذا المسجد بطوك تصلى فيه وأهدل ذلك بطوك  
مداوما على الآخر فيكون لك ما تريد )

لنضع نصب أعمتنا نحن الشرقيات نوك السفاسف ولنفهم  
الواحدة منا أنها ليست لعبة أوزية. اننا نعيش في زمن لا يتسع  
لأمثال هذه الصغار علينا أن نفهم حياة اساف ونعمل على  
تخليد صحتف أعمالنا وننشر الواحدته منا لملثوايه الملقده على  
عانتها. الفرد جزء من الانسانية ومجموع الخلق هي الانسانية .  
وما نحن الشرقيات سوى قطعة منها

أبن شخصيتنا ، نسع في اظهارها . وكفى منا نالنا من الاذى  
وما أصابنا من الضرر بسبب جهلك كيف يسرع لللال والجمعة  
أن ينمرهما الظلام وتحجب الميوم ضوءهما من اللفود اليها إن امة  
لها مثل هذا الزمن كان يجب أن تكون في مقدمة الامم وراة عرفانا  
اذا رعبنا في الحياة ، ادا شدنا لا يعنى اسمنا من صحيفة الوجود ،  
فليس أمامنا سوى طريق السعى والعمل بنظرية . نزع البقاء بما فينا  
من جهد وحسن نية الى أن تتمكن من ارادة ما حق بأدهان  
الاوربيين صدفنا من الاوهام والنوايا السيئة ، لو استطعنا أن نصل  
الى الدرجة التي كانت عليه نساء الشرق قديما لوقفنا قايلا في سبيل  
تدهورنا في هوة التمدنى لم تكن شجرة الدر شجيرة كاملة ولكنها  
استطاعت أن تظهر على مسرح الحكم والسياسة في زمن عصيب  
مكرنت لها قصة شتى الآدان لساعها وهذا ما حدثنا الى  
تصوير قصتها وشؤون حياتها للقراء



عند ما وقع اختيار حسام الدين ورجله عليها لتكون ملكة  
مصر وأميرة البلاد كانت تقطن في سراي النيل، على شاطئه  
الذي وفي أحمل موقع من مواقع مصر وكانت 'ذذك' وسية  
الوجه، جداة اللامع، يقرب صرها من الاربعين، ذات دراية  
وحكمة في شئون الحكم والادارة، اشتهرت بهما، عند ايام روحها  
الملك الصالح.

اوتيت بالملك وتمشقت أمة الحكم فبت صرح مجدها  
وشهرتها يدها ولكنها لا تنسى بجانب ذلك حبها الخير واشارها  
رفاهة الشعب وبجودته على كل امر وشأن فأنقصت الضرائب  
وقصرت المالك بالهدايا واءت عليهم المراتب والمناعم اذ كان  
أقصى أمل لها ان تفوز بحمد الناس ومحبتهم لها .

يدلنا على حسن ذوقها ما كان في قصرها من حسن الترتيب  
وظرف التأنيث في الفاعات والحجرات توفد شموع المسبر  
المحمولة على أواني القضة والذهب على الطرار العباسي وتقع العين  
في أرجاء القصر على نقوش الاقشة الخمرية المطرقة بالدباج  
الاصفر والايض وأواني القضة وصحون الذهب وجامات البلاور

والافداح لمريضة حاقها بسطور الثؤان وخطوط الاحجار الكريمة  
اذكارها وانع بأدوات الطعام، وغرام في اقتناء هيمس الثياب، ورغبة  
حارة في مظاهر الالهة والدينية<sup>(١)</sup>

مما كادت تسلم زمام الحكم حتى تركت قصرها البديع وما فيه  
من نفائس وزخارف وثبتت الى القمة المشهورة التي بداها صلاح  
الدين الايوبي واتخذنها مقراً للحكماء وفي هذه النقطة العالية المتوجة  
لرأس المقطم والمشرقة على جميع القاهرة كأن يقبم من سبقها من  
الحكام فادرت هي الاخرى سيرهم لان قصر المنيل لم يكن مهيأ  
حصيداً الى حد مقاومة لمجذبات وصد تير الفتن والمشاغبات اما  
أسوار القاهرة فتيفة وسببة تقوم باغراض وتوكل بمثل هذه الحاجة.

• •

بدأت شجرة الدر نجمع وزدائها في غرفة من غرف القلعة  
وتحضر هي محبهم من وراء ستار رقيق ثم عيئت أحدهم، وهو  
عز الدين بن ايبك، اناكأى في رتبة مماثل رتبة رئيس الوزارة في  
أيامنا هذه

كان من الدين قائد عمكا جرى الفلب دكى القوادة، شهورا

(١) موقع قصرها بالمنيل هو المكان الذي سيقام عليه المنتدى  
الكبير التي ارمعت احدي الشركات على بنائه واقف بسوء الآن

علمه وفضله ودرأته، عرف كيف يستولى على قلوب الخلق ويزال  
تقتهم كما بدأ يهور بالتمعات الملكية وحسن تقديرها الكريمة يوماً  
مد يوم.

لم تكف شجرة الدر أن يقرأ اسمها في خطب الجمعة بل  
سرت قوداً باسمها نقشت على وجه منها.

بسم الله الرحمن الرحيم  
وعلى الوجه الآخر:

استمعية الصالحية ملكة المدين والدرة مسورة خليل الخليفة  
أخير المؤمنين

(١٧)

كان دورها رهياً واهراً وصار الناس يتعاضدون خيراً بقدمها  
ودأ الفقراء يتسعون بمراتها وحسناتها أدكأت ملكة عاقلة ليلية  
من دراية تامة بأصول المسائل وفروعها ولقد أحدثت في الاسلام  
بدعة حسنة لم تنزل في مصر الى يومنا هذا، هي بدعة الحمل  
الشريف، ففي عهدها سافر أول حمل في الاسلام من مصر الى الحرمين  
الشريفيين، أنها استدعت أمرا حسناً لهما ثواب تلك البدعة الى يوم  
القيامة. من أحدث بدعة حسنة وله ثواب ونواب من عمل بها

ومن أحدث بدعة سيئة فطيه وزر من عمل بها الى يوم الدين  
كانت شجرة الدر رغم مظاهر حياتها الخصوصية، امرأة  
مسلمة ذات ميزة خاصة في حياتها العمومية. كانت على علم تام  
بذمسية للشعب ولم تكن حكومتها استبدادية. لا تشرع في عمل  
من الاعمال حتى تعقد مجلس المشاورة ولا تصدر قرارها الا بعد  
الرجوع الى رأى وررائها ومستشاريها واذا حدثتها نفسها بأمر  
تريد ابلاغه الى الناس مباشرة أرسلت في طلب وزيرها ابن ابيك  
وبعد المناقشة والمناشاة معه تأمر بأصدار أوامرها الملكية.

فكان الاتاك لا يقصر في كل سبيل يؤدي الى مرضا  
الملكة .:

وبينا كان حكم شجرة الدر آخذ في طريق الشهرة بما كذا  
يلقيه من اقبال الشعب ورضائه انهم بدأت عصاة من الناس تدس  
الدسائس وتصب شباك الاحايل حول عرشها رغبة في اسقاطها  
لحجة هذه المعصاة اباع ثوران نساء ممن فروا الى الشام وسداهما  
الخليعة الزمى المستعصم بالله ونفر من أشياعه ومريديه .

قامت الفتنة على ساق وقدم ودا المعصاة يفتخرون في اوق  
العاق بما يرمى الى الاتفاق بدعوى انه لا يجوز شرها لامرأة ان  
تتولى شئون المسلمين مع ان شجرة الدر لم تأت أمرا يفض  
عامة الاسلام سراء أكن في مصر أو في سوريا فضلا عن

اجلالها واحترامها اقام الطبيعة المتعصم بالله .

تفانم الخطاب وانتد الصخب ، وقامت بغداد تهتد مصر ،  
فكانت الرسائل والأوامر تنرى ، بطلب حام شجرة الدر واقامة  
أمير من الرجال ومحارة الخليفة لتعيين أمير عادل اذا تمذرو عليهم  
وجود رجل من بين المصريين يصلح لهذا الامر . وكانت الرسائل  
موجهة الى المماليك ومصوفة في قالب الاوم والتننيف وممزقة  
بالاحاديث والاسايد المنفرة بخراب الامة التي تتولى النساء  
شئونها وتتصدر بحس الحكم فيها . وما كادت تروح هذه الدعوة  
وتتألفها الالسن في المجالس والمحافل حتى بدأ المماليك يذكرون  
في وجه الصواب . كانوا يرون أن حكومة شجرة الدر لانحالف  
الشرع في شيء ، اذ كانت مؤمنة على دعائم الشورى فكانت لانرم  
أمرآدون أخذ رأي الورراء ووجوه البلاد اتصالا عن مهارتها في  
ادارة دفة الاحكام ، تلك المهارة التي تجلت في شكل رافع مموس  
لا يدع محالا قول قائل ، ولكن ما العمل او كيف يمكن التوفيق بين  
وجهتي النظر في مصر والشام في وقت مصيب يهدد به خطر  
الصليبيين .

بينما كان المماليك يذكرون في هذا الامر ويقبلون الرأي على  
وجوهها ليتبينوا من خلاله وجه الصواب واداماتابع (بوران شاه)  
يحثون أهل الشام على انتخاب من حكم مصر يدعوى أهلها

ذات حكومة غير شرعية ، فقاموا بدعوة أمير حلب ( الملك الناصر يوسف الابن ) وبايموه أميراً على الديار الشامية ثم قاموا على أشباع شجرة الدر واستأصوا ساقهم فم لهم ما أرادوا وفلسوا تلك القطعة الكبيرة عن حكومة مركزه في مصر

على أصحاب البات البيلة والمعاصد للشرية بدل النفس والعميس في السبل المؤدية الى تحقيق العرص والمكن الذين نادوا بسقوط شجرة الدر لم يملوا بهذا الدستور انهم أثروا تضحية حكومة عظيمة في سبل أغراضهم الشخصية . كانت هذه الالة الهامة العامة لها الشخصية تعمل على تمكين الماء كما قارت حد العمود ، وهم هم حماة الصبيح ، ما يمدد البلاد الاسلامية من المصائب والاحصار فأدرك شجرة الدر غطتها وحسن درايتها حقيقة الخلع فقدت بحسباً من اركان الدولة واستشارهم في الامر وطست منهم أن يبينوا لها الطريقة المؤدية الى ارضاء السورين والوسائل الموصلة الى حسن الامامهم بين القطر والشققين .

كان الموضوع عويصاً بنصب رأيا حساوتهم محكمات الم شأن نطاق المبارشاع هابل طابت من وزراء المعونة والمضييد بعد أن طرحت الامر على سائر الجهات بكل رزاة وثبات اما المحاس فقد خص الامر بمساية واهتمام وانظر لها وجوب الاهتمام بما تؤدي الى راحة الشعب وسلامته مع بيان استفسار لها ولحكومتها وقر



رأيهم بالاجماع على ان نترك زعم الادارة الى عر الدين سايك وان  
يعقد له عليها عقب تنصيبه للحكم .

تم تنفيذ القرار وتعين عر الدين بن اييك ساطا على مصر وأرسلوا  
الى الخليفة يشعرونه بتبديل الحل .

لم يغير الحال كما دعوا ، بل كانت شجرة هي الحاكمة تهي وتامر  
من وراء الستار عقب رواجها ، تأمر البلاد .

ترمت شجرة الدر في قلب عر الدين كما تربعت في عرش  
مصر من قبل ، لكن بخدمة لها خدمة العبد للسيد ولا تنواني لحظة واحدة  
عن سلوك السبل المؤدية الى راحته ومرضاة ، كن يرى خدمتها  
دينا في عقه يحجب اداؤه فصار لها لها تبصر وتعمل من ورائه  
واداة سرورها ومهمها .

لم تصل شجرة الدر الى هذه المراتبة اعتباطا ولم يحلم عر الدين  
من امسه ذلك الاحلال اراؤا لقد كانت امرأة زاهية ، زاهرة  
دات حديدية ودكاه وعلى علم ودراية فليس من السهل على المتكبرين  
سها المتصلين بشخصيتها الترقى من قبود تلك الحاذية

كان الملامح الصالح ينقي رعاها كأمير يختم تفيده وبري  
بها ، درة نفيسة في ناح حبه أما عر الدين فكان مهوئا بها بحرارة  
الشباب مع أنها ألق منه في راحل العمر .

كان الانا لك عز الدين ، اييد ، عافلا ، ذكي له واد فاجبه

للممالك وجعلوا لا يخرجون عن رأيه ومشورته في كل أمر .



بعد تعيين عز الدين ، الكاظمي مصر وتسميته (الملك للعز أيبك) فرح الناس بحكومتها المشتركة بينه وبين زوجته شجرة الدر وتطاموا الى الراحة والسكون عقب تلك الانقلابات والتطورات لكنهم لم يدركوا آمانيهم اذ تجددت الثورات في الشام مرة أخرى واتصل بالمصريين خبر قيام أحد أقرباء توران شاه مع نفر من اتباعه وأشياعه ، بمنذهم بعض الممالك ووجههم مصر فاستطرب المصريون ووقع الخبر عليهم وقوع الصواعق .

لم يقبل السوردون بحكم المملوك وهاجموا مصر متبردين ساخطين صاخبين ، طالبين اقامة ملك من سلالة لا يوردين . ولم تقشع سحابة غضبهم ونهدا ثورتهم الا بعد أن أقاموا يوسف مظفر الدين أحد أبناء الملك مسعود ، من الاقاليم الشرقية ملكا على مصر وحب مصرنا هذه ، مصرنا المسكينة . ممرض العرايب ، نحت سماء تساعدها يا ألب احصان ويحتمج بعد ان ففي العام التاسع والاربعين بعد الستمائة من الهجرة ، كان على عرش مصر حاكما ، أولهما الملك الممزي ايبك وثانيهما الملك مظفر الدين يوسف ، تقرأ لهما الخطب وتضرب النقود باسميهما ويحكمان معا جنبا الى جنب غير أن

شجرة الدر ما زلت وراء الستار وفي يدها زمام الحكم الحقيقي  
تصدر أوامرها بسكون وهدوء وهي في دائرتها الخاصة فيهرع  
الحاكم لتنفيذها والعمل بعشيقتها .

لم يكن الاثنان سوى لعبتين صغيرتين أمام الحاكم الحقيقي  
للبلاد فهي الملكة عصمة الدين التي تروح وتندو ثيابها المزرقة  
في قاعات قصرها العجم المحتجب وراء أسوار القلعة

شعر ابيك بأصم حلال ساطعته فاشترى عدداً كبيراً من المماليك  
وعمل على اكتساب نفوذهم وتضيد نفوذه أمام خصمه . وقد  
حدث ما كان يتوقعه فان رجال مظفر الدين حاصروا القلعة ذات  
يوم يرو، ون خلع ابيك ولكنه قاومهم بمقاومة عنيفة ومدق شنت  
نمل اكثرهم تمكن من قتل زعيمهم (ق حاي) قاتل توران شاه  
دمى برأسه من وراء أسوار القلعة وما كاد المصرون يرون هذه  
الحال حتى أركنوا جميعاً الى الوراء وكانوا يلفنون سبحة الله هرسا  
بعد هذه الحادثة قبض المظفر على خصمه مظفر الدين وجلسه  
بحلاله ألبو مرة أخرى .

## الفصل السادس

المشق نبات لاهوتى ، يسمو طبيعته فى كل زمان ومكان  
 وفى كل بلد واقليم ، فلا الرياح ولا المواسم ولا الامطار تعوق  
 هذا النبات عن النمو والصروح ، لانه يدشأ حينما شاء وأينما اراد  
 ولهذا النبات لمجرب ، زهرة لطيفة جديرة بالظر ولا اعتبار  
 ولكن اشمس المشق اشعة نارية تعمل فى هذه الزهرة  
 ما لا تعمله الطبيعة فقد تؤثر على لونها فتصيرها باهتة شاحبة بعدد  
 اللبادرة والزهراء ، وللملح دموع ارحم الله والسخمها ماله من  
 رائحة عذبة واربج بياض وللقاب ثورات وهبات تنتشوم اوراقها  
 الجيلة فندروها الرشح انها زهرة رقيقة قد تدبل عند اقل احوال  
 فهي تنبت فى الارض المامرة والتربة خصبة ويناسب عمرها  
 طولا وقصرا بقدر حسونة التربة وانبتت فمن استطاع سبيلا  
 الى تربة هذه الزهرة ، زهرة الطبيعة زبق المور ، عرف كنه الحياة  
 فاما ان الملعين من ترويه فليكون اذركا كيم ان الكثيرين  
 تذبذب زهراتهم فى مدد قصيرة .

حكدا الحار مع شجرة الدرو ، الزمان زهرة حبه واحلاصها

أصابته بالبلى بعد عواصف غسية دامت أربعة أعوام  
بدأت عوامل الحياة والموت تنقص في رهرة الحب النامية في قلب  
الممر حتى ذابت . أحل بعد ذيات تلك الرهرة الفاصلة بنور  
شجرة الدر ذلك المروء الذي أطما السيران المتأججة في صدر  
حبيبها الممر

كادت الملكة عصية لندن ، أميرة نايك سياسة الشعب وإدارة  
الاحكام . أما في مرامها ، في ممكتها الصغيرة فقد كانت مستعدة توقع  
لرؤسها في قلوب حاشيتها وتبعت السأمة والمثل في نفس زوجها .

كان الممر معنوا شجرة الدر ، مد زواجه بها عام ستمائة  
وغاية وأربعين هجرة . كان يحباها ويحترمها من أعرق العس  
وصمم انقلب لذكائها وجمالها وكرها وصبرها الجيد وكانت هي  
تعلم منه ذلك وتعتقد بدوام هذه المحبة يبرئاح نفسها وتفتخر بحملها  
لم يحظر بالها انه سيأتي على الممر يوم يتزوج فيه امرأة غيرها لو  
فعل ذلك لما غمرت له مثل هذا القرب . ذرى ان الأمر انما صار  
سلطانا على مصر سميها وصاها فكانت تجاهر بهذا الرأي وتحببه  
به ولا يجد لوما في ان تقول له : « ما وصلت اليه من عروجه » عا  
وصدته من طرفي . فكان يتجمل من ذلك ويشمر باضطراب داخلي  
لم يأت به كثيرا لهذه الاقوال في مبدأ . الأمر ولكنه بدأ يشمر  
وقتها الأيم على مر الايام . انه لا يكر نصها وعظيم ايديها

عليه ولكنه لم يشأ صعلوكاً حقيراً . فقد كان ضابطاً عالمياً عاملاً ثم  
أميراً دكى الفؤاد ، ذى شخصية ومكانة



جمعت المالكة عصمة الدين الى حسن الوجه جمال النفس  
فهى لذلك امرأة جذرة بالحب ولكنها أكبر من ايكسنا وبدأت  
عوامل الامل . لك فى المشاغل الدنيوية تظهر أثرها على أديم ذلك  
الوجه الماصم وأخذ نور بهجتها فى الافول وكلا اردادت خطوة فى  
طريق الدمر ، زاد طيشها واشتد نزقها الى أن صيرها الكبر ذات  
طمع ناري ومراج عصبي ، تتمدّد مع من حولها فتشاكس زوجها  
وتنقص عليه عبثه وتضيق دونه المذاهب والمالك صباح مساء  
أما هو فكن يغضب لهذه المحاذلات اليومية فيزداد نفوره  
منها حتى أصبح يتنصب كثيراً عن القمة وكان هذا التساعد يزيد  
غيطاً لانه بدأت تشمر برؤال محته لها هشتد تماقها به وازداد  
هيامها وصارت ترى فى كل حركة من حركاته وكل طور من  
أطواره حالاً يستوجب الغيرة

كان لزوجها أمر آه اخرى هي ام ولده الوحيد عقد عليها قبل  
زواجه بشجرة الدر ، فعلت بهذا الامر وحكمت عليه ان يتمدّد  
عنها بتمام ثم خشيت الا ينفذ أمرها فأمرته باحصارها وتطابقها منه

في الحال. ثم لها ما أرادت ووصلت الى نعيمها ولكن ظلت نيران  
النـيرة تتأجج في ذلك الصدر المتقد وعاد زوجها الى الابد  
عن القامة والعمود من دائرة الحريم وانست شقة الخلاف بينهما  
حتى انقلبت على مر الايام - الى خصومة متينة انتهت بتأسية  
دموية فجيعة .



مهما ارتقى الانسان وعلت شخصيته فهو بشر لا يسلم من  
عوارض النقص

شجرة الدر امرأة ذات شخصية بارزة قل ان وجودها نظير  
شقت بغرورها ، ووصفت سائلة حياتها بفحلة شديدة من جراء  
هذا الخلق الفاسد

لقد تطرفت مع زوجها في سوء الخلق الى حد المل والى  
أحد أن استفزت فيه روح الانانية فطلب بدلولوة بنت بدر الدين  
أمير اللوصل وعرض امنته هذه على المماليك فعارضه المخلصون  
منهم لشجرة الدر ولم يوافقوه على ما يريد بل جاهروا بأنه لا يليق  
بأمير نبيل مثل اللعز أن يرتكب مثل هذه الهوة فغضب لذلك  
وأدى به الحق الى التقيض عليهم والقائهم في غيابات السجون  
ولما كانوا في طريقهم الى السجن مر بهم الحراس من تحت  
الشمرة التي تجلس عليها الملكة فتأخر زعيمهم (سبك تكين) قليلا

ونادى بالتركية يقول «نناشدك الله أيها الاميرة ان تغبريناعن  
سبب القبط علينا ، اننا رجالك المخلصون يريد الامير ان يعقد على  
لواثة بنت امير الموصل فمعيناه لا نثأري في ذلك اهانة لاميرتنا»  
وكانت الاميرة اذ ذلك في الثمرة فرفعت متديها تشير اليهم انها  
فهمت اولهم ثم سيقوا الى السجن ونفوسهم تهجج بغير ان الانتقام  
التي لا يستطيع المعز اطعامها لبيها

لم يكن المعز في قصر القامة كما دته بل كان مقيما في قصره  
دمناظر الاوق المشرف على النيل بجوار الازبكية ، كان نافرا  
من شجرة الدر بجانب حرمة عملا باوشاد منعمه الذي أخطره  
بانه يموت مقتولا من يد امرأة اما اذ اتفكت تربدا لاستفادة  
من هذا الطرف فرسمت خطة باهرة للتسكيل بالمعز وأرسلت  
تدموه الى القامة مرارا بعد ان أعدت ممداتها لهذا المرض

لم تكن شجرة الدر ، تلك المرأة الحكيمة الفديرة واثمة الاميرة  
والحدة والحق كل هذه العوامل كانت قد اتلفت جهازها العصبي  
وسيرتها شيئا ما تحكم فيه الحنون والهموس . قد انقادت فيها  
خصال الرزاة وعلو الطبع وقوة الارادة الى صفات الفيرة والحرص  
والانتقام .



لم يشأ للمز أن يجيب دعوات امرأته في يادى الأمر لأن  
 اخعار المنعم ما زال معلقاً في ذهنه فترتد فرائضه كل حطر يراه  
 إلا أن تكرر الدعوات أثر في نفسه ونوهم من خلالها للصدق  
 والاحلاس فأجابها لى ما أرادت وزاد زوجته في قصر القامة،  
 حيث قابله بالتجلة والاحترام مظهره كل عطف وحب بل تآدت  
 في اللقاء والرياء إلى حد تقبيل أ يديه ومحو كل طن سيى من نفسه  
 وركن إليها الممز كل الركون وقضى معها يومه وطيب في مسانه  
 أن يدخل الحام ولكنه ما كاد يابح باب الحام حتى فاجأه ضمة ترحل  
 مع السيرف المصنعة في أيديهم منهم قصدم وأدرك أن ذلك من  
 تدبير شجرة الدر فتأداه باسمها ونوسل إليها بكل ما فيه من جهد  
 وقوة. ويظهر أنها كانت على كنف من المكور، لأنها لم تنقطع  
 تائها امام توسلاته فاعلمت نفسها وطابت من رجاء أن يحقوا  
 دماءه إلا أن الرجال لم يصفوا أقولها، خشية غضبه واثقائه  
 أنم زلوا عند رأيتها واغلقوا عليه ثم هجموا عليه وكنتموا فأسه  
 في ذلك المكان وبعد أن نفصوا أيديهم من فعلتهم الشتماء اخفوا  
 حشة الامير في ردهة خارجية وبيتوا في ارجاء القصر يشبهون ربه  
 انهى على اميرم وهو في الحام<sup>(١)</sup>

وقعت هذه الحادثة يوم الاربعاء في الخامس والعشرين  
من شهر ربيع الاول عام ١٠٥٥ هجرية وانتشر في اليوم التالي خبر  
موت المعز وارتقى أريكة العرش ابنه نور الدين وعبد ما اسلم  
نور الدين زمام الحكم وتربع في دست الامارة بقصر القلعة  
أرسل بطاب أمه النعسة و بطاب شجرة الدر قلعة أييه وسبب  
شفاء أمه

وفي كتب التاريخ أن أم نور الدين أمرت جوارها فلتهن  
بالقباييب على شجرة الدر ، على ذلك الرأس الجميل الملو  
بالتور ، الى ماتت ثم موت ، فلقبت عارية الجسم لا يسترها سوى  
مراديل رقيقة من برج القلعة الى خندق مجاور لاسوارها . وقد  
سرق بعض اللصوص تكة لباسها المطرزة باللاتي ولم يعرفها  
أتباعها الا بصروا لها الفاخر فدفعوها في المقصورة الخاصة بها داخل  
المسجد المعروف باسمها بجوار السيدة نمبسه بالقاهرة . ولقد فر  
بعض الافرات الذين اشتركوا في مقتل المعز وألقي القبض على  
اليمض الآخر وصاحبها داخل القلعة

وبعد هذه الحوادث المتتالية بدأت حكومة ثلاث نور الدين  
ابن اييك .

\*\*\*

حكمت شجرة الدر ثلاثة أشهر بفردا وعشرين عاما مع

زوجها الصالح والمعز وأصابته عزاً وجاهاً لم نصيبها امرأة أخرى  
في العالم الاسلامي

يعدّها المؤرخون خارقة من خوارق الدهاء ولا يدكرونها  
إلا بالثناء ويمرقونها للقراء بأنها عاقلة . قارئة . كاتبة . ذات دراية  
وفطنة ومما يؤسف له أن لمرأة الكبيرة ، صاحبة ظهيرات المدينة  
والحسنيات الجمّة . تلك التي ابتدعت لنا حمسة المحمل ، ثوبت مينة  
شعواء وتلقى في الخنادق كأصحاب الجرائم المعادية ( وعلى الباعبي  
مدور الدور ) ان المسككة عسمة الدين ماتت على يد المرأة التي  
كانت سدياً في تطيقها . لقد عُرِدَت ام نور الدين من قصر العلة  
فدارت عليها الدوائر حتى ألقها المطرودة من برج القاعة . لقد  
حرصت على قتال الوالد فقتلها لولد ...

العصمة لله والسكّال له وحده والمرء عاجز مهما ارتقى  
ومهما علت شخصيته

لم تكن شجرة تلد مثال السكّال من كل الوجوه ، وإنما  
كانت حاكمة مدبرة ذات قريحة وقادة وهي تحكم هواها  
وتتناب على شهوة النفس فيها . ولسكنها ما لبثت أن هوت الى  
المستوى المعادي فأصبحت امرأة لا أكثر ولا أقل منذ ركبت  
هواها وسارت مع تيار قلبها هذه الشخصية الغريبة التي قدمتها الى  
قرائي من بين نماذج المخدرات الاسلامية جذيرة بالتقدير والاحلال

من ناحية الخدمات الحيلة التي بدلتها في أوائل أيامها وبما كان لها  
من صدق الطوية في ذلك العهد . والأمر الجدير بالاعتبار والتقدير  
هو الصالح العام أما الحياة الخاصة فلا دخل لها في هذا الشعور ومن  
أجل ذلك نعدّها من آلهات السياسة التي لم يسبق لها نظير

لقد مضى على موتها شهور وأعوام وأصاب الشرق تقلبات  
كثيرة وتطورات عديدة واتقرضت أمم ونشأت على انقاضها أمم  
ولكن لم تطلع بعد شرارة واحدة مثل تلك الشرارة التي سطعت  
من أنقاض الأيوبيين

شجرة الدر الأيوبية جوهر ادرقيص . ومن أقرب لآلى  
الشرق . كان دورها عجيباً وأيامها سلسلة من الحوادث ذات  
شئون وشجون . .

عملت ما في وسعها لتقف حائلاً دون التفرقة بين المسلمين  
في وقت عصيب فأدركت بنيتها بعمارة تسجلها هنا ، ففخاؤا ولا  
تتمالك من الدهشة تستولي أنفاسها الاضطراب الذي تغلغل سلسلة  
أيام هذه المرأة الحيلة التي حتمت حياتها بتلك المأساة

حياة كل شخص زمان قائم بنفسه ونهايته بداية زمان آخر

\*\*\*

(المعمورة) يوم الخميس ١٩ رمضان المبارك سنة ١٣٣١

﴿ محتويات الجزء الاول ﴾

- ١ -

١ - ٣٤ ( أم المؤمنين السيدة خديجة الكبرى )

الفصل الاول

(٣) آيات وآلام (٤) في سبيل الشرق (٥) السيدة خديجة  
بين قومها (٧) هذه الآمال في نفسها الشريفة

الفصل الثاني

(٩) أمين قرش بين قوم (١٠) المقالة الاولى بين امين قرش  
وفاضلة قومها خديجة (١١) أثر هذه المقالة في نفس أم المؤمنين  
(١٢) أمين قرش في طريقه الى الشام بتجارة السيدة خديجة  
(١٣) ما توقعه الراهب لسطورا وما توقعه في شخصية نقر  
السكائنات (١٦) المودة (١٧) ما شاهدته أسرة مولى السيدة  
خديجة من الآيات البينات

الفصل الثالث

(١٨) الشرق اشرف يتمكن من نفس السيدة خديجة (١٩)  
هذه الخطبة ومعدات العرس

الفصل الرابع

(٢١) يوم الاملاك - خطبة ابي طالب بن عبد الله (٢٢) خطبة

## ورقة بن نوفل

### الفصل الخامس

(٢٤) حياة عائلية تعرف عليها ملائكة السعادة

### الفصل السادس

(٢٩) بدء الوحي (٢٧) اضطراب الرسول (٢٨) نكهن ورقة ابن نوفل (٢٩) فترة الوحي (٣٠) عودة الروح الأمين وبدء الرسالة (٣١) عداوة قريش وحصارهم إلى طالب (٣٢) وفاة السيدة خديجة (٣٣) وجد الرسول صلى الله عليه وسلم على أم المؤمنين وحديث السيدة عائشة عنها .

٣٥ - ٨٥ ﴿ أم المؤمنين السيدة عائشة ﴾

### الفصل الأول - الهجرة النبوية

(٣٧) اشتداد الاذية (٣٨) هجرة المؤمنين إلى المدينة و تظافر الرسول صلوات الله عليه وسلم مع الصديق أنى بكر

### الفصل الثاني

(٤٠) الامر بالهجرة (٤١) مؤامرة الفوم (٤٢) اعتصام الرسول صلى الله عليه وسلم مع صديقه أنى بكر بفار في جبل نور (٤٣) حديث أم ميمون (٤٤) بناء أول مسجد في الاسلام (٤٥) خطبة للرسول صلى الله عليه وسلم (٤٦) فرح الانصار بقدوم فخر الكائنات

### الفصل الثالث

(٤٧) زفاف السيدة (٤٨) شخصيتها (٤٩) فضلها على زوجات الرسول (١٥) بعض مزاياها

#### الفصل الرابع

(٥٤) حديث الافك (٥٥) كيف بدأت الحادثة (٥٦) كيف اتصل خبرها بالسيدة عائشة (٨٥) المجلس العائلي (٥٩) خطبة النبي صلى الله عليه وآله واعتذاره من عبد الله بن أبي سلول (٦٠) آلام السيدة عائشة (٦١) الرأفة (٦٢) حادثة أخرى لم يقد

#### الفصل الخامس

(٧٤) مبالغ علماء في الفقه وسائر العلوم وقدر ردهم ما وصلها

#### الفصل السادس

(٧٧) وقعة الجمل (٧٨) التمر بضع (٧٩) حديث أين تكن تتبعها كلاب الحوآب

(٨٠) بين علي والزبير وطبعة (٨١) انتهاء الواقعة بفوز الامام علي (٨٢) - الصالح بين الامام علي وعائشة ام المؤمنين

#### الفصل الثامن

(٨٣) اواخر ايام السيدة عائشة ومزلتها من هل المدينة .

(٨٩) العياصة تحت الرشيد

#### الفصل الاول

(٨٨) مقارنة بين الشرق والغرب (٩٠) نظرة إلى ماضينا (٩٢)

غنيات لاميرة

الفصل الثاني

(٩٣) نشأة العباسية (٩٤) أثر الرفاهة في حياتها

الفصل الثالث

(٩٧) التراكم ومضاهم على الدولة العباسية (٩٩) آثار كرمهم

(١٠١) جعفر على مسرح السياسة (١٠٢) قصة تدل على مبالغ

مكانته وقوته

الفصل الرابع

(١٠٧) أعداء جعفر يتكاثرون (١٠٨) زبيدة أمراء الرشيد في

صفوف العدو (١١٠) بدء حركات العباسية بجعفر (١١١) الانس

المثالث (١١٢) محاسن الانس في قصر الرشيد (١١٣) خوف الرشيد

من تقدم علمائه (١١٣) تسمية الرشيد (١١٥) دورات الامراء

الفصل الرابع

(١١٦) حق الرشيد (١١٩) انقلابه على جعفر (١٢١)

استجوابه جعفر

الفصل الخامس

(١٢٦) الحسن عمرة الحب (١٢٧) الرشيد يسافر مكة فسيحت

عن الحسن بن العباسية (١٢٨) أول شرارة من شرارات العصب



## (٢٩) القسم الاول من المسألة

### الفصل السابع

(١٣٣) مات هاشم لايمرون سبيلا للهرب (١٤٠) لحادثة

التاريخية بين الرشيد وخته (١٤١) خاتمة المسألة

-٤-

في المسكة عصمة الدين شجرة الدر

### الفصل الاول

(١٤٤) نظرة تاريخية (١٤٥) الملك الصالح في -٥- رح الحكم

(١٤٦) شجرة الدر تدور دقة البلاد اليقظة عن زوجها

### الفصل الثاني

(١٤٧) مرض اوليس التاسع ملك فرنسا (١٤٨) ندره المعجب

(١٥٠) عزوه على تطهير بيت المقدس من تهديد اللدر (١٥٣)

امسة الصليب لللال (١٥٤) قيام ورس بالحلة للصليبية السابعة

### الفصل الثالث

(١٥٥) الملك الصالح يصل الى المنصورة مرصا (١٥٦) الصليبيون

محارون دمياط (١٥٧) اوبس يهدد امير مصر (١٥٩) المسلمون

بركون دمياط عقب قرار حشهم بلا سب (١٦٠) انتقام الملك

الصالح من الفارين (١٦١) المسلمون يجمعون شنائهم (١٦١) وفاة

الملك الصالح (١٦٢) ثوران شاه يهزم الحكم بمساعي شجرة الدر

(١٦٣) الممالك البحرية يخذلون أهل الصيب في موقعة كبرى

#### الفصل الرابع

(١٦٤) خطبة توران شاه لكسر الصليبيين (١٦٧) دفاد الخطبة

(١٦٨) تمكاف توران شاه على المديت (١٦٩) تألب الرعية

عليه (١٧٢) مقتل توران شاه

#### الفصل الخامس

(١٧٤) نظرة اجتماعية (١٧٧) سمة شجرة الدر (١٧٨) عن الدين

ابن ابيك في مسرح الادارة (١٧٩) قراءة الخطيب وصك النفود

باسم المستعمرة الصالح شجرة الدر واول محل في الاسلام (١٨١)

اهل الشام لا يرضون بحكم امرأة (١٨٢) فرار مجلس للشورى

(١٨٣) زواج عمر الدين بن ابيك من شجرة الدر (١٨٤) مصر

بحكمها حاكم اسميان وحاكم قنق

#### الفصل السادس

(١٨٦) تطورات الحب (١٨٨) بعض عيوب شجرة الدر الى

التأمر على قنق روجي (١٥٣) عبرة للتاريخ



# شيرات النساء في العلم الاسلامي

## بمقدمة

صاحبة السمو الاميرة المصرية الجليلة فتنة حسين

---

نقله الى العربية

عبد العزيز أمين القاسمي

---

الجزء الثاني

الطبعة الاولى

---

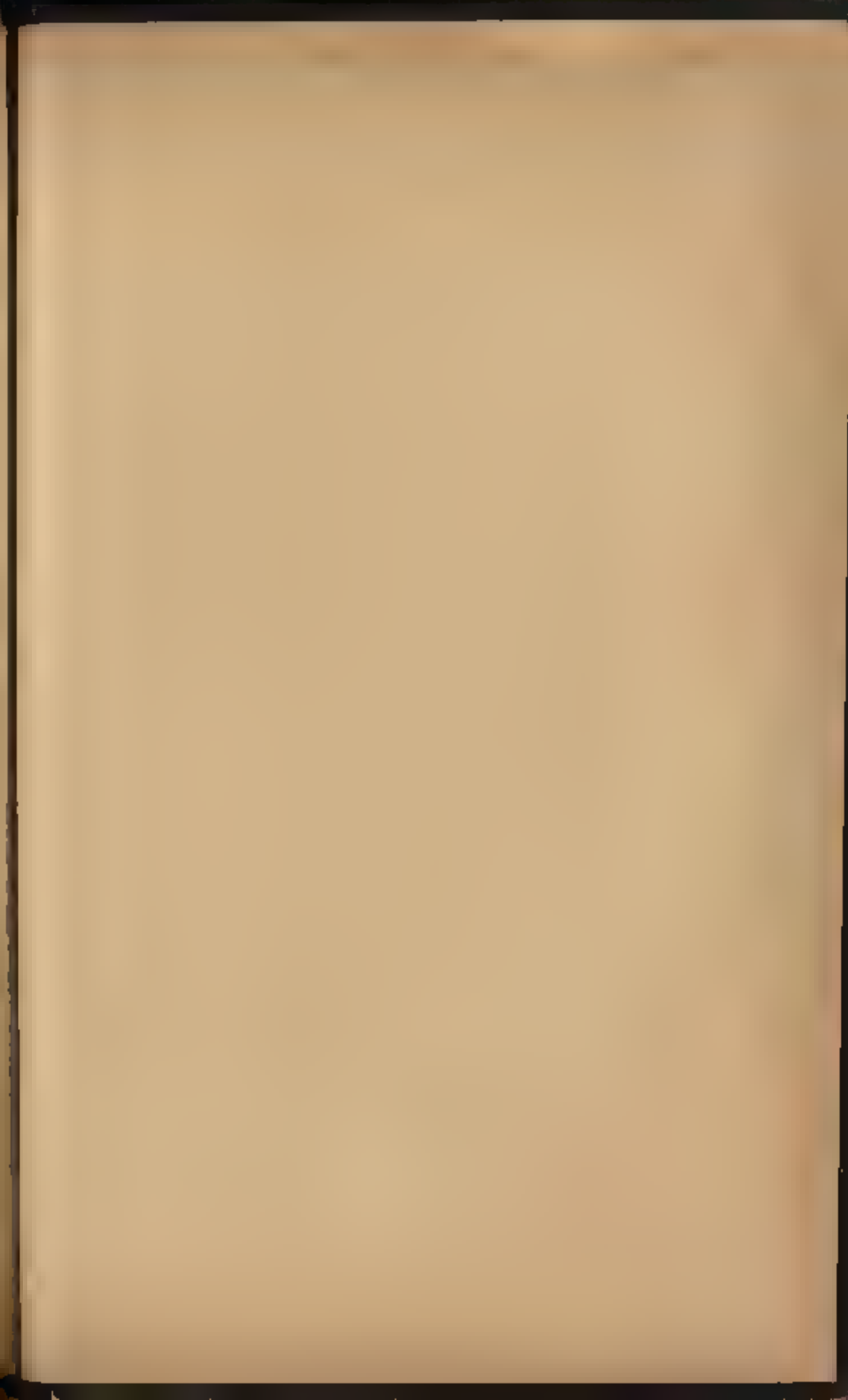
حقوق عادة الطبع محفوظة للمؤلف

---

١٩٢٤ - ١٣٤٢

---

مطبعة السعادة بمصر



## ﴿ كَلِمَةٌ ﴾

أشرفت قبل يومي هـ ، عام و حـ ، حره الاول من  
 ر محذرت الاسلام ، فلاقى اعداء واحتراما ، بين الصحاب المـ  
 والعرفان ، من أهل لدى المشركين في المهلك والهدى الآهله  
 الاسلام .

وردت الى كتبهم ووسائهم تطمح عمى البركة وعبارات  
 المشجع ، فاعتمدت لذلك ، د كست ترى سفسى تدر الدور  
 تقايلة الى غرسها بيدى في حدائق المنعمه العامة فشكراً لمولى  
 سبحانه وتعالى وحده له على نعمائه . وأبدى اليوم ، حره الثانى من  
 ربات الحدور ، لأهم حسن طلات شهبوات على لارعة الساعات  
 وريدة الاعضاء في محسن ربات الحدور ، معناه ريدة التذليل  
 والبرهن وفي ذلك تقوية المعانة في الوجدان معرفة بطالات  
 لاصى ساس رضى ساء الخاصر والدار المؤسس على قواعد  
 ننة رسمية يشر بالدوام والحدود

أولى البطالات في هذا الحره هي السيدة طامة لزهراء  
 رضى الله عنها ، كريمة نقر الانبياء . تنوح يدكرها حره الثانى  
 لأنها نقر النساء .

البطلة الثانية هي رابعة المدونة ، مثل زهد والتصوف  
الثالثة هي الشاعرة الشهيرة الخنساء . تلك العبقريّة الحامدة  
تلك التي فافت شمراء خلف برائثها .

أما رابعة فأميرة المؤمنين زبيدة والخامسة لأميرة صبيحة  
ملكة قرطبة . وهاتان بطنتان حكمتا ردتا من الزمن ، وسخرتا  
بلاداً لآرادتيهما وصيرتا الشعب المحكوم منهما كالشمعة تفرغ  
من قاذب لعاب وفق هوام . فهما لذلك مثالان للعظة ينسج  
منهما دروس الاعتبار

من قرأت ربات الحدور عرف تزيخ أبهمين وعاصرهن  
ومعد إلى محاسن الروحية فما أبدأ قدم هذا الجزء إلى قارئتي  
الراعات في المدونة بسالعات العصر الاسلامي ، إلى قارئتي  
المتشوقات إلى توسيع المدارك وشجدة القرائح ، لا تكون واسطة  
الاتصال بينهن وبين محفل المحذرات

سنرى لقارئة الكريمة . في هذا المحفل المتضوع بعبير  
الاخلاق لحسنة والخصال الحميدة . أشباحاً روحانية ، تنبأين  
في أشكالها وطرأز لباسها عن المألوف في محافل هذا العصر ،  
وسنسمع «امارة» العزيزة في هذا المحفل دروساً تهيئنا بالحكمة  
وعظت . أمات . أما أخرى ونوأي محسوب بلا ريب في خزائن  
المولى الكريم عز وجل .

يجدر بي قبل اختتام كلمتي التنويه بذكر رسالة وردت الى من  
يقب الرسائل العديدة الدالة على تندد أسماء اساني لهذا العمل  
وهذه رسالة وصلتني من أمير البيان المرحوم ( رحى زاده  
اكرم بك ) وقد أردت اليوم نشرها لاذاعة ذكره وإتلاء  
روحه الطاهرة .

كان للمرحوم قلباً كبيراً ، ومن الانصاف أن يلمح لاسان  
بذكر أصحاب القلوب . أطالب التوفيق من أولى لجميع  
آمين

---

## الى صاحبة العصمة والكمال

### الأميرة قدسية حسين هاشم أفندي

نعم من سدر ، ن الخفيفة الانجمانية ، خير الناس من  
يجمع النساء لانفرق بين الرجال والنساء ، وسوءك من دلائل  
المفصل وأمارت المروءة ، عما يشربه يد من نور تحت  
لودة مند الصخرة ما يحسن أن أرى لك عنوان ( خير النساء )  
دون ما تستحق

تسوات بيد العذر ككتاب ( محدودات الاسلام ) مع تلك  
الجملة التلطيفية في حق هذا المأز ، وبدأت مطالعته في الحال ،  
عانت فرائده في هذه وحيرة ، وما كنت أنهي من تلاوه  
وتصيح مره ، حتى تكومت في ذهني عقيدة نقول مثل هذا  
لكتب الكامل . لحاوي مثل هذه الآراء الناصحة ، لأنه طبع  
لايمان مثله من بين شهيرات العصر سوى الأميرة ندها الله

كنت قرأت شيئاً عن أمهات المؤمنين وسيرتهن ، بعينه سواء  
كان في ( قصص الانبياء ) أم في ( روضة الاحباب ) وان كان  
ما قرأته لم يكن مستقماً مطعماً وفضلاً عن ذلك فان أسلوب



(روضة الاحباب) لا يتشبه مع دوح المعمر. و (قصص الانبياء) كتاب قيم جليل. قليل أمثله. والسكن من تقع على السجع والتشكاف في مواقع كثيرة منه فيضيع هذو ورؤاه من نفس القاري. مما يحذر اب لا سلام اعمو فهم ما ترتيبه ويفضاهم اسبوا

### مولاني لامية

نق ناسا ر مواهب العرو و اعصيلة ابي تحلين بها تحمك في على ر س ي ريو اله انظر اوصيل لرحال والنساء في فرحتك لوددة ، تلك الفرحة الي لانها نامل على موسيع دائرة معلوماها العنية ونحمة بها العنية ، وفي بيت لعد . ذلك البيان السلس الساحر ، مذهب لالاب وخبير الممول

قرأت كتاب ذولي الي صدرت بها الكتاب بدة ساحرة دفعتني لي دوح عني في طبقات السكباب . قرأه مهالكا متشوقا حتى النهاية .

ما أعده بي ، ونسلسه اسبوا ونسجه شرحا كاد لا تحظر كتاب جمع من هذه العنيت العنية . مثل هذا الاسلوب هو السهل المتنع

يا صاحبه العمة

اذا كان كنهك برك في نفسي مثل هذا لانو و

صنف الرجل ، قال ربنا الخدور لوي يسمدهن الحظ لتلاوته ؛  
كل فكرت في ذلك ، وفي الفوائد الخلية . التي محتية ، السيدات  
المصوبت من فرائده . وفي حظه اكبر من لوحه لاخلقية  
والاجماعية ، لا يسمى لا لركوع حاشما ، حاسر لرأس ، أمام  
ذلك العال الظاهر النضر في سبيل الفيرة «نوميه» ، العائض  
الجائش في سبيل العلم ولا حلاق ، «أمنى» في حضرة وتقدسي  
عيشاً هنيئاً مرمهاً ، وتوفيق من المولى الى صبح ونشر الأجزاء  
التالية من كتابك اللطيف وعونا منه حل وعز على اظهار مثبات  
من مؤلفاتك المافعة الخلية

شعوري عن الكتاب وتهدواي محتوياته ، لا نقف عند  
هذا الحد ، فهي كثيرة ان نسمع . حال اسردها على الوجه الذي  
أرضاه ، يعجز عن ذلك قلبي الذي أصابته الشيوحة ولصاحبه  
فذلك يامولاني أحرم تصديقي شهادتي وامر الشكر والاعظام  
والتهنئة

استانبول ١٩ تشرين اول سنة ١٣٢٩

رحماني زاده

كرم

- ٥ -

سيدة النساء

فاطمة الزهراء



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### الفصل الاول

لم يمر السيدة فاطمة رضي الله عنها بطولاً بل كانت  
عمره صغيراً الحية زهور الى زهر وين في ربيع عمر لا  
تأمر، رى حتى اليوم ندر هذه زهور لبادرة ومارل أرنحها  
لفياح بمطار عصور الاسلام حيلاً بمد جيل فهي ادا دوحه صمية  
حالة دت عصور وفروع مدام ابون .

السيدة مـ صمحة في الـ ربح رسة صمية لا مع المين  
مها على صمحة اخود دت وحلة لوفاتع ولكن في ساسة أيمها  
صمية اصوية ماخذ دت شنداً ، لان هذا الصمد الدال على  
شخصية الما به من مد على الكبير فخدب القلوب ولعت الاظفر  
أما السيدة فاطمة رضي الله عنها ، صمية مشرفة من أظفر  
المواصي واماها ونظمها ، وشدها حسناً في الاسلام ولعمراء

روحها الظاهر على وجهها المبارك الظاهر سميت بالزهر .  
لا أدري كيفه أحيل القلم في تسطير سيرته العيقة دون التعرض  
لسيرة والدها الرسول خير الكائنات ؛ حياة كلها متملة ببعض  
نصا لا شديدا متماسكا ودعرت عن نفسية أحدهما لا نستطيع  
تجاوزا عن نفسية الآخر .

ومما يؤسف له أن مؤرخي الاسلام لم يسمع الوقت لأحدهم  
ليسرد والسيرة كاملة لهذه الكرمة قول ذلك وقد شعرت انما  
كتبتني عنها حتى لي الرجوع الى ما يزيد عن عشرة كتب من امهات  
التاريخ وليتي استطعت ان اخرج من معلوماتي المقتطعة منها  
بما يروي القليل بل وقعت جهودى عند حد يكون سيرة مختصرة  
بحسب احوال لطلابنا وشهيراتنا محاطة على الدوام بالامور والاهام  
فان لا فائدة من كانوا يعتبرون هذه من المسائل التي لا يجوز اذاعتها  
كما هو ظاهر من كتبهم اما لعلم اسماء سيدات عديدات لمن  
ذكر عاظر وشهرة فائقة فاذا حاولنا ان نحيط بأحوالهن اساطلة  
تامة وان يدرك دقائق سيرهن ادراكا كاملا كما انفسا مالا  
نستطيع وحملها مشقة كبيرة في هذا السبيل .

أقول مستمع حاسدات اليوم ان كان لشهيرات الأمم  
عقاية رصينة وغاية ثابتة في الحياة ومع ذلك فقد ظلت لوان  
المساعي التي بذلها بحفية وراء ستور الامل .

نحن المسلمين نصرنا سمينا للحال ندأب من أجله بحسب  
أما الافتداء بالسلف وأن نكون قدوة صالحة للعطف فهذا أمر لا  
يخطر على بالنا ولا نمكر في شأنه وقد كان من أمر اهتمامنا بالحال  
أن وصلنا إلى ما نحن فيه من سوء الحال . . . . . اننا لا نمكر  
في ما ضيقنا ولا نعمل لاستقبالنا . فنحن كتلة بشرية يموزها  
الرحمة والارشاد .

أزبدنا من قبيل الاستطراء ان لدينا من الآثار العتيقة الشيء  
الكثير ولكنها صغرة كانت أم كبيرة فهي مشتقة مبعثرة أين كان  
موطنها حتى انه لا يوجد بين يدينا دليل صادق يرشدنا إليها ويدلنا  
على مفاخر اجدادنا وهكذا انارح لاسلامى بين دفتيه شخصيات  
عالية نفخر كثير بأبوحودها ولكنها لا نعرف سوى أسمائها أما  
دقائق حياتها ونه اصيل شئونها فانها مبهمه عامضة لا يمكن الوصول  
إليها حتى اليوم . . . . . هو أننا عتبنا ووضع تلك الشخصيات الدائرة  
في معرض ذكريات الماضي لما أصبحنا غرباء عن عالمنا الاسلامى  
ولما كان مثلنا مثل السائح الغريب المقتفر إلى من برشده وهو  
في بلاده .

\*\*\*

ولدت فاطمة الزهراء ، أمة لرسول صلى الله عليه وسلم

من خديجة الكبرى رضى الله عنها وفريش تسمى الكعبة بمكة المكرمة  
والتي صلوات الله عليه ابن خمس وثلاثين أى قبل هجرته للبركة  
بسمعة عشر عاماً وكانت أصغر سناً وظهر اليه (١)

كانت سيدة النساء فاضلة بمباركة ذات ملامح حذابة وبون  
أبيض وقاب معمم بالاحساس . صبيحة الوجه ذكية انقب  
تأثر القلوب للبشرية الحساسة من مظاهر الصفاء والجداء  
كثيرا ويكون نصيبها من لدائد الحياة ومتاعها شدة من سواها  
وكرعة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت من همد الصنف من  
النساء ولهد السبب يرى الاكدار والسررات أثراً عميقاً فى حياته  
المشرقة القصيرة .

سيرة حياتها فى التورج المولعها من نصبة مختصرة فليس  
فيها ما يشير الى أفكارها الخاصة ولا يوجد فيها للأسف ما يشرح  
أيام حياتها قبل زواجها ونأى شأن من شئون حياتها كانت تشمل  
فراغ حياتها وأبى مع علمي بمكاتها العالية من قلب رسول الهادى  
فلا أعلم شيئاً كثيراً عن نشأتها وأيام حداثتها وثى حوم الأحواء  
حلقته فى منزل أبيه صلوات الله عليه قبل زواجها .



## الفصل الثاني

ثم زواج السيدة فاطمة الزهراء من الامام علي كرم الله وجهه في شهر رجب من السنة الثانية للهجرة لسوية المناركة، ولقد كانت السيدة العظام دلك في ازهى اوقات الحياة، في الثامنة عشرة من عمرها، الامام علي فقد كان يباع الحادية والعشرين، كلاهما شخصيتان يحيط بهما حلال الايمان ونور الهدى، متكافئان متعادلان من كل نوحوه مناسب أحدهما للآخر كل المناسبه

كلاهما غالى الفكر رفيق الحس حميد الخلق، صريح الوجه  
كلاهما دوجان مفتونان بالمعالي، عشقان معرمان بالحماد  
بدات حياتهما امشركة التي امرحت فيها العضيلة بالكمال  
والاصالة بالجمال على هذا الوجه من الصفاء والاحلاص  
حضر الامام على ذات يوم من ايام السنة الثانية للهجرة الى الدار  
النبوية معه، وبعد أن دخل الدار سلم على الرسول ثم الكائنات  
وسكت (١)

فسأله رسول ما اذا كان يطلب شيئ فرد عليه مجيباً انه  
حضر لطلب كريمته السيدة فاطمة فقال له الرسول مرحباً أهلاً

(١) السيرة الحلبية

ولم يزد على ذلك بل ظل ساكتاً بعدها مما اضطر عليك الى العودة  
محتاراً مدهوشاً

لم يستطع أن يبروجه حقيقة من رد الرسول فسأب بعضاً  
من الانصار فبشروه وطيبوا خاطره وأهموه بأن في هذا الرد  
ما يشمر بالقبول ولا يحجب مفرح الامام واعتبط بذلك

وبرى الرسول صلوات الله عليه بمد قيام على تطيب كريمة  
السيدة فاطمة وبحرها سهد الامر ويسألها رأيا فلا تحببه بل  
تطرق ساكتة فيعدها الكائنات سكوتها علامة لا يحجاب ولرضى  
فيقرر اتمام عقد الزواج ثم رسل تطيب على كرم الله وجهه  
ذلك ويسأله هل عنده من شيء فيحبيه أنه لا يملك سوى فرسه  
ودرعه فيأمره ببيع الدرع لشجيرة لسيدة فاطمة ثم منها

بهرج على الى السوق فيبيع الدرع لى عثمان بن عفان بأربعمائة  
وسبعين درهما ويود بان من معقوداً في طرف ثوبه ويضمه أمام  
الرسول وهو يقول «ها هو بدل الدرع يا رسول الله» فيقبض  
الرسول بعض دراهم منها ويسألها بلالا ليشتري بعض الطيب  
والروائح ويسلم الذي الى م - حتى تشتري الحوزة والى المارء  
جلة ما بعته الرسول مع ابنته سيدة النساء

توبان من الصوف

خيلة

سواران من المضة

طاوية

قدر

دحي

وعاءان صغيران للماء

وعاء صغير للماء

كوز

حشيتان احدهما من ليف المحمل والاخرى من  
نطح الجلد.

اربع وسادات اثنتان منها مخشوشة صوفاً والاخرى من ليف  
هاهو جهاز سيدة النساء . كريمة خير الانياء في السنة  
لثانية من الهجرة ثم انامه درساً في الاقتصاد للامة الاسلامية :

•••

ولقد ان احصرت ام سمي ذلك الحمار ، دعا الرسول صلى  
الله عليه وسلم جماعته من الانصار ثم خطبهم خطبة بليغة  
ففيها على الله ما هو اهل وذکر فيها فوائد لرواج وختمها  
موله . قد زوحت فاطمة من على نافر الله ثم دعا لها عقب  
ذلك بحسن المعاشرة وهدونه لصالحه وعند ما عقد السكاح على  
عندا الوجه لتسيط احصر لرسول للحاضرين من الانصار وعاء

■

فيه بعض التمر وقدمه اليهم بقوله : تحاطعوا :

هكذا نم رف سيدة النساء وابنة نقر الكائنات بلا ضحيح  
ولا ضوصاء ولكمه بالسرور بطلا أرجاء القلوب ، بالصفاء الذي  
يعدل الصفاء بشعر به المرء أيام الاعياد — ما السعادة ، ليست  
صفاء القلوب فادا كان القلب مغموما كثيباً قاهي قيمة الحية  
مهما ازينت وانبرت وحف بها شباب الاس والون السرور ؛  
نعد ان نغرق المدعوون طلب الرسول صلى الله عليه وسلم  
أم سلمي وأمرها بأن تذهب بكرمته الى دار علي وأن تخبرهم  
انه آت اليهما عن قريب ، فنهضت أمره وسارت سيدة النساء  
الى دار زوجها

أما رسول فقد صلى صلاة العشاء وبعم عقب الصلاة دار  
علي وفي يده فربة من الجلد نستعمل لسقى الماء وعند وصوله دار  
صهره قرأ عليها سورة المعوذتين ونعاضاً من لادعية وأمرها  
بأن يشربا ويتوصا من الاماء ثم أخذ قليلا منه ونثره على رأسيهما  
وعند ما أراد مفارقتهما وقدهم بالقيام كانت فاطمة رضى الله عنها  
تبكي فحاطبها بماء معناه :

— « أي بيتي قد تركتك وديعة عند رحلي ، إيمانه أقوى  
من إيمان أي إنسان آخر وعنه أكثر من علم الجميع به من افضل  
قومنا اخلاقاً وأعلام نفساً »

أهدي نقر من الانصار الكرام سيدة النساء كبشاً، واضع  
كيلات من البرة تناسبة هذا لطف وكنت الدار البوابة قد  
ارسلت اليهما بعضاً من التمر والزيت فأولما من هذه الاشياء  
وليمة حسنة

على هذا الوجه تم عقد الشراكة القلبية بين سيدة النساء  
طاهرة والامام على كرم الله وجهه فلا يمكن المزيد على هذا النوع  
من الصفاء والصبر من المساطفة لأن يحب الانسان ويحب  
وليصير سعيداً ونسعد من حوله هذه امور تتوقف على مباداة  
المرء من دعائم الحب فوق اسس الاحسان يعيش في موى  
محكم يهاوم عواصف الدهر وأدوات الرمان وترده آلام النفس  
قوة وبجمله مو سم العمر ارضى واهر مما كان

بمثل هذه المقامة والرزانة احب على زوجته سيدة النساء  
وبركة لدعاء المولى كنت ترى شراق الشمس وألوان السماء  
الصادقية ونشوة الشبيب وما الى ذلك من المعنويات محتمة في  
دار على تقطع مراحل العمر مع ذينك القلبين الطاهرين ونفوسهما  
سوارها الزاهية

كل يوم من هذه الايام السعيدة في سائلة العمر البشري  
ملك التي تمر بين انوار السرور واصواء الابداعات ، لا تكون  
كالجواهر النفيسة قيمة بمقدار ما يكون نصيبها من تأثير

واسيع في الاوقات الممونة بحجة هي اوقات اليافوت وايام الامل  
 يشابه المرشد ولازم الى تنفي باصدافه تحاكي الفسروز  
 ولاعمار التي تنقص بالوانه ولا اتحاد تكوون كالاتى فهدى الاوقات  
 المنقصة هي حذرة بالاهتمام والعتاية ، هذه الملائكة بعد  
 عصى وقفها وبعد ان ترمى في النجور يجب ان تصدق في محافظ  
 وبقية تحب ان يعي شأها لئلا يصيبها ذي ويمتورها ففسد  
 واحققها عباد يمعن ويقبل من شأها فاذ من تقصى ربيع الحياة  
 ومصت او ار لعمرو وديان اذهار لمرور والسموات ان اخرج  
 هذه الملائكة من مكائهم لانهى نشأهم واعادة الذكريات لحياة  
 رؤياها وتجربد خواطر الصبا واسطها ، معادة يلهم من معادة  
 كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد امر كرتته العريضة بان  
 تقوم تا بحصم في هذه الحياة من شؤونه واعباته في كل ما يتعلق  
 بادارة المنزل من خير وسيخ وكس وتنظيف كما كان على يقوم  
 ما سرت على الرجل من وظائف الحياة خارج المنزل ، ذكان  
 رعى لابل وبشترى لوازم بيته من السوق

وهو في ذلك واذا علي يقول لروحه يوما ( غدا شفوت حتى  
 سايت صدرى وقد جاء الله لىي ودهى فاستجدى ) فقالت  
 ( والله قد طمحت حتى محلت بدى ) (١) فانت الى صلى الله

عليه وسلم فقال ما جاء بك أي دية فقالت حثت لأسلم عليك  
واستحييت ن تسأله ورحمت أنتباه مما هي وزوجها ، فذكر له  
على حاله قال لا والله لا أعطيكها وأدع اهل الصفة تتوى بطونهم  
لا أحد ما أتفق عليهم ولكن أبيع وأتفق عليهم أنفسهم ورحما  
فأنهم وقد دخلوا على فطيمتهم د عطيا رؤوسهم يدت قد رما  
واذا غطيا أقدامهم ، مكشعت رؤوسهم فثار فذل د مكانها  
الا أحبرك نعيم ما سلمتني فدا لا بلى فقال كانت علمين حبريل  
نسبحان في در كل صلاة عشر ومحمدان عشر ونكران عشر  
واذا أوتيتا الى فراشكما نسبحان ثلاثا وثلاثين واحدا ثلاثا وثلاثين  
وكبر اربعاً وثلاثين ، فسكتا وعملا شدة الرسول

اعاطمة لرهرة من الاولاد خمس ثلاث صبيان و... ونم  
الحسن والحسين ومحسن وام كانوا وزينب وقد مات محسن  
صغيراً (١)

كانت رضى لله عنها دت عقل ودراية ، عاية الحسن محمد  
الشعر وامرئ مسائل العفة والشرعية ولها امام باقر وم  
أحدها المرور ب... مرائهم في الاسلام وكانت ...  
حلاوة الله ن نحب مودة لعمراء كزوجها على وقد كان كثر  
حرجه في وجوه البر والقرب فكان له ارتفاع طبل من ملاكة

يخرج به جميعه على الفقراء والضعفاء ويقتسم هو وعياله بثوب  
الغليظ من الكرسس وناقصر من خير اشعير (١)

مرض الحسن وضى الله عنه ذات يوم في ابن صباه واشتدت  
عليه وطأة مرض شدة أنه مات بل ذوبه ويما كان سيدنا علي كرم  
الله وجهه في المسجد مع امر من اصحابه ، مطرفاً حزيناً على حالة  
ولده وداهم يشيرون عليه بان يندبر مرأى الله اذا عاوده الصحة (٢)  
وما عاد لي داره بوي ان يصوم ثلاثة ايام لوجه الله يستصوات  
السيدة فاصمة هذا لراى وشاركته في الصيام وقد عتقد الحسين  
ايضاً ان في مثل هذا الشفاء فيه فانسح على موله  
في الصيام وكان الامام على كرم الله وجهه قد حصر مقداراً من  
الشعير من حدمه وطمحت السيدة فاصمة نحو ثلثه وحاته  
حصة رعة وسما كانت هذه العائلة المملوءة بسركة على  
اسطاراً لوقت الاطوار ساعة حروب صرفقير على سنة وسأله  
شيثاً من اهوت وترك على مديده ونيمته السيدة فاصمة وتاولا  
الرحل جميع الارعة المعدة لطعام ذاك اليوم وقد حدث لهما  
ذلك في اليومين التاليين من صيامهما حتى ان العائلة جميعه اضطرت  
ان تمسك عن الطعام والشراب ثلاثة ايام متواليات لهنم لا قبيل  
من الماء يترشعانه وشعواوا لكن الله قبل صيامهم دن الحسن



أخذ يماثل نحو العافية في اليوم الرابع ففرح والداه بذلك فرحاً  
شديداً وأخذوا الحس وحسين إلى حدهما لرسول صلوات الله  
عليه وسلامه وقصا عليه ما وقع لهما وقد أحمره الأمام (١)  
كرم الله وجهه لاقتة السيدة فاطمة من عناء وشدة في أيامها  
الثلاث فبشرهما الذي بشر الكائنات من الله وبشرهما من صيامهم وبرهما  
لا أدري بأي لسان أصعب مثل هذا العمل الصالح وكيف  
أصور للقارئ أمثال هذه النفوس الطاهرة أمثال هذه  
الحوادث تيمم الأمل والنسالة في النفوس ونمري المرء بالافتداء  
بمثل هذه التضحيات الدالة على الكمال الخالق .

كانت السيدة فاطمة امرأة من نساء حواء مثلها، ولكنها  
زنت طول حياتها إلى العلو ووقفت دقائق العمر على ما فيه  
صلاح النفس وكمالها وأدرك من ذلك مثال حدود بلافتداء، ودرس  
اخلاقي بليغ .

تلك الحياة الثريه الصافية يصيبها ما يكثر صفاءها ذات  
يوم فنرى علياً في طريقه إلى المسجد مذموماً كثيراً بنفس  
الصمد، حتى إذا وصله وصلى قليلاً تلب عليه الناس فقام مزوياً  
في أحد الأركان فرة لرسول على هذه الحجة وكان قد علم  
النزاع الحاصل بينه وبين كريمته السيدة فاطمة فتقدم نحوه

ومسح ما عليه من التراب وهو يقول : « ما جئوسك هـ يا رب  
واب (١) » ثم أمره بالعودة الى داره فأصبح يلقب بذلك منذ  
ذلك وكان ذلك من دواعي سروره



كانت السيدة طاهرة تشابه ادها في كلامها ونحايته صلى الله  
عليه وسلم في مشيها بحفاوة دمة نير دهشة الناس اما بحبهم  
لولدها آخر الكائنات تلك الغيبة الخارقة للمادة ، فان السكتب  
والاسفار منحدونة بمصائدها وادوارها وحوادثها في هذا العدد  
وأستطيع ان أقول ان هذه الغيبة التي تفوق كثيرًا بحبهم  
لزوجها وأولادها كانت محور حياتها كلها واعتصر الأساس  
لها فان آثار الشفقة والحنان التي كان يظفرها لها الرسول صوات  
فه عليه وسلامه ولصالحه لأبوة وكذلك الغيبة هذه بمويز  
هي التي سمع ريعها وأشرق نورها في تلك الحياة الصاهرة الى  
دامت ثمانية وعشرين ربيعاً. فصحتها الروحية لوالدها الرسول  
هو الذي رفع شخصيتها وألقى شعاعاً من النور على نسوبته  
قد كانت عالية لعمس فطرتها ولكنها بهد لانصل الروحي  
عكست من أن تكون ذات شخصية لاهوتية وأن تكون  
مظهراً لحنوان سيدة ربان الخدود

كانت السيدة فاطمة زهراء محبوبة من أهلها بحبها للجميع .  
 هي فقد كانت مشغوفة بحب ولدها أكثر من نبي الله صلى الله عليه وآله  
 كانت تحب رسول الله صلى الله عليه وآله الكائنات من عمق القلب والروح  
 وقد تركت ذكريات حسنة في قلب كل إنسان عرفها .  
 الساعات العشرة التي مضت من يوم زوجها حتى ساعة وفاتها  
 فكان الإمام على يده كل صفة له وفضل وكل كلمة تقولها وكان  
 أولادها وعبيدها يطيعونه ويحترمونها في كل حين ولحظة .

كانت تحب ولدها وامتى بشأنهم وكانت في صلاتهم وعبادتهم  
 في مبرأها وخير من أكثر السيدات بساً في عمل  
 ربات الخدور

روى عنها أحاديث نبوية كثيرة ونعامت قصائد ذات  
 نبات عصرية وأظهرت دراية ومهارة في حل كثير من  
 المصائل .

على هذا النحو البديع مرت حير المدة حتى السنة  
 الحادية عشرة من الهجرة النبوية المريكة .  
 وتعين المحتاجين ونفيت الباطل . وقد طالت هذه الحياة السعيدة  
 على هذه الوتيرة حتى السنة الحادية عشرة من الهجرة في أيام  
 لبي انتقل فيه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى جوار ربه .  
 وراق تلك السعادة وأظلم قلبها بعد أن غاب عن سمعته تلك النجمة

العلية التي سطعت فيه ودحا من لزم وهكدا الدهر لا ينقضى  
يوم حتى يعقبه ليل

أقبلت ذات مرة نرور الرسول صوات الله عليه وكان معه  
السيدة عائشة فقال مرحباً باني ثم أجلسها عن يمينه ثم أسر إليه  
حديثاً فبككت ثم أسر إليها حديثاً فضحككت فقالت السيدة عائشة  
« ما رأيت كأيوم أفرب فرحاً من حزن ؟ فسألناها عما قال ؟ فقالت  
ما كنت لأفتي " على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سره .  
فلما فقص سألناها ما أحزننا ؟ انه قال : ان حبرائيل كان يعارضي  
بالعرآن في كل سنة مرة واحدة عارضي الامم مرتين وما رآه الاق  
حضر أحلى و بك اول اهل بيته طوقاً بي ونعم العارف انك  
فبكيت ، فقال : لا ترعيبين ان نكونى سيدة نساء المأمر  
فضحككت »

لم نترك السيدة وطمة أدها الرسول لحطة واحدة وهو على  
فراش الموت فقالت له يوم ما وهي تهكي « انك يا بني تعاني  
سكرات الموت هلا أقمت من خواص صحابك من يليك  
في أمر النظر في شؤون العامة قبل ان تمهل من دار جهادك لي  
لا آخرة مقر خلدك وسعادتك وها قد بدأ النحول والاء .  
يظهر ان عليك « هو تعلم مقدار محبتي لك لك قد حمت لي ذكرك »

كثيره تذكرني بك ما أنا إلا ملك شيت، أعدده . قلبي أسير غائوه  
الحزن أحاول ليوم بعريته اني سأفقدك فو مصيبياه وما أشد  
عواي اما أنا لا يرني لحالي البس، فاحسها لرسول في معناه أي .  
« نبيتي هذا يوم لم يبق لي فيه شأن مع أحد وسوف أرى حرمه  
ما صنعت ان حبر، وني شرأفقد علمت حالهم ومصيرت في أمرهم  
بالعدل والله على ما أقول شهيد حافظت على الذي وجاهدت  
من أحبابهم و رديت لباسهم وصايت معهم دون أن يعزبي غر  
و كبر ولم أتخذ امسى ما يشم حوى وه أريدشون، نعمأرفه  
جسمي من قصيت حماي في فمر ومرورة ود امنت لي حوار  
ري ليصروا في شأن أعصم معهم وعطى اليهم لاسي ندي  
في به ابرد والعصاء الذي أئذونه و تلك خشية مصووعة من  
سف لمر التي جلس عليها وفيه الرطوبة . عند ما في صوات  
لله عليه لم يكن معه - سوى السيدة عشة وعمه امس وكرمه  
طعمة وروحها الامام على كرم الله وحمه

لقد حزنت لزهراء حركاً شديداً لوعة غر الكائنات . ودم  
حزنها الى أن توافها لله، فم يظهر على وجهها أمارة من السرور  
طول تلك المدة

خيل اليها بعد مصيبيها ان العالم كثيب مغموم والشمس  
مظلمة والسماء مبرة قاتمة ذلك لان المناظر التي برها لوه من

حلال الدموع تظهر عراء بهنة لوسها يغم لما طرين كثرة دموع  
اليأس تغلل بهجة حياة وتقص مقدار ذوقها فإذا بكى القلب  
دمعت العين وما في العالم من حذيقه وأشواق يتوهم على ما  
يمضيه القلب من السرور والسرور اذ تمسكس أضواء العالم على  
مرآة القلوب في يوم الذي تشمر فيه سحران وانكاسة لهُو يوم غير  
لاطم ولا لون له أما انه سرور في يوم يمشه ذنوب لو يشع  
من حلاله كل ريق الالاس والسماء وكان روق حياة متوقف  
على نشاط الالاس فهناك علاقة وتناط بين حواديب  
واحساس ذواتنا .

وقد أعجب بكاء زهراء مرة هي مرة السكون ولهدو  
ودل ذلك على أن ارتباطها بالحياة ليسا قابل أحد في الانحلال  
رغم . كانت تشمر به من الحلو والحببة إلى أهل بيها ، وكانت  
تشعر بأن مردها سيكون سهلا مساهلا لانه سيوصلها إلى  
حييب قلبها . إلى وابدها لرسول صلوات الله عليه

الرابطة القلبية التي ربطها بهذه حياة لعامة منشؤها ما تعيش  
فيها مع من تحبهم فكل من يربطه الكلمة لبشرية ربط معنوي  
كالحيوط خيرية لما سكة في شيرة واحدة فإذا بحث احد  
فتمت إحدى الروابط وإذا انقصت عرها تنور لزم من  
نق لنا علاقة بكائن ما وأصبحنا ننظر إلى الحياة بحمود وهندوه

قد يحدث أحيانا ان تلك الرابطة من اقرب الروابط الى قلوبه -  
 كرابطة الزهراء نائيه الرسول يؤدى الي فهم عرى الروابط  
 لأخوي فلا يشعر اذذاك إلا بالأمل يحيى في النفوس انتظارا  
 يوم الوصال

زادت للزهراء قبر ايها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد  
 وفاته أيام واحدت بينها حصة من ترائه وسنشقهها تشوق رائد  
 احدت نسكى ولهة ثم لم تملك ان وهت هذه المراقبة

عبر فوق السماء وكورت شمس النهار وطعم المصرون  
 الارض من بعد نسكى كتيبة أسفا عليه كثيرة ارجعان  
 نسكه شرق البلاد وعورها ولتبيكه مصر وكل ننان  
 ليبيكه الطود المعظم جوه والبيت ذو الاستار والأركان  
 حاتم ارسل المبارك وصيه صلى عليك مرسل مرهون  
 فلم اسمعها انسان حتى نسكى معها واعدت افاضت دموع  
 عين بما في اعقاب من بران الحزن عادت الى مرهل واجهة  
 بطرقة





## الفصل الثالث

### نصب الخلافة

فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وارتفعت الضجة عليه ، دهش أصحابه دهشة عظيمة ، وصارت حلامهم ، والحموا ، احتبطوا ، وصاروا فرقا ، وتفرقت احوالهم ، واضطرت مورم ، فكذب بعضهم ، ونهت آخرون ، فانسكاهم الا من التميز ، وحلط آخرون فلانوا الكلام بغير بيان ، وحق لهم لك لارزية المظني ، ومصيبة الكبرى ، التي هي بيضة المهر وبيضة الدهر ، ومدى أصاب ومنهى الدواب

ولقد سرى هذا الاضطراب المسمى الى أصحاب الرسول ونصاره الكرام وزاد في حيرتهم الاشاعات التي راحت عن خلافة أبي بكر لم يميوا على أبي بكر شعيبته وانما خنقوا سويه أمرهم بلا مشورة ثم سمعت رجالات من المهاجرين ولا نصار الى سيفة بن ساعدة ، وهناك بعد حداد وحوار — سطوا بديهم الى أبي بكر بيايمونه وكف على عن البيعة كرامة

لروحنه لزهراء، ونحاز بحبه و هشم جميعا . و لضم اليهم  
ابو سفيان و حرب بن امية و الزبير بن العوام بطل  
قرش و حوري رسول الله و قام على و لزيير بدر فاطمة  
لا يرحلها (١)

و قد ذي ذلك الى - سي عمر بن الخطاب قدس من السار  
الى بيت على كرم الله وجهه ليحرقه و هك خرج له لزيير  
و المييف مصات يمينه ، و بدان يصدق به رضى عمر ، ثم يحايل  
عليه عمر و معه سبعة حداة و أحد من بعده عنيا بالبايعه و ما  
رأت السيدة فاطمة روحها يساق فمرا قولوت و قات .

« ان نكر ما نسرع ما نعرم على هه بيت رسول الله صلى  
الله عليه و سلم و آله و آله لا نكلم عمر حتى نلقى الله .

لا أن عمر كان قد ساق عبيد الى محاسن البيعة ، حيث انه  
نكر ، فقام له و هل و عتذر اليه ، ان ييمته كانت جنة و به لم يقام  
طما فيها بل حياطة للاسلام و و فانه من نكر القصة فأحياه الاما  
على و الزبير : -

« ما مضا عليك مساقه الله اليك من فضل و خير و نكر .

وي ان اما - في هه الامر شتأ فاستبددت به دونك و -  
ننكر فضلك .

(١) شرح ابن أبي الحديد

وعند ما سكنت الحواضر وهدأت النواثر هم أو بكر الى  
 ارفاطمة وطلب منها الصبح عن عمر وصفحت عنه ولم تكن  
 من الخطاب بل تلك روعه في مثل تلك العاصفة طويلا الى  
 صابيت الاسلام - هي بكل ما فيه من قوة وحيد حتى قد  
 سمع من شرفه كادت تقع فتقوص الاسلام من اساسه -  
 غنى الله عنه . (١)

تلك مسألة الخلافة وقد كادت زعزع بيان الاسلام وقد  
 دت تحففت فيها بالدم رأس من أرفع رؤس المسلمين لولا عتبه  
 الله وقفتها عند حدهم امد كات حمة عمر حبيباً في امداد  
 روح الاسلام لمررة الثانية لقد التزم عمر أحمد لمرور بها حم  
 والسيدة فاطمة واسكنها انتهت باصلاح وعادت باصلاح  
 واهت سيدة نساء المؤمنين من هو العامل احد فيهم ولم تنم  
 عن مصاحته لما سمي تلك العصية ان القلم يهتز عياً وعجراً  
 حان يعرض لتلك المضائل المكيمة المقدسة التي كمل لله بها  
 سيدة نساء العالمين

بعد وفاة أنها خراب الكائنات بنفسه يوم مات مولانا بعض  
 سرهم وطلبت منه ان تبادى في السوق من يقبل صدقة بنت رسول  
 لله واذا قبلها احد ان تحصره اليها فعات وكان الرجل من عمر

(١) شرح ابن أبي الحديد

بأعرب من أولاد العرب حدثته السيدة الزهراء حديثاً ما آله  
 الرسول أبناها «إن أسيها الحسن والحسين يستشهدان فيهما  
 أولادهما إلى المغرب وبحميهما أهل البر» (١)

بني لا تنك من الخبرة تستولي نفسي عند سرد هذه  
 الحادثة فقد حدث أن استشهد الحسن والحسين وفر أولاده  
 إلى المغرب وحمام المدينة من أهل ورز ثم تعرضت من اصولهم  
 الدولة الفاطمية الزاهرة التي حكمت شتّى إفريقيا من  
 أقصاها لأقصاها .

كان العالم الإسلامي مطهر لدمهشت من لوفائع ، تطهر  
 حينئذ ثم تخلى ونة أخرى كالحديث الحونة فلا يبق من شكاه  
 وحواله في لوحة الخطر سوي شياح شتيانة .

## الفصل الرابع

### حادثة العدك

ما دامت الدنيا فاسدة رعات نافية لا ترون . وما دام الموان  
يون تمارع البهائم سرمد حلد . يعمل المس بهوز عجوز أعصمهم  
في سبيل سبيده

عرضت حادثة العدك يوم الأحرار ولأكدار في قصتها  
السيدة طاعة لزهراء عقب وفاة أبيه خراف الكائنات فكانت صغارا  
عن أبيه وفدك هذه عرة تحمل كانت لارسول صلى الله عليه  
وله وسلم ، تصرف منها على أهل بيته وتنفق البقي في مصالح  
سلمين ونعم أن توفي صلوات الله وسلامه عليه صارت السيدة  
طاعة فدك من سيد « اني بكر وبروي المؤرخون الحادثة على  
نوحه الآتي (١) » حضرت السيدة طاعة ذات يوم الى خيمة  
رسول الله وفات له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاني  
فدك وشاهداني على واثم أمين .  
فأحاطها أبو بكر

(١) شرح من أبي الحدييد

لا ترتب فيما تقواين وقد اعطيتك فذلك

ثم حررها حجة ذلك على قطعة من الخلد وسامها  
وهي هي عائدة الى دارها فلها عمر وسألهما من أن هي آتة  
فأخبرته تائه فم رقي ذلك في نظره وأخذ الحجة من يدها ورجع  
ها الى في بكر وسأله عن الخدمة فاصدقه بالخبر فقال ان عد  
ويذن عليك فذلك وتم آمن امرأة ومعا على الحجة من كتمان  
ومرهم في الخلد وقد اعرب فاصمة من ذلك ورحت اي الك  
وهي مع قول اسها ( اما مشر لا اتيه لا يورث او عهد ما به  
اماع في بكر على منهم لاثت حررها و قبلت في له  
خدمها ورسا قومهم بطا في دولها ما يحرم مشيها مشية رسو  
الله صلى الله عليه وسلم حتى دخلت على في بكر وود حشد له  
من اهل احرين ولا نصار فصررت بها وسهم ربطة بيضاء  
أنت أنة أحمرش لها القوم بابكاهم مهات طولا حتى سكت  
من فورهم ثم قالت:

ه أنتدى حمد من هو في الحمد والطوب وحمد حمدت  
على ما نعم وبه الشكر تا ألهم وذكررت خطبة سوية حيدة  
في آخرها

ودفقو لله حق هاهنا وأصيموه فيها مكرمه هاهنا تحشى لله  
من عده له ماء واحمدو الله الذي اعظمته وتوره بدني من

في السموات والارض اليه الوسيلة ونحن وسيلته في حقيقته ونحن  
خاصته ومحل قدسه ونحن حجته في غيبه ونحن ورنه اليه انه ان  
طلمه امة محمد اقول عوداً على بدء وما قوب ذلك سرقا ولا شططا  
فاسمعوا اسماع واعية وفلوب رعية له - حاكم رسول من انفسكم  
عزير عليه ما عنكم ، حرص علىكم ، مؤمن رؤوف رحيم فان  
مروه بخدوه في دون انفسكم واحسان على دون رحابكم ثم  
ثم لان رعمون ان لا يث لي انفسكم الجاهلية يرمون اومن  
حسن من الله حكما لقوم ودفون لها مدثر مسلمين ان  
دث لي اني الله نرت يا س اني فعاقه انك ولا يث اني لقد  
ثب شيا فربا قدوسكها مخطومة مرحوبة انك يوم حشر  
همم انفسكم لله والرعم محمد والموعد القيامة وعد - الساعة يحشر  
طابون واسكل مستقر وسوف تعلمون من ياتي به عذاب  
بريه ومحل عليه عذاب معهم ، ثم عدت لي مسجد الانصار  
وات

« يامعشر البقية وأعصاء لمة وحفصة الاسلام ما هذه الفترة  
عن نصرني والوابة عن معونتي والعمزة في حق والسه عن سلامي  
ام كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمول ( الامر بحض في ولده )  
سرعان ما أحدثهم ومخلان ما أنينم ان موته لعمري خطب حليل  
ستوسع وهنه واستهم فتقه وفقد رانقه وأضمت الارض له

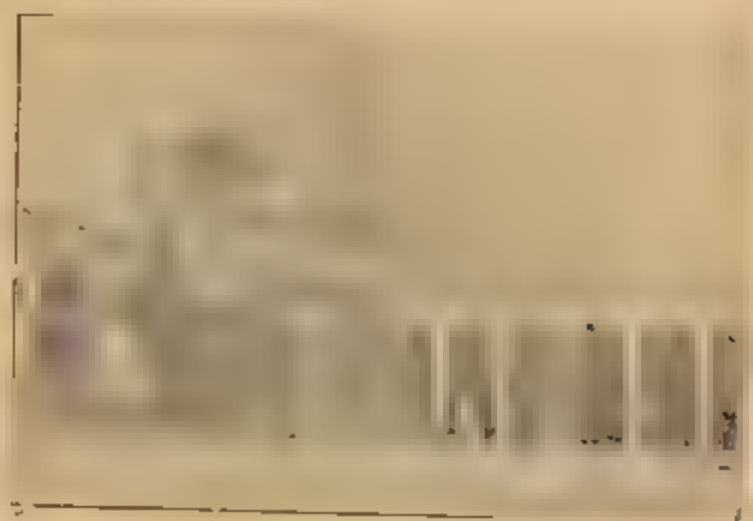
وخشعت احوالها وأكذبت الآمال أضيع بعده الحريم وهتك  
الحرمة وأرليت المصونة ونلك بزلته علن بها كتاب الله قبل هذه  
رسول الله - بها بنى قبيلة. اهتد به نوث انى وانه عمراى ومسمع  
تبلفكم الدعوة ويشمليكم الصوت وفيكم البعدة والمعدد والسكر  
الدار والظعن وانه بحمة لله لى انتحب وحيرته انى احوار لا ووه  
ارى ان الخدم لى خضع وركنته الى بدعة فخدم دى وعينه  
ألا وفدقاتكم ماقت على معرفة منى بالخسة انى حاصر انكر  
وخور الفة وصعب البقيس قدوكم وه فاحتووه. مدبره لظم  
نافذة لحف دوية الممار موسومة الشمار موصولة بار الله لموفد  
اللى نطالع على الافئدة قيمى الله ما تعملون وسيعلم الذين ظلموا  
اى منقلب ينعلمون .

فأحبها ابو بكر بعد ان حمد الله وأثنى عليه

« يا رسول الله والله ما حاق الله حاقاً أحب الى من رسول  
الله ولوددت ان السماء وقعت على الارض يوم مات نواك و  
لأن تعمر عائشة أحب لى من ان تعتمري فرى اعطى لاج  
والا يرض حقه واطمعت حقاك و ت رسول الله صلى الله  
وسلم لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بحسب ما شر الأ  
لا نورث وما خلفناه صدقة ولست تاركا شيئاً كان رسول الله  
صلى الله عليه وسلم يعمل به لا عملات به ثم يهد لها بعد ذلك



ان يدفع اليها ما يخصها من نصيبها وينفق باقيا في شئون المسلمين  
 فقد مات من مكابها وتوحيات نحو قدر ايها تستشهد بأبيات ملوؤها  
 لشكوى وشهاداتها على ما كان من هضم حمها ثم نهج عمر في  
 خلافة علي منول ابي بكر في صدقة فذلك وكذا كان شأن  
 عثمان وعلي رضي الله عنهم وعند ما توفي الحسن بن علي في خلافة  
 معاوية بن ابي سفيان قسمها بين مروان بن الحكم وبريد بن معاوية  
 وعمر بن عثمان بن عفان - وأما في خلافة مروان بن الحكم فقد  
 تنقلت جميعها اليه من طريق المبرات الى الله عند العرير وعند  
 ما ولي الأمر عمر بن عبد العزيز اعادها جميعها الى ولاد فاطمة  
 ثم تنقلت الى العباسيين عند ما آل اللهم الحكم وأقول  
 ولهم انتماءات الى العاصميين وكألو يوزعون غيرها على الخجاج  
 لي ان قطعت اشجارها فانتهمت بظلمها حادثة فذلك التي امتدت  
 بحرين متواليين .



الحرم لدى

-٦-

## تاج الرجال

رابعة المدوية رضى الله عنها

## الفصل الخامس

### وفدة لزهراء

عاشت سيدة النساء عشرين سنة، خلت الكائنات ستة أشهر  
ونوفيت ليلة الثلاثاء ثلاث حوزة من شهر رمضان سنة إحدى  
عشر هجرية رامة من العمر عشرين سنة.

وقد كانت بحسب سنة وفدة أم سلمة،  
فقات لها

اسكني لي غلاماً

فاعتست كأحسن ما كانت تمسك ثم لمست ثياباً لها  
جداً ثم مات

« جعلي قرأني وسط البيت » فاضطجعت عليه واستقبلت  
العيلة ثم قالت « اني بمبوضة الساعة وقد اغتسلت فلا يكشفر  
لي احد كتماء » ثم دفنت ليلاً في البقيع وصلى عليها ابو بكر  
والصحابة والانصار وزل فبرها الامام علي والفضل بن عباس  
رضي الله عنهما

وبعد ان دفن الامام على زوجته المحبوبة جاء الى قبر الرسول  
وناجاه بهذه الكلمات .

« السلام عليك يا رسول الله عني وعن أمّك السارة في  
حوراء والسردمة اللحق بك في يا رسول الله عن صبيبتك  
صبري وق عها بخدي . لا أن لي في انسي اعظم فرقتك  
وفادح مصيبتك موضع امر . فاند وسدك في ما حودة قبرك  
وهصت بين تحري وصدرى بك . قد لله و . ايه واحمون  
فقد اسرحمت الوديفة وأحدثت الرهينة أما حربي صبره .  
وأما ايلي مهد ، الى أن يحذر لله لي درك ايلي استم معه  
وستذبتك امك تصاهر أمك على هضمها فاحتمها السؤال  
واستحبرها الحال ، هذا ولم تطل العهد ، ولم خاق منك اذكر .  
والسلام عليكما سلام مودع لافل ولاستم . من أعرف فلاعن  
ملانه . ون أفم فلاعن - و . حين عما وعذاقه الصابرين »

بلى ان لله مع الصابرين : ان انسي ياتني عنده بالصبية ، مبهمة  
صرا يمدل مصيبتيه ووزى مكنته ، رفع تلك القلوب الحزينة  
التي أحرقها ، انار الالم وبجبيها وشدة النكبة وعظم قدرها تكون  
نسبة ما في القلوب من حس هبات ترى القلوب الحساسة تزيدها  
صدومات لحزن حلاء وقدرأو غنبراً الأكدار سيره المرء ايصل  
الكمال . ا . الله دة فتسوفه الى مهواة الالامية . القلوب السعيدة

محرومة من مطهر الرحمة والتسامح أما القلوب الطاهرة بواع  
الهدوم ففيها مسدستي للانس فسرعان مائة تلف بأحرار الآخرين  
ومختلط بألهم وتفهم حاجاتهم .

ينغار اعداؤهم الى الخوة بظرات ملؤها الشفقة وآيات احسان  
وكذلك كان الامم على اكرم الله وحبه في عهده الحظي وكان  
وقته شديدا على فيه الحساس . كان يملأ دونه طمى ، للموع  
يرى فيه كيف لا يحزن وقد اشتد يتمه بعد قري روجته  
عبد رقي ارسول صلى الله عليه وسلم

ورق هدى الحبيب حرمان مفض وحرر في القاب  
لا يمدل وكل فكر في لاسم سيدة اي فضاه بصحة سيدة  
لدينا . وذكر حطر وفهم في قلبه اطهر ، وكيف كانت أيام عمره  
اننى عاش اوالى مات عومها ، ارددب لوعته وشتدت كآته  
ولا يجد السلى الا في احضان مبرها ، فيرك روحه تطير سابحة  
في الترة ، تعاق روح حبيبته وتماحيها وتكشف لها عن  
مكمون مضمها وحوها كان اسائل الترب والاحجار (١)  
ينظر منها رد السؤل ولكن ينال ن محيب . .

\*\*\*

أصف ارهود وأقرها الى الحسن وأخذها يلب ، تلك التي

(١) الدر المنثور

تتشرب أريجها وقت غروب الشمس ثم تنام في مثل ليل ، أحمل  
الورد فصرها عسراً

حمة الشمق وها الفجر لا يدوم جديهما صوباً بل مدة  
محدودة فالعمات والشعر والسرور ، كل ذلك مغنويات سريرة  
القاء كذلك الانسانيات واعمرات ومماني الحب ،  
ذكريات لروح محدودة مدتها ونجوم تندو في سماء الحياة  
قصيرة أمدها

الربيع بهجة الحياة . وحيرته من الربيع أفرسها والواسر عها  
ذولا كذلك هائس الحياة ، نورود ولزهور والعمات وساعات  
العصر وذكريات الشباب والواسر ، أنجدهم والطهر ، وأملكها  
للنفس اقصرها اعماراً

لأن حب المرء ، وحب فيه عش محرم ، معروفاً مدلاً ومماناً ،  
ثم بأفئ بعد ذلك كما تأفل ساعات الغروب ، تراك ورده ذكرى  
حالة ونما كضاً وأسماء دائماً ، مرتهما بحوال دور والسرور والسعادة  
لأن يكون محبوباً على الدوام . فيمنر حوله السمات والنفات  
يعيش في حو من الأوس والطرب والشعر ثم يرث ذلك وراءه  
فتبقى في القلوب ذكراه ممزوجة بالحن واللوعة والاسى ، تلكم  
باريخ القلوب محموة كثيراً ، لا قلة سراً

من بين هذه القلوب ، قلب سيدة النساء فاطمة الزهراء ،

ويعيش حياتهم، يستمد من تلك المصادر المنوثة وكما كانت لرحمة  
والشعنة من لوزة تلك الحياة ومن الصب الشئون كذلك لمحبة  
واظرف من أدوات ربنتها وكما لها

كانت فترة عين ولدها واروحة تنبوية للامم على والام  
الحون للحسن والحسين رعى الله عنهم وعد امسرت في صفتها  
الالهة كامة وروحة وتم يربا قل ن يحتتم في سواها ونفضائل  
مرذانة بالجلال والكمال

ذات حسنها ال وحية مع الامام كرم الله وجهه فصيرة حمية  
وكذلك نمر وروحة خيلة والرهود البصرة، قضت في ربيع  
العمر كما نهي ثون لغروب وحررة لشمق بعد ن ترك وراها  
ذ كربت من الحسن والحديبة، فتبدل وسها حال الربيع واعلم  
الى حروف ممس لو عاشت سيدة النساء، ما ذكرها يسمون لي  
يومنا هذا بنالوعة تملك أممهم ولما كنا نتحدث عن آحزان  
الامام على مثل هذه الشدة

مثل الشخصيات الماضية فذكرها بالاحترام والاعظام  
وبعدت عن أحولها الخاصة بوصوح وحلاء أملا في تجديد العهد  
ورغبة في احياء الاسم، كمثل الصور الشمسية التي تحتفظ بها  
لرحل تعرف اسماءهم ولا تذكر اشخاصهم وكما نجسمت  
أشكالهم وانظارهم واشبايحهم أمام أعيننا ازدادنا حبا لهم واشفاقا



عليهم وكما عيّد في الأذهان دكريت الأليم أحمرة التي مصيها في  
مقتل العمر كذلك نرى عائلها ما تلاقى أدهن أما الدين نحفظ في  
أبدا كرامة أيام حياتهم بالتفصيل ويستمرص في الحيلة انقساماتهم  
ودموعهم ولا مسمهم فاننا نذكرهم في شيء من الأسف  
والحزن يملك أنفسنا

الا اما الذي كالأحلام ثم وما خير عيش لا يكون دأبهم  
تأمل اذا ما نلت لأمريّة فأنيت هل أنت الا كالحلم  
في قيمة المآزعات ومجالات وانواع المصنوعات ما قيمة كل  
ذلك ما دام تدبير الاحلام ثم ومد من سعادته فما سعادته الم

## رمة المدوية

السيدة رابعة المدوية هي أم الخليفة بنت اسماعيل ومن موالى  
آل غنيك (١)، مودة البصرة و . ون كذا لا ميم عاما ، ربح  
ميلاده من المرحوم الى ابن يديا الا انه نظر لوفاته عام ١٢٥٠م (١٢٥٠)  
ولام عاشت نحو ابن سنة فها تعتبر بحق من ربات الخدود  
في أوائل العصر المجري .

اسم جيس ، في سنة مودة واندوى واصلاح النفس وكنع  
جرح الشروب فمدت مودح الكمال في عصرها ، كرت كل  
نضحية وعاشت فميرة مودة لمصل الى هذه الدرجة العالية .  
فهي بحق من اعيان عصرها في الاسلام

كانت عوف ساء زمانا ، ونساز عيين لا نارهد والتهوى  
بحسب . بل مذهبها وعرفها ، تعلمها وأدبها ، حتى ربت اليها  
لا بصرو وقد وثق بحورها لاء في كمال يتة ذاصحتها ويستفيد  
من معاشرها مثال حسن البصري النقي الشريف وشقيق الداعي  
الصوفي العظيم . وساميين الثوري مجتهد الكبير ، والملك ديسر ،

(١) في الحوري (٢) في حاسكان

حاكم الكرخ والشاعر البليغ كل هؤلاء الافاضل صاحبوها  
وحالسوها وحضروا مباحثها في الدين والعلم فاجبوها وقدروها عملها  
وذكاءها ، وأعظموا حال زهدا وتقواها

مات أبواها في مقتبل عمرها فنشأت في وقت استحكمت  
فيه حلفات الغلاء والفحط في مدينة البصرة ، فأوفعها بسكد  
الطامع تحت أسر رجل ظالم مستبد احتسبها عنده مدة ثم باعها إلى  
رجل آخر بعد أن اذقها أنواع المصيف والمداب ولم يكن حالها  
في هذه الدار الثانية خيرا مما كانت عليه في الأولى فقد تكدست  
كثيراً وقامت شدة مريرة فالتفت ، بصدر رحب دون تحمل أو  
دمر ، إذ كانت ترى الشكوى مرورية بها

وبينا كانت ذات يوم تهول بسرعة محتازة زفة البصرة  
رماها أحد المارة بظرة منكورة فارادت أن تعرض عنه مقلقة  
رحمها فزات قدمها فسقطت على الأرض فاكسر زراعها لم  
توق على الهوض من مكانها فظلت منسيا عليها مدة لشدة ما أصابها  
من الألم . وعند ما رجعت إلى صوابها رفعت نظرها خاشعة إلى  
السماء تناجي ربها : « رباه . قد اكسر ذراعي وأنا أعاني الألم  
والنهم ، وسوف انحمل كل ذلك وأصبر عليه ، ولكن عذبا أشد  
من هذا العذاب يؤلم روحي ويفكك أوصال الصبر في نفسي ،  
مشوّه ريب يدور بخلدی وهل أنت راض عني يا إلهي ، هذا

ما أتوق إلى معرفته . وما كادت تته بحواها حتى سمعت هاتمه  
يقول : لك « راحة عند الله مرتبة تعطيك اللاتسكة من  
أجلها (١) فقصيت بعد ذلك ما أعثر هامن لآلام ومعت راحته  
إلى درسيدها «منة مطمئة

لم يتم سيدها ذات ليلة فسمع صوتا وز في أرحاء دوه فخرج  
من غرفته بتلمس ممث الصوت حي فدته ذبه إلى غرفة راحة  
حيث رأى ما أدهشه وحير له رأى راحة تعبد رها تخشع  
نه عن «أن عميق هو وب يراقبها ويسمع من حاتم و ذها قوب  
د رى انك تعلم أن أشد ما أتوق إليه هو عدتك وادته  
مالك من حقوق . ولكني أسيرة لأنك حري الشخصية  
سبيل إلى تحقيق هذه العناية المتمدوني «لهي

فبنت سيدها وورحده من لمار نقاء فمارة طاهرة عميقة  
نحت دل الأسر فام مشته في الوم إلى ف لها «انت  
حرة صيفة يرمية ولك خبير في نكبي هاتوبه هي إلى حيث  
نتاين «عائرت هي أن نركد ر مولاه العاش مر كسب يده  
ومد ذلك اليوم أصبحت حينها درت ممتة وعطية «مة دوق  
حينها على أعماله وأخير . وصعة صب عيها الدستور الله  
الخليل «عمل لديك كانت تعيش ندا . واعمل له حرثك كات

تموت غداً ، فاصمت الناس عاماً الى عمرها ، ثم نحن بحرف من  
هذا الحديث شريف ادكأت ترى ندة في تضحية رحتا ، الديوية  
في سبيل سميتها الخالدة

تجاذت ذت يوم اطراف الحديث مع حد مشاهير  
اله و عيين فشكا اليها دياه العاية غير تطق احتملا لشكواه فاحسبه  
« انك يهذه انك كثر ذكر الدنيا ووردها على لسبك فانت  
مفتون » . مشمول بحاسم ، دن الرجل كثير مبد كر ويدركر  
في لتمام ندى ويدر ان يستحوره ، هو انك ففقت كل صفة يد بك  
« ذكرت شيت ، من محاسن او مساوئ ، هو من عرضة لراية ام  
كانت رد كل ما عصفها الناس (١) و قول املى بتد ياحجه « وقد  
مرصت ذات يوم فارعت فر شها ونا عاده ، حسن المصري  
مستعرا عها ، و حد ائمه سم نحر يكي فله لمعجبر منك  
وه تيكى فطاب -

أحصرت كسما من لذهب لراية واني مضطرب لا أدري  
مبها أم برفعه فادخل الله وانقضى من هدا لاضطرب فدخل  
حسن المصري وقل سم ما كان من امر الحرف ففحات  
لا تعلم يا حسن ان الله روف حتى عماده الدين ثم عنه لاهون  
« انك من يكي في سويداء قابله محبه ينف دوسها انصر لظار

السموات غير وحل . ابي يحسن لم اتوجه الى غير الله منذ  
اليوم امدى ، دركت فيه قدره الالهية كيف استطيع قبول  
هدية هذا الناصر وأنا لا أعلم هل كتب ماله من حلال ومن  
حرام (١) فقال على قبولها فاذهب اليه وشكره مع تقديم  
عذري له

حادثة أخرى رآها عند التعذر يوم ما فوجد درهما  
خبره محتجج في اصلاح وتعمير فاجبره ، ثم يعطها دراهم دوره  
مؤثقا فعبات رامة ذلك وانتقلت الى الدر الجديدة كانت در  
الرحل تحف بها أسباب السمع والراحة ووردهى جدرها بانوار  
الزينات ولزحرف . وما كان نظر رامة لم يتمود ان يقع على  
أمثل هذا الزحرف فقد طالت لظرف في العرف لزمير  
بصنوف لزينة وصروب الاشكال المبهجة ولم تتمايك ن تمت  
من هذا الامر وهي حيرى والهة وبعد ان أمعت النظر في  
حولها وتأمات طويلا ما يحيط بها رجعت الى نفسها فخرحت  
من الدار نوا وهي تقول:

«سوف لا أعود ثانية الى هذه الدار ولو مكثت بها ثلثت نفسي  
بهذه الاشياء الخيلة فيستويى لطمها فيحول دون ما ناصرة  
اليه من الاخذ بأسباب الآخرة»

(١) تذكرة الاولياء



( 50 a' 47, )





وسمات يوماً هل نجيب لله كثير، فقامت ملاوت فقيل لها: الا  
هذه الشيطان عدو لك، فحدثت ان محبة الله قد ملاوت ارحامها  
ليس فيه مدح الى اتفاق و اضطراب من عداوة الشيطان (١)  
كان يروى كثير من من لشهرته وشيوخه فيها، ويذكر  
بحاسن رجل من وصل هل من وجدوا في محاسنها، ثم عمية،  
وعند سمات روعة حسن البصري صامها، بارواحهم تقبل  
رسالت الله قضيه، مشهوره الى سمته، كثير من الامر الالهى  
قد سأل عقب ذلك في محبة ردت، وليس لك روعة  
الزواج، فحدثت مع رجل من يروح من ذلك  
رأيه بنفسه، اما انا فليس الى ارادة، لا عداوة بولى عر  
من سمات ليس تحت ارادة وتصرفه، فقل لها الحسن  
صلى كيف، صلت الى هذه الدرجة من الزهد والصالح  
حدثت ثم خير، وهو نفس وقد سمعت  
قل لها، فحدثت لافضل دى يومه، فريدها، لان  
الى فاطر السموات ياراده، كافى الذين يصطفهم من عباده  
منهم من مواهب، يزداد قدره، ولكن من العرب، ثم محمد  
من عده القدرة والكفاءة في امره، فكيف وصات الى هذه  
درجة وكيف أصبحت مثل هذه السعادة؟

فكانت : أنت محق في ذلك لأن النساء لم يفتتنوا يوماً من  
الأيام بكفاهتهم فلم تتظاهر بدعوى القدسية ،  
تأرجح أم الخير مملوءة بالدهشات من الغرائب تنقل هذه  
الحادثة كأنه ذبح لاسواها

كان من عادتها أن تعزل الناس فتحو إلى ربه بالدعوة والمنفعة  
فكانت تصوم سبعة أيام وتقطع إلى العدة والزهد ليلاً لا يهدأ  
أنساءها عن مباحة الناس بهذا الخطاب " إلى متى تمدين نفسك  
باربعة وتحمليها مشقة ليس لها مشقة ، وهي في ذلك وأ  
رحل يدق عاصم الباب وفي هذه صحن من الصمام يركبها  
يصرف ، ما هي فتأخذ الصحن وتضمه في راوية من الفرة  
وتشاعل بصلاح العندبل وهي على ذلك الشان فتدخل هرة  
فتأكل الصمام الذي في الصحن وطال تعود راحة ترى الصحن  
حوي فتقوم راحة في سمها لا أنس أظفر على الماء وعدم  
تذهب لتعود به بطي العندبل فلم تطق احتمالاً وشوقاً  
لم هذا المذاب ، فتسمعها ما تقول

لوشئت باربعة وهيناك جميع ما في الدنيا ومحوها ما في قلوبك  
من " العشق لأن قلباً مشغولاً يحب لله لا يشغل بحب الدنيا  
سمعت ذلك فعزمت على أن لا تعود فتتمنى سعادة الدنيا ورحة  
بل طالت ثلاثين عاماً تذكر ربها ولا تعيد ثلاث الحلة أو غيرها ،

يتم عن الشكوى ولا ألم بل كان وردها رب لا تجمل في قاي  
مكانا انير حبك .

قال عنها الملك دينار وقد كان سمعها بها معنوه مضلها  
ذهبت أرورام لحير يوماً فوجدتها على حصيرة بابية  
وموضع لوسادة قطعة من الآحور وتشرب من ماء مكسور  
فقلت لها أعرف يا أم لحير اصحابي من دوات الدار فاستجى  
لي ن ذهب اللهم وأطلب منهم معونته في أمر رعايتك  
ورحمتك فردت عليه فائلة ن الله رزقي الاعلاء هون على  
المقرء بصاحبهم . علينا إلا الصبر والتمسك ورصد الانسان  
بما قسمه الله فرض محتم

وقد رددت يوم سريان النورى حدة الصالحين الى مصر  
لها ومعه فاسل حر يدعى عبد الواحد فوجدوها بحيلة احسن  
وهية القوى فم يمالكا نفسها من مكانة فقال لها - دين  
النورى قدس الله سره : هل لا طلبت من الله ن لم لحير ن نعم  
بعض الألم فاحات . من هو يدى بعدنى ويسبب آلامى : فقال  
هو الله فاحات اذا كان هذا ممرى فكيف أخافه وأطلب  
منه تخفيف الألم . فاحاتها لا أستطيع ن أرد عليك وه أنا اذا  
أكل ايلك ممرى يد ان أشتمل بمرىك (١) فاستمرت تقول :

(١) مشاهير النساء

نوم تكن يسميان راعياً في الدنيا كل هذه الرعية - كمن انسان  
كاملاً - فلم يتجمل سعيان مريداً واحش في البكاء وهو  
عوب - هي انت راضى يارنى - له - الا تخجل فتسل  
ربك ما ذا كان رضى عمتك قد رضى عنه امور رضى عنه فانت  
وزرها - وما رضى هل افضل وسواها لمدا لعميش مبروة  
ولان روح طاعتك مثل حدرى ثلاثة امور اولها هل  
اموت وتعالى من كامل رضى هل انى لمحيى يدي لى يوم  
الحب والامرات لا تدرى مع من اكون - اعرس  
مع بهى لى حبة ثم مع لم يكن فى جهنم فاد كنت  
مشمولة باب - ل هذه الامور فكيف تمت عن الروح

سنة سميان "الورى" صبا وكان من كبر مصروفين فى  
عصره كيف هو - لك - رضى - هو - بلغ اعتقادك بالله تعالى  
فحاجته رضى - لا اعبى رضى خوفاً من ناره او شوق  
لحقته و - عبه - محض نعمة والاحلاص - ثم حذب - حى  
روح هذه "كلمة" ١١٠

"الهي احبك لوجهين - لى - وهى - لك - هل  
للحمة والعمادة مبشيرة ومحبى ذكر سمك وانتمى بك

مالية ونهائيك فمتحبة نال من لدنك مرتبة لك هدية فلا يقف  
بذلك وتدل لأمر منهم. وتلك الشكر ومالك المصنف  
جاء

وكان كاهن وهو عبقري من صوف الأير - موصوف منهم  
استخدمه معها بالادوية وسند - فرب منهم. وشعرت  
وقلة طلت «عدة» ست اني شوال - وعدت صديقة صاحبة  
فوصف نال يكملوها. سلك العادة. مات عمات  
صير مرش في لأم بعد ذلك. ثم ردد - حذر وعط - حذر  
من رأسها فقالت لها متحبة - د صحت ككرك الصوف  
- ها قد عوضني الله عنه هذه الثياب ككرك

•••

وكان موتها عام ١٢٥ هجرية وقبرها في رأس جبل الطور  
شرق القدس يزوره الناس حي - يوم

وسب العرني من من حال ما شرحه. رجب الله  
عصية عربية ذب مرة. فرددت من بين ريد حذوري  
الامر لاسلامى كانت م - در لتصوف والزهد والخشوع  
محبوب ناس - كانت م - مال السكال والعمل على التدرج  
حي - صحت ديه الله أحرار. د كانت مستطيع

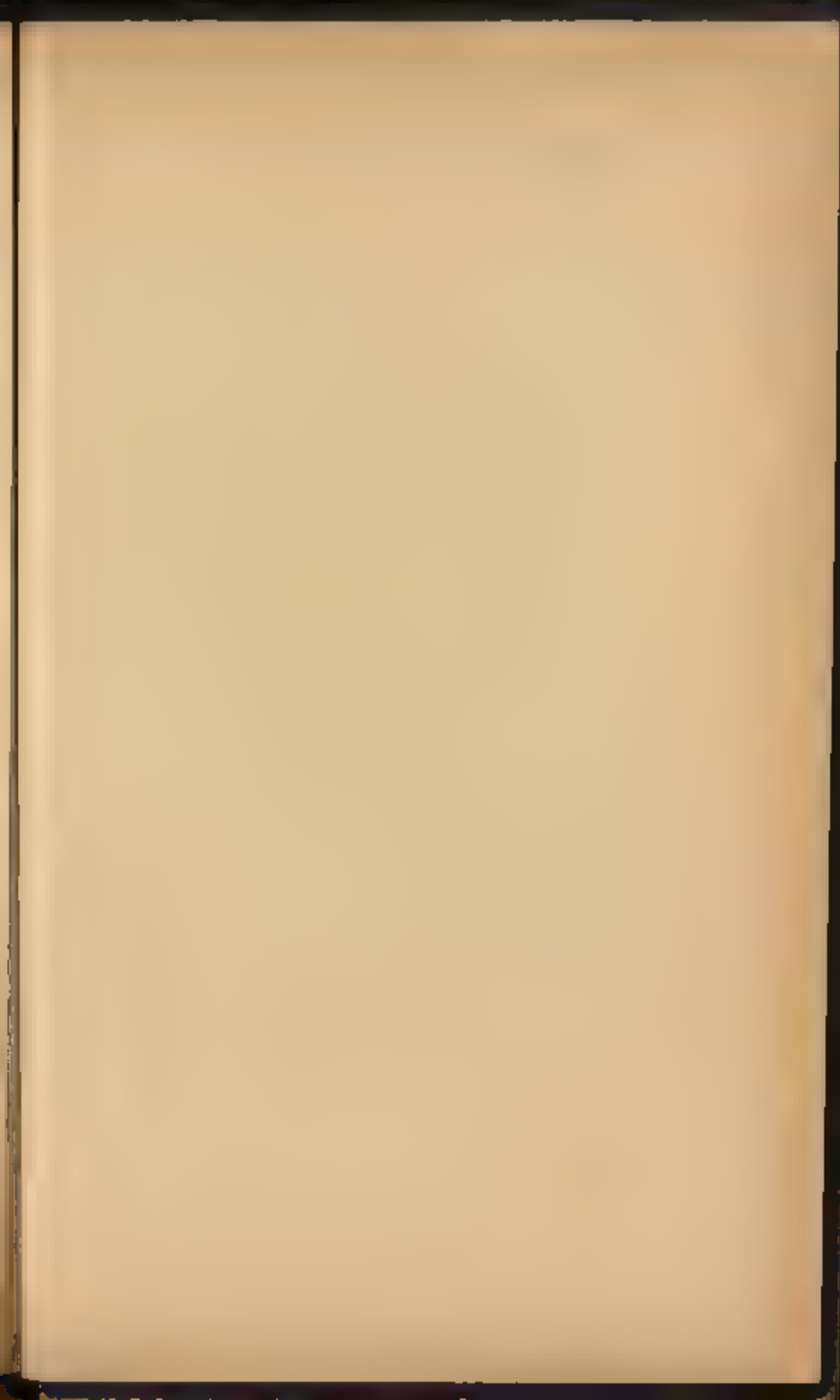
(١) ابن خلکان

نعيش مرفهة منعمة كما صرنا وانكها لارمت العهر والضرور  
 وتوسع العذاب والشدة نحو كل عاصمة ديوية من نفسها  
 لا يمكن الوصول الى درجة الكمال التي وصلت اليها راحة  
 اذ تصعب نصحية دية لاجل حرماننا في مثل هذا المصير  
 اشتدت فيه اربعة في الحياة والصدور عما سواها وما لو اننا  
 من حينها اليومية دستور يسبح على موله يريد في تدرج  
 بروح ورفيق الكمال .

نؤمن بالله اوسر النى وتعاليمه التي جاء بها منذ اقامة  
 عشر عاما لعمد للدينا ولا حرة معا وكما رتقينا نحو ذن  
 الكمال



12





- ٧ - الخنساء

قبل الاسلام

هي الشاعرة الجليلة ، بنت عمرو بن الحارث بن الشريد :  
وسمها يتصل بسليم وعيلان الى قبيلة معمر الشهيرة  
كان اهلها من سكان البادية ، العائشين تحت ظلال خيامهم  
المنصوبة وسط المهامة والقفار ، حيث لا فون ولا سلطان ،  
وحيث هم احرر صلحاء من كل قيد وذل .  
كان قومها كشأن العرب سكان البوادي . على طباع  
متنافرة وحصل متضادة تجمع بين احكامه وانسابهم برحم  
في ذروة السكال من الشهامة والمروءة والاثمة واللاء وكرم  
النفس واذا هم في أدنى مراتب الفوضى والهمجية وشدة الطبع  
يجهون سلك لدماء وبركون في سبيل أخذ الزر متون الشطط  
ويتحذرون في رنكاب الشدة حدود الانسانية حمير القتال  
وحوص عمرات الحروب والطمع ديدهم واشتد طابعهم  
للا رت حتى كانت القبائل جميعاً تعالِب اثار من بعضه كالحلقة  
معركة التي لا يعرف مبدؤها ولا منتهاها ومن أجل ذلك  
كانت براهم في عدوة مستمرة وخفيضة متصبة وبعضاء تضطرم

في الاحتشاء ، فمضون أعمارهم في الغزوات والغارات يشنونها  
على بعضهم البعض ، يتسيطر غنيمهم على فقيرهم ويتغلب قويهم  
على صميمهم . ومن أجل ذلك امرط عقد السعادة من بينهم  
وساد الشقاء في رجوعهم .

في مثل هــد الزمن من أيام الجاهلية ، وفي أظلم دوار  
الوثنية ، في عهد الحروب والغزوات ، في الأيام الدموية من  
دريج العرب ، نشفت الحياة ، نسم الحياة .

كانت من أعز بيوت العرب نسباً وكثيراً ما كان الرسول  
صلى الله عليه وسلم يتحدث عن قبيلتها المصرية ويمدها حصص  
القبائل العربية وقد حدث اصحابه رسول الله عليهم بأنه من بني  
المؤتلك احد نفاذ سليم بن عيلان بن مضر

وقد اشتهرت قبيلة الخنساء بشجاعة ابيائها وكرم طباعهم  
ومصاحبة منطهم واحادتهم قول الشعر . وكان لها اخوان نجيبهم  
محبة شديدة ، هما صخر ومعاوية ، وقد كان من أشجع العرب  
وأفصحهم لطقاً وأدعاهم شكلاً وأصيحهم وجهاً ، فكان ابوهم  
عمرو يأخذهما في المواسم والمحافل ويحصر بهما مجالس العرب  
ويفاخر بهما الشيوخ والافران ، متحدثاً بحجاليهما وبحاتهما فتقع  
أقواله منهم موقع الرضى والقبول .

وسميت الخنساء في بادئ الأمر ( غاضر ) لبياص

لونها<sup>(١)</sup> اذ كانت العرب تسمي المرأة ذات البشرة البيضاء نماضر  
ثم غلب عليها اسم الخنساء ، مؤت كلمة أحنس ، صفة من  
الخنس اى تأخر الالف عن الوجه او انخفاض قصبته وتأتى أيضاً  
بمعنى الطيبة فاطلفت عليها الكلمة من طريق الكناية

كانت شاعرة بعطرتها بدأت تقول البيت والبيتين منذ  
الصغر اذ كانت فتاة كريمة النفس ، متيبة الاخلاق ، ذات وفاء  
وشمم ، تكررة التعاق والمداومة

كانت فى أول عمرها من أجل نساء عصرها ، رآها دريد  
ابن الصمة يوماً نهناً أميراً لها ثم تجردت واعنسلت وهو ينظر  
إليها خفية فأعجبته وقال فيها فصيحة مشهورة يصفها ويمدحها  
ويبوح لها بمكنون صدره<sup>(٢)</sup> . وقد خطها الى أبيها فى اليوم  
التالى . فأجابه أبوها .

— مرحبا بك يا أبا قرة انك للكرم لا يظمن فى حسبه

(١) زهر الآداب

(٢) ومن هذه القصيدة قوله :

|                         |                       |
|-------------------------|-----------------------|
| حبوا نماضر واربعوا صمعي | وقفوا فان وقوفكم حسي  |
| ما ان رأيت ولا سمعت به  | كاليوم طاف أبى حزى    |
| مسدلاً تبدو محاسنه      | يصع الهباء مواضع القف |
| أحساس قد هام الفؤادكم   | واعتاده داء من الحب   |

واحيد لا يرد طلبه واحي لا يفرغ أمه ولكن لهذه المرد  
في نفسها ما ليس أميرها وذا كرك لها وهي دالة  
ثم دخل الأمير وقال لها : ويخلفك أمك فارس هو زن وسير  
بي حشم ، دريد من اصحة يخطبك وهو ممن تممين ، ودريد نسمة  
قولها فذات

- يا بنت أترابي تاركة بي عني مثل عولي الراسح وناك  
شيخ بي جشم ، هامة اليوم أو غد ؟  
فخرج اليه نوحا وعمل  
- يا ناقة قد امتنعت وامرأان يحيب فيما بعد  
فدل

- قد سمعت قولا . و تصرف يا نسا حزيننا  
وقد عاود الطلب مرة أخرى وكان بنت لي معاوية ، أحب  
من أيها يجبل لنسب ، قطمها ، من حبيبها وألحف عليه  
الطلب ، وقد حصر اليها أخوها وقال :  
- تممين يا أحبي ما بيني وبين دريد من المودة والائمة و  
طلبك مي وأرحو ان تميليه زواجك فاني رغب في ذلك  
فأحاطه :

- ما أعجب هذا الامر ألم يجد غيري السعادة صديقك  
- نعم يا خنساء اني رغب في ذلك رغبة شديدة

— حسناً دعني أفكر في ذلك وبحسن أن ترسل لي دريد  
طاشافيه بنفسه .

فقام لانيح مسرعاً نحو صديقه وأخبره بما دار بينهما وأنهم  
الحديث قوله

— قم إلي فاه طابت مقصدك

فأصاح دريد هدمه وامتنطى فرسه حتى جاء خيمهم وقد  
استقبلته بمودة والبشر وأكرمه وأعدت له وسادة يتكى عليها  
بعد حبوسه وذر بينهما حديث طويل سانه حلال كلامها عن  
شيء كثيرة ثم قدمت اليه قدما من لبن كمدتهم وكانت  
رافقه وتتمتع في حركته وهو يشرب اللبن ويغنيها شيء مما في  
به حتى رسيح في ذهبها ثم انه لا يصلح لعلاها ولم يشأ أن يخبره  
ذلك في الحال بل قالت له :

— اذهب وسيأتيك قولي فيما بعد

فلم دريد أنه لا محال للمزيد فقام من فورهم ووصله عذب  
أن رسول الحنساء يحمل اليه هذه الرسالة

— أنت شيخ طاعن قد صنف نصرك ووهت قواك  
مضت أيام شبابك فإلى اليك من حاجة .

حنق دريد لذلك وأراد أخوها مفاوية أن يزوحها منه فسرأ  
ولكنها أصرت في لرد وأنه لا سبيل إلى ما يريد فاشتد حنق

دريد بعد هذا لرد القاطع وبدأ بهجوها بلاذع القول وقام  
الكلام وعند ما بلغها ذلك قالت :

— مادمت رفضت الزواج منه فلم يبق ما أقوله له فليهب  
ماشاء أن بهجو وما كنت لاجمع عليه أن أردّه وأن أهجو.

في هذا لرد ما بشعر بالاحتقار والامتنان وأنه لا بلغ من كل هـ  
قاله دريد فهل بلغه ذلك؟ لو سمع قولها لاستشاط غضباً فوق عضه  
وبعد هذه الحادثة تزوجت برواحة بن عبد العزيز السلمي

وبعد أن مات خلف عليها عبد الله بن عبد العزى من بني خفـ  
فولدت له عبد الله ثم خلف عليها من بعده مرداس بن أبي عامر المسـ  
فولدت العباس ويزيد وحزن وعمر وسرافة وعمر وجميعهم شـ  
وقد امتاز العباس من بينهم بالشجاعة واجادة الشعر وأدرك لاسـ  
وتشرف به ثم مات في موقعة الـ ادسية مع ثلاثة اخوة له بعد أن  
أبلاوا بلاء حسناً

وكما كانت تحب أولادها فقد أحبت خويها معاوية وصهر  
بل أن حبها لهما كان يفوق كل حب واعزاز وقد كانت تفصل  
صخر آحق قدره لحلمه وشجاعته ، وتخصه بالاجلال لموقعه الممتاز بين  
رجال المشيرة وافراد العائلة ، وتفخر به لبطلته وفروسيته  
وتتميزه لصباحة وجهه ولذلك فان قصائدها التي قالتها فيه ثناء

يانه ومرايتها التي أشدتها لأجله بعد بمكانه من أجود الشعر وأمتنه  
موت أخيها معاوية أول مكبة أصابت كيان حياتها ولقد  
لزلت هذه الحادثة انيان نفسها وذهنها فغيرت مجرى حياتها الى  
ريق آخر غير سنتها الأولى .

أظلمت الدنيا في وجهها فانقلب قصائدها الممودة بالروح  
الحياة الى مرثيات مبكية موجعة نسيل حزنا والمأ . فهذه  
الفادنة هي الفصل الاول من كتاب حياتها ، فيه ودعت والده  
موجعة ، أيام الشباب وأنشيد الصبا ونفحات السرو . ففي عام  
٦١ من ميلاد عيسى بن مريم عليه السلام وافي معاوية سوق عكاظ<sup>(١)</sup>  
، موسم من مواسم العرب فيبها هو عشي في السوق إذ لقي أسماء  
رية وكانت حميلة وزعم انها كانت بنيا فدعاها الى نفسه فامتنعت  
عليه وقالت

- أما عمت أتي عند سيد العرب هاشم بن حرمة  
فأحفظته ، فقال :

- أما والله لا أقارعه عنك .

قالت :

- شأنك وشأنه

فرجعت الى هاشم فأخبرته بما قال معاوية وما قالت له

(١) العقد الفريد

فقال هاشم

- ولعمري لا وجم بيانا حتى نأظر ما يكون من جهده  
فلما خرج الشهر الحرام وراجع الناس عن عكاظ خرج  
معاوية بن عمرو عازيا يريد بني مرة وبني مرة في فرسان أصحابه  
من بني سلمة حتى إذا كان تمكن بدعي الحوزة دومت عليه طية  
وسبح له حتى فطير منهم ورجع في أصحابه ومع ذلك هاشم  
حرمله فقال

- مامنه من الأقدام إلا الجبن

فلما كانت السنة المقبلة عراهم حتى إذا كان في ذلك المكان  
سبح له حتى وعراب فطير فرحم ومضى أصحابه وتحلف في ثمة  
عشر فارساً منهم لا يريدون قتلاً ووردوا ماء ودعا عليه بنت شه  
فصاحوا «أهله خرحت إليهم امرأة فها هو ممن أنت» قالت  
- امرأة من جهينة حلاف لبني سهم بن مرة بن عظماء  
فوردوا الماء يسقون «سملت فانت هاشم بن حرمله» خبرته أنهم عر  
بميدوعرقته عندهم وقالت

- لا أرى إلا معاوية في القوم

فقال:

- بالكعب أمعاوية في تسعة عشر رجلا شيهت وأبطلت

قالت:



— بلى ، قلت لحق وان شئت لاصنعنهم لك رجالا رجلا

قال : هاتى .

قالت :

— رأيت فيه شيئا عظيم احمه حبه قد خرجت من تحت

مفره ، صبيح الوجه ، عظيم اليد ، على فرس عراء

قال

— نعم هذه صفته وفرسه الشفاء

قالت

— ورأيت رجلا شديدا لأدمة . شاعرا يشدم

قال :

— ذاك خفاف بن عمير

وهكذا حتى وصفهم رجالا رجلا إلى أن أتت على وصف الجميع

• دى هاشم في قومه وخرج فافتتلوا ساعة و نقر د هاشم ودرید

اننا حرمله لمريان ، معاوية فاستطرد له أحدهما فشد عليه معاوية

وشمله و عبره الأحر قطعه فمته

ولما دخل الشهر الحرام خرج صحر بن عمرو حتى أتى بني مرة

فوقف على ابن حرمله فاذا أحدهما به طعنة في عضده فقل : أبكما

مثل حتى معاوية ، فسكتا فم يخبراه شيئا فقال الصحيح للجريح :

— مالك لا تجيبه .

فقال:

— وقفت له فطمعني هذه الطعنة في عضدي وشد أخى عليه  
فقتله فأبنا قتلت أدركت نارك إلا أنا لم نسلب أخاك قال .

— فما فعلت فرسه السماء ؟ قال :

— هاهي تلك خذها

فأخذها ورجع فلما أتى صخر فومه قالوا له . أهملهم . قال :

— إن ما بيننا أجل من القذع ولو لم أكف نفسي رغبة عن

الخناء لفعلت .

فما كان في العام لتقبل غزاهم وهو على فرسه السماء وقال

إني أخاف أن يعرفوني ويعرفوا عرة السماء فيتأهبوا لحم غرهم .

فلما اشرفت على أدنى الحى رأوها فقتلت فتاة منهم هذه والله

السماء فنظروا فقالوا السماء غراء وهذه بهم فلم يشعروا إلا والخييل

دوائس فافتتلوا فقتل صحر دريداً وأصاب بى مرة وعاد ظافرا

فإنما يطفح وجهه بشرا بأحد الثأر<sup>(١)</sup>



وفى لوقت الذى وهبت الخنساء نفسها لمحبة أخيها صحر

بعد مقتل عزيزها معاوية ، أصيب أخوها هذا بطعنة رمح بهند

ثلاثة أعوام ومرض قريباً من حول

كان لصخر زوجة ندعى سلمى يحبها لدرجة العبادة ويقال  
أن بي عبس غزت قبيلته في يوم من أيام خروجه للصيد  
فأتهكت حرمة الحيام وسبت نساء الحلي وعندما عاد صخر  
وجد الخراب ضارباً طاماه في موطن الحلي فركب فرسه وهاجم  
القبيلة الغازية مسرعاً وناكس من قتل بضعة رجال منها ثم التفت  
ليه فرسان من أشجعهم فقاتلهم حتى انتصر عليهم ولما رأى أسراء  
بي سلمى هذا الطفر الخارق نجراًوا وبدأوا بمكون اميود  
والاغلال وهرعون منى وثلاث الى حيث صحر لبدو به بالموية  
في ميدان النضال وقد رأى ابنة صم سلمى ذائلة بين زنجبي من  
القبيلة يمتنها همحم عليه وقتله في الحال وعندما انتهت المركة  
وعقدت لصخر ألوية لهمار والطفر عينه رجال القبيلة رئيساً عليهم  
مكافأة لابلائه الحسن وطلب منه عمه أن يختار من يشاء من  
بناته زوجة له فاختار سلمى اذ كان مفرماً بها

كانت سلمى أجمل بنات الحلي وأماحهن شكلاً وقد كان لها  
مكانة سامية في نفس صخر مد مد بميد فكان زواج هذين  
العاشقين أجمل العتبات وأشجع العتيان من دواعي الطرب  
والسرور بين القوم

أصيب صخر بعد زواجه بطلعة رمح أقدمته العراش مدة

طويلة وكان أفراد القبيلة يعدون إلى خيمته يسألون زوجته عن  
رئيسهم المحبوب من حين لآخر وكانت سلمى تجلس أمام  
خيمتها تنتظر اللال روحها من مرضه تنطرت طويلة ولكن  
على غير جدوى فبدأت عوامل اللال تنسرب إلى نفسها وأحدثت  
نورها نظهر على سمحة وجهها ثم نظهره من التهرم والتأفف  
وقد سأله بعض قومها ذات يوم « كيف لك ؟ » فقالت  
سلمى

لا حى يرحى ولا ميت يسمى أيتها لأمري

فسمها صحر ونثر من ذك يا نثر

ما كان يحظر على لاله أن تقول سلمى فيه مثل هذا القول  
سمي التي أحبا وحاصر من أحبا وأخص عمرات الموت لا لها  
من يد رنحي فاشتد ألم المس شدة أنسته ثم لجرح وماهى بكرر  
قولها لأمري حتى ردها ذات يوم وقال

(١) وقد ذلك يقول :

|                            |                           |
|----------------------------|---------------------------|
| أرى أم صحر لا عن عيدينى    | ومات سلمى مصحى ومكاني     |
| وما كنت أحشئ أن كون حديرة  | عليك ومن يفترا بالحداني   |
| أعموى لقد سبت من كان أائما | وأسمعت من كانت له اداني   |
| وللموت حبر من حياة كأمها   | محلة يمسوب ومن مساني      |
| وئى سرىء حادى بأم حليقة    | فلا عاش الا فى شقا وهوانى |

- قد قلت ياسلى فى حتى كذا وقد درت لاحتك ندراً  
أن شفى الله .

فسأته :

- أخير هو هذا النذر أم شر ؟

فأجابها :

- حراء لحبك وشرك .

فأحاطته :

والله قد كنت من نفسى ولا أقدم لك عدراً . فقلت  
فأفعل بى ما كنت فاعل .

فأثر عليه قولها كأنهم مسمومة امتدت أحشاء وابه  
وبدأت أمه نحاس بعد ذلك اليوم فقابل الزائر بن والمائد بن فكان  
إذا سألها سائل عن صحته طمأنته وهلت له ما يطمأن به خير .

وقد بدأ حرج صغير ياتشم وأحد يسرد صحته ويعودى  
نشاطه السابق ، حتى إذا نس من نفسه بعض القوة ، فم الى  
روجه فهجم عليها وصلبها على إحدى أعمدة الخيمة ، الآن  
المهود الذى دله في سبيل الانتقام من زوجته فقدها . فانتكس  
ثانيا الى أن مات .

لم تنس الحشاء مصيدها الثانية وصرارة هذه الحادثة حتى  
اللمات فبكت طول حياتها ونظمت المرنى الطوال

## الخنساء

بعد الاسلام

بعد أن ثكلت الخنساء أخوها جاءت الى الرسول صلى الله عليه وسلم مع وفود قبيلتها وتشرقت نعمة الاسلام ولم تنقطع عن أوحاعها وناتها حتى بعد الاسلام . بن كات  
تقص شعرها وتلبس ثوبا حلما من الخيش الاسود وتندب أخوها على مادة العرب في جاهليتها  
وأها سيده عمر بن الخطاب ذات يوم أثناء طوافها بالكعبة وهي على هذه الحال فتقدم اليها ويصحبها كثيرا فأجابته - لم تصب امرأة بمثل ما أصبت به فكيف تحمل مضض فراق فارسين فقدتم يا .

فأجابها سيده عمر بما هو عليها المصيبة وذكر لها أن مصائب كثير من الناس أشد هولاً لو اطلعت على مواطن أمرهم وقال لها أن ما هي عليه من الحداد من بدع الجاهلية التي حرمها الاسلام فامتثلت لأمره .

ورأت السيدة عائشة على الخنساء صداراً من شعر وهو ثوب  
صغير فقالت يا خنساء أتلبسين الصدار وقد سبى الرسول عنه قالت  
لم أعلم بنبيه وله سبب قالت : وما هو ؟ قالت زوجني أبي وجلا  
متلافاً لماله فأسرع فيه حتى نفذ فقال لي أين تدعين يا خنساء فقالت  
إلى أخي صخر فلقيناه فقسم ماله بيننا شطرين ثم خبرنا فقالت  
زوجته أما كفاك أن تقسم مالك حتى تحيرهم فقال

والله ما أمنحها شرارها

وهي حصان قد كفتني عارها

ولو أموت مزقت خمارها

وجعلت من شعر صدارها

ثم أشدت فصيدتها التي تقول فيها

يذكرني طلوع الشمس صخرأ

وأذكره لكل غروب شمس

ولولا كثرة الباكين حولي

على موتاهم لقتلت نفسي

وما يبكون مثل أخي ولكن

أعزى النفس عنه بالتأسي

لم تستطع الخنساء أن تمحو من ذاكرة الخيال مرارة الحزن وألم

الفراق بل ذهبت أيام عمرها مع سيل عبراتها واستنزفت دموع

القلب رهرة حياتها ثم نصع الى نصيحة سنان بن أن الخزن طبع  
على علم الحروف من دروكوي فؤادها كيا لا يزوب ثره مادام فيهم  
عرق ينبض . لو نسمت تحت الخزن مرتسي في تلك الابتسامة  
ولو تنفست لشعرت بحرارة الالم اتصاعد مع زفرات لم يحلق في  
سماء حياتها سوى عيمة كشيمة وهي شبح ندين نكاتهم وبكت  
من أحلام

وفي تام خلافة سيده عمر جاء اليه نهر من أصحابه وشكرو  
اليه حاله وصلوا منه حصارها وبدل النصيحة له عسى أن  
يرجع عن حده فلما مثلت بين يدي رجل المد عمر وجد  
عينيها . ثرين من كثرة البكاء قال لها .  
مادهك يا حسنة وما بي صيرلا لي هذا الحال

فاحات .

نكائي المحبوب مصر حملي في هذا الحال . فأنبها عمر وطلب  
منها أن تلحقني . لي رحمة مولي عروحل وقال لها ان الاسلام يحرم  
أمثل ذنابك وأنا طلال رائنة في هذه الحياة ولو أن النقاء من نصيب  
الاحياء مني الرسول صلى الله عليه وسلم حياتهم ثم الحديث بقوله ( ان  
احويك في النار ) فاحات

ذلك أصول الحزن كنت نكي لها من اذرونا ايم  
أبكي لها من النار .



فطالب منها أن تقول ذلك شعرا فقد كنت دعني أنشدك بعض  
ما قلته فيها ثم أنشدته فصيدتها التي مطلعها  
سقى حذنا كشف عمرة دونه من العيث دبت لربيع ووالله  
فتأثر سيدنا عمر من قولها وعزم على أن يترك في ههنا ثم التفت  
إلى أصحابه وقال لهم :  
- دعوها بئس اليوم في شأنها فان للمرء أن يهكي ما شاء  
لهصيته ونكبه



## حرب القاسمية

هذه صمحة مشرفة في تاريخ أيام الحنساء ، تنحني لها  
رؤس اجلالا ، هي خير وأبقى من كل قولة فاتها أو قصيدة  
نظمها في أيام الصبا .

هلمد خبا يريق عينها وانطق نور حملها وتقوس طهرها  
واتناها عوامل الضعف والشيخوخة ولكها لم تنزل فتية  
القاب . حربشة الجن ، تحول في عروقها المنكشة دماء الشهامة  
والجلادة .

عرفنا الشيء الكثير عن تاريخ المرأة الرومانية وأعجبت  
بجلادتها وشجاعتها في موقف الشهامة وما كانت عليه الحنساء .  
يكن بأقل من ذلك

انقد بلمت أبعد مدى تباغه المرأة من جلال الصبر وقوة  
الابتنان . ما ذهب به لدهر من حديث جزعها ، وتصدم قلم  
واضطرام حشاها على أخوها صخر ومعاوية ، كل ذلك استحبال  
الى صبر أساغه ايمان الاسلام وجملة النقي فلم تأس على طأت من  
متاع الدنيا .

كانت أما الاربعة اولاد من أشجع الاولاد ، هم أشطار كبدتها

وبياط قلبها دفعتهم جميعاً إلى الحرب وعدت موثماً في سبيل  
الاسلام شرفاً ليس وراءه شرف . ثم تكلم وهي تفخر بضياعهم  
إذ لم يبق لها انسان بمدم

وقعت حرب القادسية في عام أربعة عشرة من الهجرة  
النبوية خضرت الحرب مع أولادها الاربعة وقاتل لهم من  
أول الليل :

« يا أي اسكنم أسكنم طائفتين ، وهاجرنم مختارين ، وانكم  
لبنو رجل واحد ، ما خنت أبكم ولا هجنت حسبكم ، ولا  
غيرت نسبكم ، وقد تعلمون ما أعد الله تعالى للمسلمين من  
الثواب الخزيل في حرب الكافرين وعمو . أن الدار الباقية خير  
من دار الغاية ، لقوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا اصبروا  
وصابروا واربطوا وثقوا الله لعلكم تفلحون هذا أصبحتم عداً  
لنفسكم والله ساعدين فاعدوا إلى قتال عدوكم مستبشرين والله  
على أعدائه مستنصرين ، فإذا رأيتم الحرب شمرت عن ساقها ،  
واضطربت لظي مساقها فقيموا وطيسها ، وحاسوا ريسها  
عند احتدام خميسها ، تطهروا بالعلم والكرامة في دار الخلد  
والمقامة . »

فما أصبح الصباح وقد أثرت فيهم نصيحته تقدم كل  
واحد منهم إلى الحرب وقائلاً واحداً بعد واحد حتى قتلوا وكل

منهم أنشد قبل أن يستشهد وجراً فأنشد الأول :

يا اخوتي ان المحوز الناصحة      قد نصحتنا اذ دعتنا بالبرحة  
بمقالة ذات بيان واضحة      وانما نلقون عند الصابحة  
من آل ساسان كلاباً نابجة

•••

وأنشد الثاني :

والله لا نفعي المحوز حرماً      نصحت وبرا صادقا وطعماً  
فبادرو الحرب الصروس رحماً      حتى ندموا آ كسرى لها

•••

وأنشد الثالث

ان المحوز دنت حزم وحيد      قد أمرتنا بالسداد والرشد  
لنصيحه منها وبرا سود      فبادروا الحرب حماة في المدد

•••

وأنشد الرابع :

لست لحنساء ولا الأخزم      ولا تعمرو ذى السماء الا قدم  
ان لم ره في الجيش حنس لاعلمي      ما من على الهول حصم حصرمي  
اشند أوار الحرب وسمت بقتل كبير العرس ونشتت  
شملهم وانتصار المؤمنين فعقدت الاسلام ألوية الطهر

وعند نهاية الحرب الضروس التي بقي منها المسلمون صنوف

الشدة قام نفر من رجال أخيش إلى الخدباء وأحبروها باستشهاد  
أولادها الأربعة بعد أن أبلوا بلاء حسناً وما كادوا يلهون عليها  
الخبير حتى أهر كيانها وبالسها دعة سرت في جميع أطرافها ثم  
سكتت والتفتت إليهم تقول

« الحمد لله نسي شرقي فغلهم وأرحو من ربي أن يحملي

معهم في مستقر رحمتي »

وعند معاداة الحيوث الإسلامية إلى المدينة المنورة تحقق  
على رؤس أفرادها ألوية الظفر كانت الخدباء معهم تخر معها  
على عصاها، تسيل عبراتها، ويتحلل وجهها شرباً وماء وكان الماطر  
اسمها لا يدري أيسقطها على حالها ثم يتوجه لآلامها، وقد جرى  
عليها رجل العدل عمر بن الخطاب أرزق بيها، ما بقي درهم عن  
كل واحد.



## مكافاة الخنساء بين شعراء العرب

كان النبي صلى الله عليه وسلم يمجبه شعرها <sup>(١)</sup> ويستنشدوها  
ويقول هيه باخساس ويومئ بيده صلى الله عليه وسلم.

ولما قدم عدي بن هاشم على رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وحادثه فقال

- يا رسول الله ان فينا شعر الناس وشعبي الناس وفرس  
الناس.

قال : سمهم . قال .

. أما شعر الناس فامرؤ القيس بن حجر وأما أسحى الناس  
فحاتم بن ساعد يعني ناه وأما أفرس الناس فعمرو بن معد يكرب  
فقال رسول الله عليه وسلم .

ليس بك قلت يعدي أما شعر الناس فخنساء بنت عمرو  
وأما أسحى الناس فمحمد يعني نفسه صلى الله عليه وسلم وأما أفرس  
الناس فعلي بن أبي طالب .

فيل لحرر من شعر الناس ؟

قال : أنا لولا الخنساء

قيل : بيم فضلتك ؟

---

(١) خزائن الادب

قال نقولها:

ان الزمان وما يفي له عجب      بقى ما ذبا واستؤصل لراس  
ان الجديدين في صول ختلافهم      لا يفـسدان واكثر بعد الناس  
وكانت في أوثر أمرها نقول لبنتين والثلاثة حتى قتل أخوها  
مماوية ثم خوها صحر « أكثرت من الشعر وعبرت طريقهم في  
القول والوسا في التعكير لان المصيبة شددت فرنجها ووصفت  
دهمها اشتد بمعان أفعكها ووثقاً وسها  
وانفق أهل اعم بالشمر أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر  
منهم ويقول الشرارشي في كتابه « ان النساء يطهر الحشف في  
أشعارهن لا الحنساء فقد فافت الرجال في قول الشعر » وعندما  
عد ابو العباس المبرد شعراء العرب هل عن الحنساء وليلى امها  
فاقا لرجال في مقالة الشعر مع تاجر النساء بالنسبة لرجال في  
أكثر الصعاعات وكان الاصمعي بفضل ليلى على الحنساء ويحاجيه  
ابو زيد بقوله « وان كانت ليلى في شعارها أمتن لمظاكا وعمق معي  
لا أن الحنساء في مرثيم أعلى روحا وكان المبرد تعجبه مرثي  
الحنساء ويقول عنه « أمتن المرثي وكانت مملوءة بالامط المعجمة  
الى تشعر مدح لشوقي فاذا كان العظم مواضع والاعاط صريحة  
والاسلوب رثا فلا ريب في بفاة القول اددك حيث يستفيد  
الراء ويتلى روح للذة والاعجاب وهكذا مرثي الحنساء

في مثل هذا الحد من مراتب الكتمان :

كان يصرب للمائقة الدياني قبة من آدم بسوق عكاظ  
فتأنيه الشعر ، فتمرص عليه أشعاره فأشده الأعشى مرة ثم  
حسان بن ثابت ثم أشدته الشعراء وطلباء نسمع  
فأله نساء عن مقدر شعره ففضل عليه الأعشى فقام  
حسان غاضباً يقول :

« والله لا أنا أشعر منك ومن أبيك »

فقال له الزامة

« يا ابن أخي أنت لا تحسن أن تقول »

ثم التفت إلى الحساء وطلب منها أن تذهب شيبك فأشده :  
« إن صحرأ تشتم الهداة به كأنه علم في رأسه نور  
فتأثر الحاضرون وقام إليها حسان يقول :  
« لم أر والله امرأة أشعر منك فقات له  
ألا زبد أن تقول بي أشعر الرجال أيضاً »  
فأحاطها برور

« كلا أنا أشعر منك لم نسمي قولي »

لنا العنقات للفر يلومن بالضحى

وأسيافنا يقطرن من نجرة دما

ولدت بي العمقاء وأبي محرق فأكرم بناحلاً وأكرم بناحلاً



فقطرت اليه الحنساء نازداً وأجاست :  
— املك لما جاز في هذا الشعر وقد أخطأت في ثنائية

هو اضع منه

فسأطها عن مواضع خطأ فأجابه برزاة ووفار .

قلت ( الحفقات ) والحفقات جمع قلة وكان الاحدر أن تقول  
( الحفان ) وقلت ( الفر ) ولا يمال المر الا لبياض الجبهة ولو  
أملك قلت ( البيض ) لكان المعنى أتم وأملك تقول ( باممن )  
واللمعان يقيمه المورد الضميف وكان الاحدر بك أن تقول  
( يشرفن ) وقلت ( بالضحى ) مع أن وقت الضحوة لا يأتي من  
الضيوف الا اندر اليسير ولو قلت مساء - كان المعنى أتم وقلت  
( أسياف ) بجمع الملة ولو أملك قلت سيوف لكان دليلاً على  
الكثرة وقلت ( يطارن ) قد نلت بذلك على قلة عدد الهنلي ولو  
قلت ( بحرين ) لكان أبلغ ثم بك تقول ( دماً ) ولو قلت ( دماء )  
لكان أتم ثم املك تفتخر بالاخلاق منكم ولا تفتخر بمن ساف .  
نحجل حسان من حاجتها وخرج من المجلس عاصباً  
كثيباً .

كان من عادة العرب أن يجتمع شعراؤها في سوق عكاظ  
للمباراة في إجادة لاقوال وسبك المعنى وكان ينصب للنسابة  
الدينية قبة حمراء يجتمع تحتها كل شاعر مجيد وكل بليغ عتيق

وحطيب منطق فيظنهم العنان لبيات الافكار وينثرون على  
نساط البيرة درر الاماء وعوا الى الحكم من قال قصب السبق  
وحكم له بالهوق والاحدة نكتب فصيدته على طروس من  
الحرير تعلق على ستر الكعبة ومن اجل ذلك فان لأصحاب  
الامم مكاة رفيعة وممرلة سامية بين اشعراء وغول أصحاب  
القول واحكمة لان معقدهم من اجود القول وحكمه

كانت العرب تعبد الملاعة وأصنتهم عبادتها الى مراتب  
الكمال في التوسع لاموى حتى مد أصبح قول الشعر سليقة  
لهم ينطق بها صميمهم وكبيرهم وأصبحت الكعبة الطيبة تعمل في  
النفوس فمل السحر بالالهاب .

كانت المعاني الخيلة والام طاليدمة ولا قول الحكيمه من  
مراتب تلك الحياة البدوية الصافية، حتى يقال أن عرابيا وصل ذات  
يوم الى مكة اذكرمة تحت مطيته محو رهط من الناس مجتمعين  
في حافلة . مطرفين يصتتون لرجل يقرأ عليهم قولاً بليغاً ففرب  
عن نافته وحاس بنصت معهم وما كادت بعض الافوا تملعن  
الى نفسه حتى قام من دوره فوجد سجدة طويلة وعندما انهزه  
القوم متبائلين عن فعلته أجاهم : « اما سجدت بمصاحبة هذا  
الشيء الذي قرأوه » فقالوا له : « ما هذا كلام بشر وما هو كلام  
الله عز وجل » فأجاب : « اذن لاسلمن معكم »

كانت الحنف، انحصار سوق عكاظ وتعرض شعره اسعيس  
في ميدان البراة تحت تلك القبة الحجر، وقد قرأت ذات يوم  
قصيدة بليغة نالت استحسان الجميع وعجبهم وأشار العامة الى  
لاعشى لواقف ثمام وفل .

«ولا نأنا بصير أنشدني أنفاً لقات المك أشعر منه ،

ومده خذاه عرفناه شعرة حليبه من شعره الطنقة

لاولى المشهورى بالاحدة وتوق وله دون مايل



ها نحن جميعاً لك صحبة نصح من ربح عدائهم صحبة

مرأة مستنائة، أحرزت في حبة موهماً ربيع، عصف كثيراً

من مواقع من عاصرها من سيدات ورجال

الخمسة سيدة حائلة باوولدة كريمة، وشاعرة عروقة،

عشت في عام الادب عشت وصب السوى و عشت في ميادين

عقال لاعلاء كلمة لاسلام خذرت القدح لعل ولا تدرى نأى

ربة من هذه المراتب يدكرها ولا نأى معجزة من هذه

بماحر شهرها

عاشت عواماً كثيرة بعد وقعة القادسية وماتت أيام خلافة

معاوية في العام الحسين من الهجرة وعمرها سبعون سنة . وقد

انجحت كتب التاريخ انها ماتت في ابادة

كيف وضت أماسها الاخيرة وأودعت آخر نسمة مر  
سمات الحياة ، أكانت وقتئذ عائدة من إحدى منتديات الشعر  
ولادب تنوكت على عصاها المعروفة ؛ أم أسلمت الحياة في خيمة  
وهي مستسمة الى احضان ادمى وذكرات الشباب أم كانت  
اذك تحدد النظر في منظر عروب الشمس في يوم قانظ وقد  
حبل اليها ان تشبع الروح وتلأ العين بتلك النظرة الاحيرة في  
فضاء الصحراء المرامية لا طراب والمودى الشاسعة لتي لا تنق  
العين منها الا على سراب نقيعة يحسبه الظلم أن ماء وهي تردد مع  
اماسها الاخيرة قولها في أحياها .

يذكرني طلوع الشمس صحر وأذكره لسكر طلوع شمس  
ساعات التاربغ كثير أعز ذلك فم أفق من طيانه واسرر  
على ما تنفع الليل لهم لا تم واول حملتها في هذه الصحراء  
القديلة التي اعرضها اليوم على الانظار بعد مرور الف وثلاثمائة  
وثمانية عشر ريبعا على ذول تلك الزهرة المنيوية الحيلة

وقد خطرت لي ساحة أريد ان نمتها هنا قبل ختم هذه  
الصحائف هي ذكرى صغيرة أريد بها الممارة بين قلب الحسة  
الكبير ومسية امرأة صبية

اننا لعم الخطوات الواهمة الى حطتها الامة انياباوية في  
سابل لرقى ومدينة فان تعجب عديلتهم وفلاحهم فان عصيتهم

عو تاربخهم وقوميتهم ونمـكهم بتقليدهم اليه وعاداتهم  
وطبية أخرى بالتقدير وأجدر بالاعظام

ان تحليل وتعميق الشعور السكامن في النفس اليابانية للوصول  
لى حالتها لروحية وللوقوف على أسرار سعادتها ولاطلاع على  
بيتها من الحياة والاحاطة بامو مل التي رفعتها لى هذه الرتبة  
عالية والمكانة السامية ، لدة ممنوبة بدخل على النفس خلال  
خبطه والسرور .

أسعدنى الظروف فيما مضى بدة ممنوبة من هذا القبيل ،  
كنت أطلع كمتنا عن اليابان يبعث عن علو أفكار المرأة  
يابانية وطرفها المظرى وقد ذكر فيها المؤامم بدهشة واعجاب  
بأنة اخلاقها وقوة جناسها وعلو طبعها الى غير ذلك من مزايا  
بيتها الروحية ثم استطراد من ذلك منسائلا عن أثر الودانة فى  
ذلك التهذيب وعن الاحيىل التي تمت ونمت فيها هذه التربية  
لروحية حتى كملت الى حد اصهار الرذانة والوقار أمام مرئى  
حياة وحر النفس وسر دموع العين بانفسامات لطيفة فى أوقات  
السفك والشدة ثم استطراد من ذلك الى تصوير الحرب الروسية  
اليابانية وتحدث عن الياءيات وثبات جاشين وهن بودعن ارواحهن  
وولادهن وآبهن واخوانهن الداهيين الى ميادين الحروب  
وكيف انهن كن يملكن المبرات فى ذلك الموقف الرهيب ونمتر

ثانيهن «لا تنسائمات المشجعة والكلمات المعزية والمعاني الحماسية بدل أن يدرفن الدموع التي قد نمت في السواعد وتشط مر العز ثم وتقل من النشاط وقد كانت الواحدة ممن لتعلم وهي بودع أعز انسان لديها انه قد لا يرجع اليها سالماً وقد لا تحظر تقبلاته فيما بعد، ولكنها لا تعتا عن بدل ما نبعت منه الحية، وتجدد منه المعزية للكبح وملاحة لاهول وقد أصاف لؤلؤ ان هؤلاء، النسوة ما كانت احدهن اتأخر عن سبيل التضحية خطاة وحدة هذه الوطن ولا مبر طور ونون انتماليد او العادار تبيع لمن لا شراك في المعامير والحروب مع لرحل، من ايحضر عمرها لشوق وتلف بلا بطء ولا توان.

وبعد أن ذكر المؤلف الشيء الكثير عن شهامة السيدة سر هذه الحادثة الى شاهدها بنفسه رأى الميرف والى لا رة ممدوحة من بطلها هذا كما هي انها تقصة بالغة ذات معنى - نسوق المرء الى التفكير العميق وقد أستطيع هما أن نسوق الماري الى وادي الحس وأقبض عليه شيء من الشمور لسي غمرني عند تلاوتها، قال المؤلف .

«من ذلك في أوئل الحرب الروسية اليابانية وكانت الجيوش تسوق الى ميادين المعارك في هذه الآونة كانت يابانية بودع حبيبها لها، ذهبا الى الحرب برأيته بمول لها هيابا نصف

سبي ذهبه وسألته متمحبة الى أن :- الى الحرب فأشرق  
بينهم وأرسمت على وجهها طلال العطة والشوق وسألته نعمة  
نهادها سر ووشاط :

الى الحرب أليس كذلك الى أعدائنا الروس  
نعم لي أعدائنا الروس .

فقامت الياديه من فورها وقد كانت جالسة على حصر،  
تترق عينها بنيران الشوق والسرور وما كاد جيبه يفتح في نظراتها  
لك الهيعان حتى سألتها .

- أكنفت رعبين في مرافقي

فأحاطته وهي تكاد لا تملك حفايا تترانها

- نعم كنت ربد ذلك فأريد أن أموت، أن أحوذ بحياتي  
في ميدان الحرب ولو أستطيع أن أموت وأحيا سبع مرات  
عدت بحياتي في كل هذه المرات فداء الوطن والاميرطو .

لعدت سميت اليابان عرب المدينة وارتقت ذروة لمجد وانفلاح  
لأهلها تملك مثل هذه المفوس المهدمة والشخصية الكاملة وعثل  
هذه النار المقدسة المشتعلة في نفس المرأة اليابانية على الدوام  
غرسوا بذور محبة لوطن ولاميرطو في قلوب الاولاد  
ولاحفاد جيلا بعد جيل .

الوطنية شعور عام يسود اليوم قلب كل باطني

البطولة والتضحية من المعاني المستوحاة بدم الياباني ولحمه  
أيهما جزءان لا يتجزأان من كيانه  
هذه هي المرأة اليابانية . .

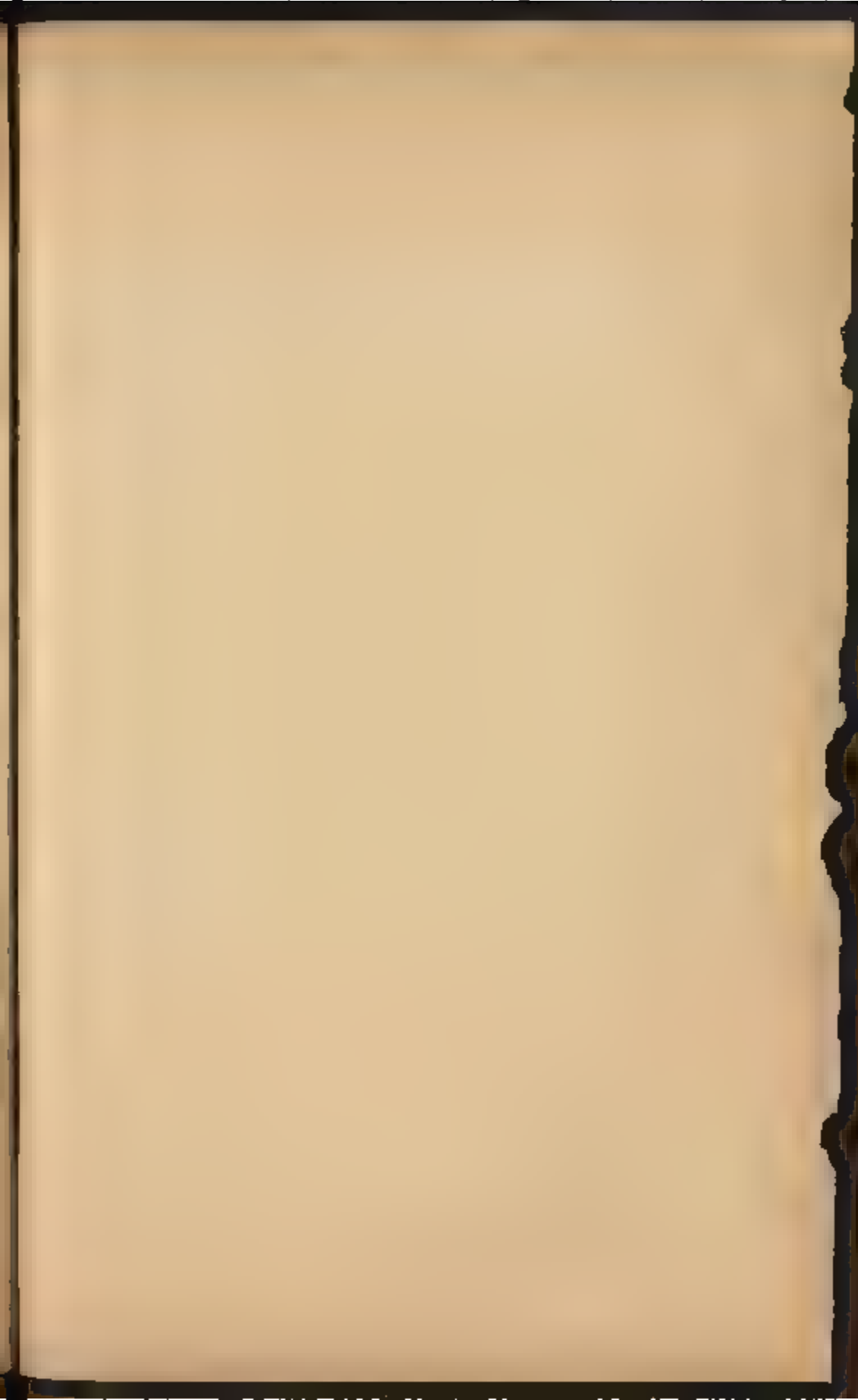
وعلى هذا المنوال تسحت أمهاتنا أمثال الخساء في تشجيع  
أولادهن بالحروب ونزكية برار خاصة في قلوبهم وغتل هذه  
الروح العالية كانت الوحدة منهم ننادى في أولادها وتصيح  
« حافض على لوئك يا بى وحذار من أن تقع في يد عدوك »  
لوا شرفك ووطبك وديك فاداً صابته نقطة من العيار فل شأئك  
وشرفك وإذا لمة חדشة أو حشمة صغيرة في حبيب من حواشي  
صدر قدر نفسك به كيات وكتاب محذو ورمز أمياتك ليجمرات  
حرب ونظر دوما الى لاسم وان من احسن عصيان لوطان  
فلا رخص نفسك أهون الحايين بل سمع في أن تكون بما عازي  
أو شهيداً

وعندما كانت تسأونا مدفع أحفادها وفدت كادها الى  
عمرات الحروب بأمثال هذه الخساء كما نمر على سوام نحو  
الرفى والصلاح انحد ارمعت ادرك رؤسنا وشهدنا العلم بمجد  
وكي وبرها لهم ناسحق احياء بحدرة وسحقى

وقد حرت ايام دبول العفاء على تلك الارمن شهيداً  
ولايم العريرة وأطوات الاحباب ولاحيال على وقت كما



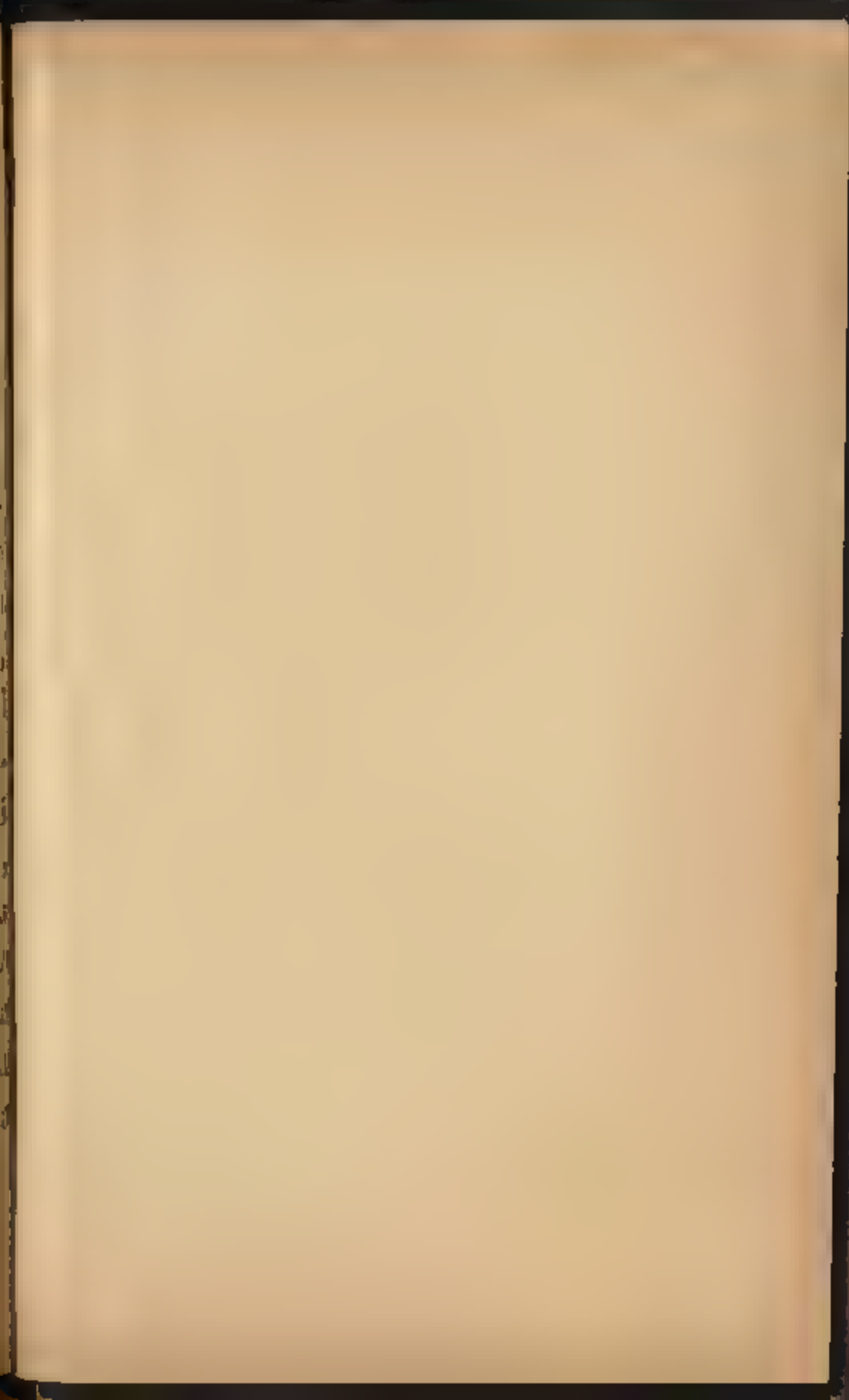
من فيه ذواتنا . وله مدسدا شخصيتنا وبحث القومية من  
مدورنا أومد ذلك اليوم صرنا مهجورين مدحورين ثم قدما  
مد غيرنا ومحاكي سوءنا استطعنا الى ذلك سبيلا وعندما  
مدنا القهقري أصبحنا نشتك في شخصيتنا لاننا فقدناها ومثلنا  
الوم في اوقيانوس المدينة وخضم العمران مثل سحابة ففدت  
مدنا تشق عباب البحر الالاعية ولا أمل قطورا الى اليسار ووطورا  
الى اليمين الى حيث نحيل اليها أنه شاذي سلامة والحاجة .  
ولكن لا شيء يستعصى في الخيبة ثم المراجعة والذات  
مد لا يئس وان يحيا لامل وان يعتمد ان حسن الصام  
مد يكون يوما ممنا وان نعمل مد اليوم تاؤينا من جهد وحيد  
مد على اكتساب نعمة الالام وانتهر عرض ارمان عيب ان  
مد من حق لا آخر كليات الحسناء الذهبية لا ولاده وذهمون  
مد المعركة ولتخلص في القول حتى نعمل على وقاية اسمنا وشرفنا  
مد مطة على لو اننا لنفكر احسانه ذرت منفصلة من وسمنا  
مد لنكر قلوبنا فدمعة منيعة محصنة أسوار الالام املوؤ لا صر  
مد لهال والندوم اثلاث فليحقق على لداوم فوق روح هذا  
مد حسن ميسع سمات التي تحركها أوف الظهر



- ٨ -

أميرة المؤمنين فريدة

بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور



## الاميرة زبيدة

### الفصل الاول

كما أن شيب الرأس والموارض، من علامات الشيخوخة  
 لا بد ومن أدلة اقترانها نحو علامات الضعف والذبول، كذلك  
 انعمت الامم في مماتى الراحة ومسالك السعاهات، من امارات  
 لحظتها ودنو ساعتها والمر في ذلك، أن عاية الخلق بضروب  
 الرمة، واعراضهم عن الجوهر، ونسكهم بأهداب العرس،  
 وكثرهم من التفات على الكماليات، يسوقهم حتما الى هجر  
 روعهم القدعة وأنظمتهم الى درجوا عليها ونعاليدهم التي نشأوا  
 بها، فيشرعون في توسيع شأنهم وترفيه حالهم، فبدأ عامتهم  
 مشاركة الملوك والحواص في مظاهر لباسهم ومماشيا،  
 مع حب الراحة من قواعد العرف وأحكام العادة. وبهجر  
 الحروب مضارب الحيام وظهور الخيول الى التمتع في مغاى  
 الس والتلهم تحت طلال الامن والذعة. فيحتل النظام ويسرى  
 الوضى ويسود الفشل وتضعف تبعاً لذلك الانظمة المقننة لسياج  
 تلك وصيائته، الى أن يأتى دور الانحلال فالاصححلال ونهكالة  
 اسطرة في لوح الازل

حقاً ان الامم انما تسير حسب الحكمة الصمدانية  
 المرسومة لها في كتاب قدرها وأن لكل أهل كتاب  
 ولكن لا يجب أن نستسلم من جراء ذلك ونركن الاقدار تسليماً  
 ذات لمين وذات اليأس . وانما علينا أن نحتلي بالامل ، ونعمل لحد  
 على اصلاح الحال والمآل ، اذ من الثابت المقرر أن من القدر  
 ماهو معاق كما هو وارد في السكتاب المربز : وينمو لله ما يشاء  
 ويثبت وعنده أم الكتاب » (١)

ما أحل هذه الفلسفة وأروعها انما ليسعها هنا بين  
 الاعجاب والتقدير لتلك العيلسوف المدهي ومؤرخ الكبير العلامة  
 الخاج حليلة لمروف في عالم الادب والعرفان باسم كاتب شلى  
 ذلك له القانون الادلى لوقائع الایام واساموس الخالد لحوادث  
 زمان همدالاموس الخالد هو في عرقى - المقياس اعوم  
 والقسطاس المستقيم لجميع الادوار انى تنقلب فيها الانسانية  
 فالحكومات الى وراثت والبولات التي تماقت الوحدة  
 الاخرى ، ما نحدثت من أوج لافبال الى وادى الادوار وما  
 سقطت من سنام العمر الى حضيبس المدل ، لانسبب تلك العن  
 ولادوء التي بينها لنا مؤرخ العلامة « كاتب شلى »

ها كمصفحات التاريخ ، فكها عظمت وعبر ، نحدثنا وصح

يبر وأفصح لسان عن مصر جميع الحكومات والامم، شرقية  
كانت أم عربية، وكيف انطلقاً نور سعادتها وخياضه عزها، في  
صريق العظمة وسيل عرورها وتمشيتها في مسالك الرفاهة والنعمة  
وكيف كان ضياعها وفقدان مزاياها واعاء شخصياتها غيب ولوجها  
منهاج الغرور.

اجل ما حال تلك الامم والشعوب، لقد خبا نور عزها بعد  
أن كان ساطعاً مشرقاً وتقوضت دعائم مجدها بعد ثبات ورسوخ  
قدمت ضحية الاحشام والندبة وهوت من سماء العالم كاهوى  
النجوم السيارة في ليالى الصيف

ما من أمة استطاعت أن تقف في وجه هذا الفنون الارلى،  
فمداد م ينفها عما وعرفها قتيلا، والمهرة لم يعدها صناعاتها  
وموسها بما، وبنوس لم ينمها سحر بدائنها شيئاً كل هذه  
الموسم الى اردت أنوار المدينة والامران وازدهرت بأشعة  
موسم والفنون زماما وكادت تصل الدورة أو تقرب من قمة  
الاجاب، اعتراها الاوار وهي في الطريق فلم تخرص على أوضاعها  
الفدبة التي أوصلتها الى تلك الحال

هداء استعصى دواؤه على نطس الاطباء وأجلة الحكماء  
وحذر في تعمله وتشيصه جمهور العلماء والادباء وكما أن  
تيمورا القاتح الكبير لم يتمكن من الاحتفاظ بتلكه الشاسع،

كذلك الاندلس لم نجد وسيلة الى تخليد مجدها وعظمتها ، وهكذا الحال مع حكومات الرومان واليونان ، فما من قائد أو حاكم اشهر بين قومه البطولة والعظمة ترك عادته القومية وتربيته الرعية وحياته الساذجة الصافية الى حياة الرفاهة والدعة الا وقد غلب على أمره ولاق وبيل نفسه فهام رجال الحرب والكفاح من الرومان ، من الدين جلدوا وناصرو في المعامع والمارك حتى تكلمت رؤوسهم بأكايل الفار ، ما كاد هؤلاء يعملون على فرز المنة ويتوسدون ريش الراحة ، حتى طارتهم سمات البطولة ومرابا الرحوة التي شرفتهم ورفعتهم على هامات الشعوب ، فصار أحدهم بعد تلك الخشونة وممارسة أنواع الصعاب وصروب المشقات ، يدرجه النسيم ويدميه لمس الحرير ويتأذى من ورده الورد ذا وجدت عرساً بين حشايه فرشه المعام الرقيق .

وهل أتاك حديث الاعريق ، وما كان من شأن علماء نبيه الدين خابوا أبواب العالم واسع فهمهم وعظيم ذكائهم ، لم تركب كان بهاء مجدهم وانتشار مدينتهم واستمداد كلمتهم في مشرق الارض ومزاربها . . . ثم انظر الى مصيرهم بعد تلك العظمة والى انطفاء نورهم بعد ذلك الاشراف سلكوا سبيل الرطاهة والرياء فانقرط عقد نظمهم حتى أصبح موطنهم مزوعة للدسائس والهمس وفقدوا الانسجام الكامن في حياتهم الشخصية كما تفقد الكراب



موازنتها الطبيعية وهووا الى الخفيص فالدمار

وقد كانت بغداد ، تلك المدينة الاسلامية الزاهية الزاهرة وعاصمة الخلافة وركنها الركين ، هدفاً لهذا لقانون ، فتمشت مع نياره . ولم تستطع ثباتاً أمام سلطانه . وصات الى أوج المز ومنتهى الكمال ثم تدهورت الى مهاوى الانحطاط ومنحدرات السقوط كغيرها من الامم السافرة والممالك البائدة

قامت بغداد هذه في العصر الثاني للهجرة تمثالاً حياً لمدينة الاسلام وبرهاناً باطفاً على أن هذا الدين المبين من أكبر الموامل على الرقي والفلاح . وما كاد يتقضى عام ونصف على تأسيسها حتى انتشر العمران في خراباتها وسرى نور العلم والعرفان في عرصاتنا ، يخطف الابصار بريقه الوضاء ثم تبدل فمر الالهالي واملاهم الى الفنى والرفاهة وبسطة الرزق وسهولة العيش . وفي ذلك ادلال على اعجاز هذا الدين وتنبيه الى جلاله وعظمة شأنه ، فطوبى للامم التي تفصل مواطن المز ودرجات الانبيل من طريق تنظيم حياتها وفقاً لاوامر الدين ، وطوبى لاولئك الذين يصلون تلك المراتبة العالية من طريق العمل بالامر النبوى الجليل : « اطلبوا العلم من المهد الى اللحد »

## الفصل الثاني

لما صار الملك الى العباسيين واستقر نصاب الخلافة فيهم  
بتدبير السفاح ، وعموية الابرار بين اتباعه وأشياعه ، نقل عاصمة  
الملك ومقر الخلافة من دمشق الى ( الكوفة ) ليكون قريباً من  
وحاله وحزبه غير أنه لم يجد فيها ما كان يطلبه من الراحة  
والطمأنينة فغادرها الى ( الانبار ) على شاطئ العرات ومكث  
فيها الى آخر أيامه وفيها انتقل الملك الى ابنه المنصور . وكان  
مضطرباً بالامر قوي الشكيمة ، حازماً متدبراً فتحوف من أبي  
مسلم الخراساني ، ذلك القائد العظيم لدى ارتفعت دولة أبيه على  
أكثافه وامت له الكلمة بهيمته وفضله ، فدبر له مكيدة أودت  
بحياته . ثم ابني مدينة ( الروراء ) على نهر دجلة من العراق ليكون  
بمنحوة عن شعب أهل الكوفة ممن يكيدون للدولة ويقومون  
بمناصرة آل علي ، والدولة اذ ذاك في ميعة شبابها وأبان نشأتها  
وسماها ( بغداد ) أو دار السلام . وكانت تنقسم الى قسمين  
أحدهما يدعى ( الرصافة ) وفيه قصر الخلافة والى جانبه قصور  
الامراء من أقارب الملك وذوي رحمه ثم يتلو ذلك قصور  
الاشراف وسراة بغداد والثاني وبه بيوت الباعة وأحلاط الناس  
ودور الصناعة والاسواق ويكتنفها سوران عظيمان يزيدانها

منعة وفوة وبذلك أصبحت بعدد كعبة الحلال وآية الحسن  
وأصبح الخليفة في أمن ودعة . قرر العيين بأعم البال في قصره  
المحاط بتلك الاسوار المنيعة . ثم بنى خارج هذا الحصن المحكم  
قصر ( الخلد ) الشهير . وظلت تلك المصور الذهبية المنعمة حتي  
أيام الرشيد فكان يقضى أكثر أوقاته بها . وفي أيامه صارت بغداد  
كعبة الحلال وآية الحسن . ثم حدا من جاء بعده من الخلفاء حدوه  
فكأوا يأخذون مقام الحروب من كتب اليونان وعند ما ارتفع  
شان الدولة ارتفع معها شأن العلوم والمعارف في بعدد ويداؤها  
العلماء والحكماء على اختلاف طوائفهم ، ويرجون إليها من أخصي  
البلدان على بعد المشقة رعية في العسايا وأملأ في المول . ولم يكن  
الخلفاء ليمملوا أمر ذلك بل أحبوها المصروف وعرفوا لهم أقدارهم من  
الكرامة وأحلوهم أسمى لدرجات وأعلى المراتب . وأسأل الرشيد  
عليهم الذهب المضار وأوسع لهم العطاء ، قدمشي عمران على  
جانب الدحلة شرقا وعرب بالانية البديعة والفصور الاليفة المحطة  
بالخدايق الماء واليدني الزهراء حتي أصبحت الدحلة كالحوض  
البديع بخبرتها بعدد وما يليها من الضواحي والمنتهات كأنها  
المرأة الصافية بحف بها ، طار شئ النماء والالون  
نزل علماء الصين والمهند على الرحب والسعة في مدينة  
السلام وطاب لهم فيها السمي وانكد وان هي لا فترة من الزمن

حتى امتلأت بأفاضل أهل الادب وأعاصم رجال العلم وأكابر  
أصحاب القول في العمون والصناعات من العرب والعجم والترك  
والسكرد والديم والكرج والروم ولا من " ثم تعددت بها  
المدارس والجامعات وتنوعت لديها دور الكتب والمستشفيات  
وأقيمت بها المراسد والمصانع وغيرها من مؤسسات العمران  
واشتغل أهلها بنقل كتب الفلسفة اليونانية إلى العربية فبرعوا  
في علوم المنطق والرياضيات والطبيعية واللاهيات ودرست  
ملكات تلك العلوم فأعموا فيها وصالحوا ما استبانوا خطأه في  
مبادئها وصافوا إليها أو ما أصابوا الرئى فيها

سعيًا لتلك الأزمان والعهود التي كان العرب ينهل فيها من  
موارد الشرق في تعداد عظم شأن الملك وفيها تقدم علم  
الكيمياء وفي ذلك العهد زاهر تدرجت المصاحفة والبلاغة  
وأسابيب القول في الخطب والانشاء إلى أسمى مراتبها تدرجت  
المقول ورفعت الطبع واشاعر ونافس الخلق في صروب المهرجة  
والزينة ونواع الرفاهة وأصبح التطرف والتجمل ودقة الصنعة  
ديدن كل لسان وشعاره . فمالت أهر الدانير وتعالى الناس  
في اقتناء لمجهرات وأواني الزينة من الفضة والذهب بكثرة  
لا تقم تحت حصر ولا قياس إلى حد أن ضاعت قيمتها لأصلية

وكانت المطايا والجوائز من الزمرد والياقوت والفيروز وغيرها من  
 النفائس تنهال على الشعراء والادباء والحكماء كالسيول الدافقة بلا  
 عدد أو حساب إذ كان الشاعر أو النديم أو العالم يأخذ ما يتمناه  
 من سامعيه إذا أحاد القول أو حكم الشعر في قوله يقولها أو  
 حكمة يفسرها ولهم في ذلك قصص متوارة تماثلها الآن  
 جيلا بعد جيل . وكذلك الغناء كان له شأن يذكر حتى وصل  
 إلى ما وراء المائة في تشعب طرفه وكثرة مذهبيه ونوع الناس فيه  
 استدرازا للرزق وطامعا للحظوة لدى لامراء والكبراء ، جمع  
 فيه كثيرون نقل التاريخ أيضا أسماءهم دون لحائهم وشعور دانيهم  
 التي بقيت للأسف كالأماز التي لا يتوصل المرء إلى حلها  
 في هذه الأيام السعيدة المبهجة من العصر الثاني للهجرة  
 النبوية ولدت بطلانة من بطالات الاسلام زادت ور عصرها  
 اشراقا ، هي زينة حفيدة أبي جعفر المنصور ، منسوبة بغداد .

## الفصل الثالث

على مقربة من الموصل قصر جميل بناء المنصور وسماه ( قصر الحرب ) ثم وهبه الى ابنه جعفر عند ما عينه والياً على الموصل .  
في هذا القصر ، ولدت زينة وفيه مات يوها جعفر بعد ولادتها بثلاثة أعوام .

نشأت زينة في عهد الدولة العباسية فكانت مهبط الحب وموطن العباية والتجلة والاعزاز من قلوب بني العباس ، لاسيما جدها المنصور ، ركن الدولة العباسية ومقرها الاشراف وعميدها الاحل ، فقد كان يؤثرها بقبه ويختصها بحب فوق كل حب وهو الذي لمها يريد ما رأى من نضامها ونعمتها فغلب عليها هذا القلب وصارت تسمى به دون اسمها الحقيقي وقد قام جدها بتربيتها فاحسن أدبها وتربيتها فعلمها القراءة والكتابة ورواها الشعر وحفظها الاخبار والسير فشيت كلعة بالشعر " والده

( ١ ) ومن شعرها في رثاء والده ، لامين

|                              |                            |
|------------------------------|----------------------------|
| أودى بالعبد من لم يترك الياس | دمع فؤادك من مقتولك الياس  |
| لما رأيت المايا قد فعدن له   | أصبر منه سواد القلب والراس |
| فبت مكتئباً أروي السحوم له   | أحل سننه بالليل فراسا      |
| ورثته حين ناهيت الرجال به    | وقد بنيت به قاهر آساسا     |

بالادب حتي كانت ترين حوائط غرفتها بالستائر الموشاة بالظلم  
البديع والايات الموقفة .

كانت ذات ملامح جذابة وحمال خاص بنساء عصرها فاشهر  
عنها الادب والكمال والجمال مع علو السبب حتي صار  
يضر بها المثل في لادبه العاية والمجامع الراقية وقد صور  
من اعزازها والمبالاة بشأها يوم أن زفت على ابن عمها الرشيد  
فقد عقد له عليها عام ١٦٥ هجرية وهي في السابعة عشرة من  
عمرها ونمت حملة قراها بأبهة خارقة للعادة لا يسع له محال  
الخيال فكانت من أندع الحوادث التي رويها التاريخ "أسباب  
وأطباب بهصر دونهما كل قول ووصف وقد نالت تلك الحادثة  
استحسان جمهور المسلمين المنتشرين في أصقاع العالم ووقعت من  
نفوس كبرائهم وأمرائهم موقع الاستحسان فتهافتوا على هذه  
الحميدة الهاشمية بأنواع الهدايا وضروب المحوهرات وصنوف  
الطيب وأدوات الزينة استحلاناً لرصاها ورعية في حطوبها .  
وامدأتني عليها في حملة زفافها من غولي البلالى ما أنقل سيرها  
وعاق مشيها ولقد نثر للؤلؤ في جنبات طريقها على البسط

---

فليس من مات مردوداً لنا أبداً حتى يرد عليها فله ناسا  
(١) قاموس الاعلام

الموشية بأسلاك الذهب وهي تنهذى في الثياب المزخرفة التي  
بالغوا في تطريزها وتزيينها بأنواع الجواهر التي يمجر المرء عن  
تقديرها أو تقويم قيمتها .

كان الزفاف في قصر الخلد المطل على مناظر الدوحة البديعة .  
وفي وسط تلك المناظر الخلابة ، تمتعا بأشهر الغرام وأوقات  
السعادة وما كاد يعصى على زواجهما أربعة أعوام حتى ولدت له محمد  
الأمين ثم بعد ذلك بعام واحد أي سنة ١٧٠ هجرية تقدر الرشيد  
زعيم الخلافة بعد أخيه موسى وهو في العشرين من عمره .





## الفصل الرابع

كانت الاميرة زبيدة وسيمية الوجه ، طويلة القد ، بضرة  
الجسم ، بيضاء اللون ، امينين راقيتين وفم صغير (١) ، خفورة  
بأصمها وحسبها ، تعز كثيرأ ، تنسابها الى اسوحة لهاشمية ، وفي  
حائها وطورها ما يشمر بالهبة المزوحة بالوفار ، وبالمنظمة الى  
تنحى لها الرؤوس طوعا لا كرها (٢)

لقد كانت على ما وصفنا ، لأنها كوكب السحر في سماء العظام ،  
ولأنها حفيذة خليفة وزوج خليفة فكيف لا نباهي ولا نمز ؟  
ومن نكون من نساء عصرها أجدر بالمحر والسودد ؟

أما وفور فضلها ونبل خايقتها وصفاء قريحها فما سار مسار  
الأمثال . ومن أجل هذه المزايا التي قل أن تتوفر في امرأة أخرى  
تربعت على عرش عصرها الشمع وقبضت بيدها على صولجان  
زمنها الزاهر

وكان لباسها المعتاد جلبابا شاملا الى الارض ، وعلى هذا  
الجلباب وشاح يزيده نطاق مرصع بالجواهر ، نشده بين عاتقها  
وحصرها وكانت تتجافى عن التحلي بالاحجار الكريمة والجواهر  
لفيضة رفعا وأقفة ورغبة في التبر عن عامة الناس فما كنت ترى

(١) كتاب الفرج بعد الشدة (٢) زيدان

في أصمها حاتمًا ولا في مصمها سوارًا ولا في جيدها قلادة وإنما  
كانت تبيع وحدها في لباسها وزينتها ولهذا الخصلة للتغلبة على  
نفسها كانت تزين بذلك اللآلئ النفيسة التي ترضيها على أي قسم  
من أقسام جسمها أسديتها وسماها لمرصعة القصبية بحيوط  
الذهب . وقد سألها أنها بحبوب محمد الأمين عن ذلك ذات  
مرة فأحاطته بوقار وثمم .

أفضل ذلك لا شيء لا أريد التشبيه بغيري من النساء ( ١ )  
أجل لقد كانت تنفر من التقليد ومحاكاة عوراء شديداً وهد  
النفور حدها إلى ادخال تعديل كبير في عصابة الرأس إلى ابتداءها  
العمامة أحت زوجها رشيد لما كانت تضع شيئاً من اللآلئ  
والخواهر في عصابةها كانت تضع سمه رمها وإنما تضع قطعة  
من المسح لاسود الرقيق ، ولا مرصيع ولا نظاريز ، تريد من  
هيبها وتكسها كثيراً من الروعة والجلال .

كاد زينة تكون المرأة الإسلامية لاولى في استعمال وأنى  
الفضة والذهب والاكتثار من اقتنائها كما كانت عودها لميرها في  
اقتناء الملابس الخيرية والتأني في صناعتها وروى التاريخ أن نوا  
من ثيابها بعث بكاليفه حميد بن عبد الله ديار . وكانت كذلك في  
تزيين بعلها ووضفيها حتى كانت تجمها من العضة ولا نفوس

وخشب العنبدل وتصنع سروجها من القصب وسلوك الذهب.  
 أما نسيج ثيابها من السمور والاطلس وضروب قتي من الافشة  
 وكان يعجبها من الألوان لاجل وارصه والاحمر والاردي (١)  
 ركت بعد زواجها قصر الخلد وانتمت الى قصرها الخاص  
 المسمى بدار امر على طي الدجلة البديع وكان مقطوع النظير  
 في رمانه يحيط به حديد عظيم يحلب لاجل ربه وجماله  
 وشجره اشيرة رهرة اما داخل القصر فكان لا يقل بهاء  
 عن حجرة دار مبروش سدوق حسن واثبت مسج وعرفه  
 وردته مردقة كل من رتبة دار في لاجرى

الزينة والاهة في ارض ولانت من حب الاشياء الى  
 ريبة خست الى قصره ندع سائر العقول واصل ما صنعت  
 لا يبدى ففدت غرفه آية الآيات ومعجزة المعجزات ومن بين  
 تلك الغرف القاعة الكبرى التي كانت تلاقى فيها مع هواه  
 محمد لأمير وقد كانت مبنية على المنبر لارمن ذات لرامش  
 محلو به رأساً من بلاد الكرج في زكاه وزدي ولحشايا  
 ولارمك ونوشار ، مبنوته فوق بساط نيل كبير لحكم من  
 صنع المعجم ، منقوش عليه صور الطيور وأنواع الوحوش  
 ولصيادين من ملوك المرس حولها ، على أهمة الصيد والنقص (٢)

(١) المسعودي (٢) زبدان

وفي طرف ارضيات حكمه شمر راقه احدثت به  
 القرب وقد كانت رقة من خشب ابيضه وتسمى  
 قطع عرش من طر و جود رقة دس صمد و لا شكل  
 من رقة من احدى ارجاء من رقة كل رقة من  
 ارضه شملت من رقة من رقة من رقة من رقة  
 كانت هذه شموع رقة من رقة من رقة من رقة  
 ردة في رقة من رقة من رقة من رقة من رقة  
 من ارض من رقة من رقة من رقة من رقة من رقة  
 رقة من رقة من رقة من رقة من رقة من رقة  
 ومعدن من رقة من رقة من رقة من رقة من رقة  
 ضرورت من رقة من رقة من رقة من رقة من رقة  
 صدي في رقة من رقة من رقة من رقة من رقة  
 غير من رقة من رقة من رقة من رقة من رقة  
 وارجح ان رقة من رقة من رقة من رقة من رقة  
 محاكة العرب وتميد رقة من رقة من رقة من رقة  
 رقة من رقة من رقة من رقة من رقة من رقة  
 نفسه وقد كانت حوار رقة من رقة من رقة من رقة  
 من رقة من رقة من رقة من رقة من رقة من رقة  
 (١) من رقة من رقة من رقة من رقة من رقة



أمر أبي رفاع من ماله في لافق .

\*\*\*

كانت تكفي أم جعفر وأبوك الدريح بكاد لا يذكر سم  
كثيراً وأما محو سيرهم يدور مع حو دت الامين ووقائمه و  
ذات ما يتلأ لصدايق وميوس من دونه بحديث واسم المحبوب  
هد كان مصة اصعب في ذلك الحياة العظيمة المودة بحسب  
كان ذلك لأمر الخايع من الذي لا يستحق شرف لولا  
قد ملا فاتها وعمر كل عاصدة من عواصم فكان دم  
عنه وايزره على كل سر آخرهما عظم أو صفرهنة لا  
التاريخ

من التاريخ يصب دم عضه وسحقه على دت الحب  
أمر حصت ه امه لامين ، لقد طفا ذلك الحب وجاش فيه  
على كل عاصدة أخرى ونعصب الى حد لا يدرى مصاحبة الامين  
كانت تمامي كل من ينظر الى مساوي ابنها المحبوب عدا  
العلم ونعصب من كل انسان لا يفتش الطرف عن هفوات دت  
الطائش ان حب الامومة الفى حقا ، كيه ينهنا وبين عاصدة  
الاصناف الى حد الكمال عن كل عيب الامين ولعداوة الى كل  
انسان ينقل اليه لوما في حقه  
كان ليس عضون المأمون على الامين - في نظرها - محرمين

لا يمكن الصبح عسى وكان جعفر البرمكي من هؤلاء الصالحين  
 الذين لا تمكن الذم في حقهم إذ لا كان من جبر الناس  
 على بشر مساوي لا من واذاعة قاضيه . وضح من حر ذلك  
 هدفه اليهم عسى . فكان به احمد في سودة .

كان ارفعهم جعفر وسعيها في السقط من ته جبان ام  
 الامم وكان جعفر ربي لا من لا يصح لولايه قد نحتس من  
 محبة نه هذه الحقيقة . عسى ذلك انصرح . وشهرت عليه  
 منذ ذلك اليوم حرا عوا . وقصرت كل هم على سخط مرانه  
 من حسن الرشيد فكانت لا من تربة جعفر . وري فيه عدوا  
 بحب سجنه وعمره . وقد من هذه الهصة في مسها الى  
 مكنت مس . وري مشوق الى الامم منه ورو . عيسى .  
 لقد مكب البرمكي لاجل الامم . كانت ربيدة من ثم  
 لا بدى امامه على حيا . وندير تلك المكبة الهصة ومن حر .  
 ذلك بحمد التاريخ اكبر بيعة في هذه الحدة الاسيعة

وان ربيدة . راة دت عمل متوسط ودك . عادى . نونها  
 راة عردة عن صبة اعم ومريه الادرك . لا لتستألف المادور  
 وبردت في عظمة الامومة التي غلبت عليها . كبر ربيدة  
 ذات عقر وافر . واب نافذ . وشخصية ررة . لا يمكن الصبح  
 عن تادها في تلك العاطفة الى حد الاحرام واتاج تلك المديحة .

ای سہ ماہی صحت کی ... لالہ ...  
صہ ...  
...

...

...

...





المقدس ، مناط وحدة المسلمين .

وقد كلف حفر ثلثي عشر كيلومتر من هذه المين احادية  
اسى بعد مشروعهم وحدة من وحدات النسيء ، مايويا وسبعائة اذبح  
ديار ١١٢

ومن عرائب آرها في مكة وعصر من الماور نشأته في  
مس مكة كرامة بعد ثبة الآيات في ١٠٠  
هذه لرحلة الحجازية من أهم الوقائع خطرأ في حودث  
عام ١٨٦ هجرية لأنها كانت مـدة سقوط حمر من عز قبالة  
و ربح سموده الى حضيض الادبار .

كان حمر البرمكي صاحب مكانة سامية في نفس الرشيد  
اذ ذلك . وكان لا ينفك في مولاه لحطة وحدة أنه تلك لرحلة  
وكانت لطيفة لعنمد كنبر على وزيره اصادق لامين ولا يبرم  
أمراء دون سفارته ، وكل هذه الحلات كانت ربيعة نظير اليها  
نظرة الحقد والاشمئزاز

كان حمر نحب الامون كثيرا ذ كان صديقا محبوبا نشأ في  
حجر البرامكة و نادب بأرشاد حمر ونهالجه فعدا أمراً فاصلا  
مهم ناهد للاب واسع المهم " وكان محبوا من عامة الشعب

( ١ ) كل التواريخ متفقة في هذا التقدير

( ٢ ) الامير على

لأنه قد شهد به من يبا التي يتصف لأميركم ، وكان أحود  
 بنفس عليه ذلك أما زينة فكانت لا تتحمل هذا التعوق ولا  
 تظهر ما يدل على اغبرارها مع أنها دنت نحت عن وسائل  
 إلى تقضى على هذه الحالة التي تضر في مساهبات العيظ والخقد  
 أجل كانت تجتهد في اخفاء ما يساورها من عو مل الكس الكرم  
 لروحها رشيدوا. كان جعفر أ لا يثبات من صوره غدوة وانجابه  
 بربيه المأمون علما شامه هذه الرحمة فمضى ما جدها الكرم  
 في مساهراته فكان في الوسائل المؤدية إلى القضاء على جعفر  
 كان الرشيد وهو في مكة المكرمة قد كتب وصيه وبيع الامير  
 بولاية المهدي ولد المومنه وكتب الكتب هناك وأشهد فيهم  
 اشهود وأرسل نسخها إلى الامصار وعلفت نسخة من تلك  
 النسخ على الكعبة وكيد لها وقبل تعاقبها جمع من في معتبه من  
 علماء والمصلين والوزراء وعهد منهم مجلسا كبيرا لاشورى  
 وأحضر فيه زينة والامير والمأمون وجعفر ، وقرأ عليهم وصيته  
 ما كيد لها ، وعندما حلف الامير والمأمون عيب الطاعة أمام  
 شيخهما ، فل جعفر للامير عقب عيبه فل معي ا ذا حنت لامة  
 فليقررنى لله ) وكررها الامير ثلاث مرات وكانت زينة تنظر  
 إلى جعفر بعين الخقد وتحدده بنظرات ملؤها العيظ والمضب (١)





اعظم ياتى على مدينة لا برينيد من روعة صافيا وحليلا من  
الجلال شاملا

قد كان لوصول زبيدة ثمر من لعظمة الخلافة التى لا يمكن  
تسييرها ، ولدت لمواكب العجمة روعة دمة الذكر فى صحائف  
البرج من هـ لا حشام تقدم موكب الأمين ومن ورائه  
لوراء ولامر ، ولا عيب ثم صوف الحق بلافة زبيدة الم دمة  
الى عاصمة الملك وفهر الخلافة

هـ ، قد حصل بدي الى مصر آخر فى صحائف التاريخ ،  
الى صورة درة بالجلال والاحتشام ، الى موكب حجاج ملكة  
سيرة ، تسييرها سليمان عليه السلام ودحرجها فاسطين بحفها ،  
الاحتشام ومظاهر الجلال والكمال .

بين هذين الموكبين مشاهة ومحاكاة ، فيبدا من هجدهم  
وشرهم ، وانى حمل لعرب يحدهى حمال هـ الاشرق  
الدى يستمد بهجته من ألوان الشرق ؟

وصلى موكب زبيدة بين الهتاف المتواصل وأصوات  
الهلل ومظاهر التبحيل والتقدير الى بعدد ، ووقف أمام قصر  
الخلافة بالحاح لأمين ورحته لمواصل وهما أقيمت عصاه ، واستقر  
بها النوى

كان الأمون ثم ذلك في حرم من لا يستطيع تركه لما  
كانت عليه من العتق والندس، فكان الاحول نحمد عليه البقاء  
في خراسان وتأخير الشخص الى بغداد

كان الرشيد على غير ما كان خلاف وبنه الأمير والامون  
وصدق وم كل واحد منهما وقد كان يمين الامير نولاية  
العهد مرعاة بخطر وبنه ثم الامون فقد كان يقدره حق  
قدره شخصه القدة ومرباه لعدة ولقد السب وجه اليه  
ولاية حرمان، فانه حسن اسيرة وورع حتى سأل لعود  
وأعمل للملاد وكان فاضلاً ذكراً قيل الى تهن الامون والامون،  
دا اذلاخ وسع ونهاية دمة في مـير اندران وفي الحديث  
الشريفه (١)

وقد كانت له ملكة عظيمة ودراية كبيرة في مثل هذه  
والشرع حتى كان سرادرسه وأصبح باسمه (عنه) فقدرته وفضله  
كان الرشيد نوب انه كثر بعيد المعتر فتوقع ما قد فعله  
الامير من التهور وسوء الفقه ناحيه فأوصى قبل موته  
جميع ما في امسكر للامون، وكان لفصل بن بريم، ربيب  
نعمه الامير - حليقة جعفر بن يحيى على منصب اوردة بغير  
حدرة، تعلم مقدار هذا امسكر وما دى وحل من شتوته رحاله







وايهما كان في لادته وقد مرحت لهم ثمة امرصة في حلال  
 هذه امرة وندو ورمون نوية المصير ويتحررون  
 لكون وسخود والامير لاه ساه في نوم عميق يمدد  
 ثمن لدوه في سبيل لده وشهوته يدل ان ينظر في شئون  
 حكومته وتمعن على سد حاجته مدية ونموية

نماه في الرابع وريرة لاهم فقد حاف اموم  
 وكان كل فتكر فيما منه مع ثمن من مكث عهد رشيد  
 ووصيته اطوس ، رلة بفرصة فرقا وقد وضع نصب عينية  
 ان ولاية ثمن لجلالة ان حلا و حلا ماسها مواته وانقضاه  
 عني لان ثمن لا يركه هذه الحبة دون عات صارم هم  
 يطلق احتملا هذه الفكرة الى ثات ماني حاضره بل سهار  
 وتعي اموم من عيه ، فحسن للامين خاتم المأمون والبيعة لانه  
 هو سى هم واقعه ولا ورنى انفصل ان له لادته حجب فاح  
 عيه في هذا الرأي وشرك معه شريك المدي والرياء على  
 عيسى ، عروحه هذه الفكرة وحسدها للامين ومرا لانه حتى  
 مال اي فوله ونزع في خداع المأمون باستدعائه الى بغداد ،  
 هم ينخدع وادرك ماني ذلك من الماطر والبوارن هو رك  
 حراسان ، فكاتب يعتذر ورددت لمرات والكتابات بينهما  
 وهضر الفضل بن سهل ناظر المأمون واسمال له الناس ، وضط له

الثغور والامور، واشتدت العداوة بين الاخوين الامين  
والمأمون، وفطمت الدروب بينهما من بغداد الى خراسان وقنشت  
الكاتب وصعب الامر، وقطع الامين خطبة المأمون ببغداد  
وقبض على وكلائه، ثم حمله وولى بدله انه موسى ولياً للعهد  
بلقب (الناطق بالحق) واحضر كذلك وصية أبيه من مكة  
المكرمة ومزقها ارباً

على هذا تناول نعا الشر بين الاثنين وقضى على مشروع  
الرشيد ولم يبق من آثاره سوى ما كان له من حسن النية .  
لقد حنت الامين يمين قطعه على نفسه وسكت عهداً  
عاهده أباه ولم يعبأ تلك الوصية الى تحرمت تعليقها على حدوان  
يست الله الحرام .

لم يقدم الامين على ما فعل، ولم يخجل عند ما رنكب تلك  
العملة الشنيعة فلا بدع ولا عصب لأنه شب بمد الصدر، صغبر  
النفس وضيع المهمة لا يفدر لشرف الوعود والايمان قدراً .  
لذلك رأينا المأمون يستمد، وكان بقدر ما عبده من التيقظ  
والتبصر والضبط، بقدر ما عند الأمين من الالهال والتفريط  
والعملة، وقد بلغ من تمريظه انه أرسل الى حرب أخيه رجلاً  
من أصحاب أبيه يقال له علي بن عيسى بن ماهان في خمسين ألفاً  
ويقال انه مارني قبل ذلك ببغداد عسكر أ كثر منه، وكان

معه السلاح الكثير والاموال الوفيرة وخرج معه لامي مشيه  
مودعا . وكان أول نعت بعثه الى اخيه ، قضى على بن عيسى  
بن ماهدي في ذلك المعسكر الكثيف وكان شيخا من شيوخ  
لدولة ، فالتقى بطاهر بن الحسين فاندعسا كر المأمون بطاهر  
مدينة الري ) وكان عسكر طاهر حدود أربعة آلاف فارس  
فاقتتلوا قتلا شديدا فكانت الغلبة فيه طاهر وقتل على بن عيسى  
وجيء برأسه الى طاهر .

وأرسل طاهر الى المأمون يبشره بذلك الفور وأرسل  
البشرى مع رجل من رجال العريد فوصلت الى المأمون في ثلاثة  
أيام ويدينهما مسيرة مائتين وخمسين فرسخا  
ومن الغريب أن الطاهر في كتفه الذي بشر به بذلك الظفر  
أوجر غاية الانحار مع الامام الموضوع من جميع وجوهه  
وهذه نسخة .

( ما بعد هذا كتابي الى أمير المؤمنين أطال الله بقاءه  
ورأس علي بن عيسى بين يدي ، وكان خاتمه في يدي وجنده  
نحت أسرى والسلام .

وقد عا فعل ذلك (حول سيرار) عندما انقلب على قبائل الفول  
ودخل مدينة (لونس) وهي لمدينة لأثرية التي بنيت على  
أصلها دريس ، فقد كتب لي مجلس الأعيان بروما ثلاث

كلمات فيهن كل وصف واطناب وهي ( حنت مرأيت فقصيت )  
 لقد اعتط الفضل من تنصارا ، مؤر وحق نصيبه العمان  
 لي حد مصدرة مواله وعماره وحجز ونبيه لصميرين بممداد  
 لعدم أن يقتلها لولا منافقة الامين . ثم توات الياموت من  
 ب الامين امة هرثة الممكرة وكانت العلية العمان في كل  
 هة ، وفي سنة ثمان وتسعين ومائة هجم طاهر بن الحسين على  
 مداد عد قتال شديد وحاصرها عدة أشهر وأحد الامين  
 له وولاده الى عنده بمدينة المنصور ، ونحصر به ولعد اشاروا  
 به به مراد الى الشام فلم يعمل اولا كانا على مروءة ابيه وشهيمته  
 هو سم له اليه ودر في مد كرات الصلح وتغرق عنه عامة  
 مد وحصيانه وحصره طاهر هك وأحد عليه لاواب والتنفد  
 وب اشرف على أحده صلب الامين الامان من ( هرثة ) وأن  
 نسمع اليه وروحم في الطلوع الى طاهر فاني ذلك فلما كانت ليلة  
 لأحد الخمس بقا من احرم سنة ثمان وتسعين ومائة ، خرج  
 لامين بمد المشاء الآخرة وعليه ثياب بيض وطياسان اسود  
 فأرسل اليه هرثة يقول ، اني غير مستمد لمعظك وأحتش أن  
 سب عنك فأقم الى الليلة القابلة ، فاني الامين الاطروج تلك  
 الليلة ، ثم جاءه كذا الى الشط فوجد حرافة هرثة ، فصعد اليها  
 وحضنه هرثة وضنه اليه ، ثم شد أصحاب طاهر من الاعجام

على حرقه هرة حتى أعرفوها فصبح الامين وهرة حتى وصلا  
الى الساحل بكل جهد ومشقة والتحقا الى بيت صفي وكن  
هرة قد عطي لامين نظيلسانه جعطاله عن الاعين وعمل  
في وسعه ليعاد ولكن كيف تستطيع ذلك بمفرده وأنى له ان  
يثبت امام مشيئة الاقدار ( لكل جل كتاب ) ١٠٠٠ فدا  
وصل لانعام الى الامين في مكه ، هدموا عليه سيورهم  
المصلية حتى قتلوه ؛ ولقد غضب الامون من جراء ذلك على القصة  
واصرحهمهم وبجارتهم دنكبوه وأحرى المصحات على الموحودين  
في قصر أخيه وألحق ولدى لامين بزيادة ارييتهما وهكذا  
عمل ما في لا مكان لتلاقي ما حدث بفروصاه وبلا أصرامنه .  
قتل الامين ، ولد زبيدة محبوب في الثامنة والعشرين  
من حياته وكانت مدة خلافته أربع سنين وثمانية أشهر وكسر  
امد اسم الامين امام أبيه بحفظ وصيته وعاهد ربه لأن  
امام جمع حافل أن يكون مستحقاً لمضت ابولي عز و  
وقهره اذا هو حان الامانة ، ثم ركب العلم وحنت القسم  
ولم يعبأ بشرف الوعد أفلا يكون في ذلك دليل على الغيرة  
والجهل ولاة التدبر . . .

### ( الفصل السابع )

اضمححل بعدة زبيدة وتلاشى شأنها بعد خلافة المؤمنين ولم  
يبق اعظمها مجال ومتسع واقد اضطرت أن تعيش في دائرة  
محدودة تحت ظلال السكون والاستكانة والسياسة على غير  
ما تعودت وبخلاف ما نشأت عليه . لان طاهر بن الحسين ، قائد  
المؤمن ، ذلك لدى تعاقب على اسباب الامير ومهر حيوشه وكسر  
شوكته لم يس ما لحق المؤمنين من الاهانة وما ناله من الاذى  
وما يحشمه من الشدة في سبيل الامير فاصططه ربيعة وعمل  
على تهديدها وادافتها ألوان التحمر والاهانة ولعمري سبغت  
ربيذة على الادى وحملت كل ذلك بصبر ونبات حاش وتها  
جلدية بالتمسك ونسبها هذا . لان زبيدة العظيمة ، امرأة الرشيد )  
تلك التي عاشت مكرومة معززة مرفهة طوب حياتها دون أن  
يصيبها مكروه . ويعكر صفو حياتها ذى أو تسمع وترى ما يشهر  
بها وبها ومثلها لم يدق لهمون قبل ذلك اليوم

م برض طاهر أن يسمح لنفسه بالسياسة عن أحوال زبيدة  
وحركاتها التي بدرت منها يوم انبأ الامير ، بحكم عليها ، على  
مرأة الرشيد لاصيلة المحيبة أن تعيش في صيق وشدة ،  
أنه الانتقام يس من الشرف في شيء بل هو ضرب من صروب

البدالة . واتخذت زبيدة من تلك المعاملة ولم تدرك ما فعله ازعام  
لان بد لا قدر الى صرتم ، تلك المعاملة نفسية جعلتها في حيرة  
من أمرها لا تهتد الى سواء السبيل ، ولا هم ، كان بخاطر على  
لها ان طلكه تلك مبروكه معسبة في يمدد وعند ما فاس .  
صبرها وصفاق ذوعها تجللت فامسكت الدم بدمها وسطرت  
تسطف المأمون وتقول :

« كل ديت يا عمر المؤمنين ون عظم صغبر في جاسءهوك  
وكل ساءة وان ماتت تسيرة لدى حملك ، وذلك لدى عودكه  
الله ، طاب مدنتك . وعمه امعتك ، ودام بك الحس ودفع عنك  
الشر والضير وبعد فهدد رقعة لوطى . اى رحواء في الحياة  
انوار الدهر ، وفي الممت الحبل الذكر ، فان ريت ، ان نرحم  
منعنى وستكافى ولة حيايى ، واصل رحى ونحتسب فيما جمالك  
الله له طالك وفيه راعى فاعمل ونذكر من لو كان حيا لكان شفيعى  
لديك » ثم اضافت الى ذلك اقوالا شرحت فيها معاملته طاهر  
وخطماده لها وقالت : « فان كان ما يمهه صادرا عن رضاك رصبت  
بنصيبى من الاقدار ون كان يعتسف بعير ربك فانك قادر على  
تفسير الحال »

وقد ارسلت الرقعة مع جارية لها يدعى خالصة واوصتها  
ان تسلمها الى المأمون يدأ بيد .



وما كاد المؤمن يقرها حتى بكى ونبش من حويه قول على  
عليه السلام عندما وصل اليه خبر استشهاد عثمان رضي الله عنه  
والله ما كان ذلك برأى ولا عسى ثم احاب ريبة بكتاب  
الطيف ورد اليها أموالها وعبيدها وعمل على رفع قدرها واصلاح  
شأنها يمحو من نفسها ثم الاحزان التي تشقها كما ويخظهرها  
على ما فعله .

بعد ذلك رى ريبة في عيش رضي وجمعة تامة ، تستعيد  
محنتها السابقة وعظمتها السالفة ، وتعمل على نسيان الاساءة التي  
لحقته على يد طاهر بن الحسين ، تحت طلال وارفة من اعم  
للمؤمن واحسانه المتواليمة

### ( الفصل الثامن )

بعد انتهاء الحادثة تلك الخائفة الحسنة ، يظهر سم زبيدة مرة ثانية في صفحات التاريخ ، نسطع باثراقة الساق وروائه السالف وقد ظل هذا الطابع مطهوراً لحياتها الباقية الممتدة حتى عام ٢١٠ من الهجرة .

وكما أن الجماعات التي نمر وقفاها في سمادة ودرطاهة ، قل أن توجد في سلسلة وقوعها حادثة مكدره أو واقعة تحرك كو من الالم ، كذلك لا افراد يدين تنو لي سلسلة بامهم بالسرور والصفاء لا ينجذ الرائي خلالها من الحوادث المؤنة والوقائع المكدره ما تسجها عليهم وهكذا الحال مع زبيدة صلت هيئته ممة بطة نميشها بعد خلاصها من شر طاهر بن الحسين وأذاة ، فقد تماقت عليها لا بام نصه ، عبر ممزوج أ كدر الحية وهذه حالة طبيعية في حياة امرأة عظيمة نميش في كيف خايمة على الهمة ، رقيق الحس ، جميل الشيم ، كالأمون .

من الحوادث التاريخية البارزة في تلك الفترة من حياة زبيدة ، عقد قران الأمون على ورن بنت وزره الحسن بن سهل فقد كانت زبيدة من أكار الرؤس التي حضرت تلك الوليمة وظهرت فيها بتظهر الابهة والجلال ولم نكتف بهدية الحماز التي

قدمتها للعروسين مما كلفها ٣٥ مليون من الدراهم وانما تبرعت كذلك  
لبوران بأحدى ضياعها الكبيرة في ولاية (البليخ)

لقد كانت وجة الرفاف في مدينة (مرو) في شهر رمضان  
المبارك من العام العاشر بعد المائتين للهجرة وانتهت بأبهة عظيمة  
لا مثيل لها في حوادث التاريخ حتى لقد قبل أمام العرس دامت  
سبعة عشر يوما نحلى فيها اشرف واستعجاله في لاسمة والمهجمة  
مما لا يقع تحت وصف أو حصر ولقد كانت كريات اسيدات من  
نساء بغداد وغيرها من عواصم الاسلام وأمصاره يجتازن في الحفلة  
بثياب المجدبة والخطى الثمينة التي يأخذ بريقها لا انصار ومن ثمة  
تصوير حاله زينة وعصيتي في ذلك الموقف وهي تشهد تلك  
الحفلة . لقد ذكرت بلالريب شئ من النوعة وإدارة المنوية  
حفلة رهاها في قصر الخلد منذ خمس وأربعين سنة مضت ، ومن  
يدري الى أي حد ذهبت بها كريات تلك الايام ذهبية الماصية  
لقد كانت اذ ذلك واحدة بغداد في الحسن والحل وفرة عين  
حدها منصور عميد آل بني العباس ، ولقد حيل اليها وهي في تلك  
الحال من الراحة وما يحيط بها من نوع الجماعاة والدلال أن  
الحال سيدوم معها على ذات منوال وأن حسن الطامع سيلازمها  
طول الوقت ومدى العمر

لقد كانت صبية حسنة في السابعة عشرة من عمرها ولقد

كانت محبوبه معروفة من عريسها الرشيد الذي يسم له حسن  
المستقبل فكان اليوم به ومن الديهي أنه لم يكن في تلك  
الحفلة امرأة شديدة مع الذكريات وكثير استمر صلاتها واثبات  
من تلك الحوادث أي من في الحيلة به عما كان نمر نوحه في  
شريط السبيل

أما عروس اليوم فهي بوران محبوبه المومن كبر ركن  
سبحي به رؤس وأشعره الدين به فتوا على وصف جمالها  
ويديع اعصافه في ذكر كماله به المومن اليوم على وصف بوران  
وهو مح ربه الفكر في وضع آيات المحب والاعظام لها  
لقد كان اليوم يوم بوران وبه في تلك الحفلة مثل ما  
وبوران صورة الحاضر، ووجوده نيل مرأتين معاً حباً إلى جنب  
في الحفلة لوحة بدلة ذات معان سامية تصور منظرًا من أغرب  
مناظر الحياة...

كان المومن يحب بوران في درجة بميدة لدى فأردان  
يظهر له حبه متعلياً في عرازها وتكررها تلك الحفلة، فم له  
ما أراد وحده حفة زفافها عظيمة بليغة تقدر حبه العظيم .  
لقد كانت حفلة مشرقة باهرة، سطعت فيها القلائد على النجوم،  
ولا فرط في الآذان والحلي على المعاصم بيها وروء ولكن  
شخصية بوران كانت أكثر اشراقاً من أي شيء آخر وجمالها

السايطع فاق روعة تلك، نحو هرت والنفاش، وتنفذ فيل أنه عندما أخذ المؤمن يدها إلى المرفة انحصهه ها نرت حدة المروس قطعاً من الألى السكبرة من على صبية من اذهب فوق رأسهما وقد جمعت فيما حدها رت عمداً بدها كريمة به حيد بوران الماصع وقد قيل كذاك أن حدها، وفدت في غرفتها شجرة عمر برن أر مين مكا، كتب الحسن بن سهل أسماء ضياعه في وقام وثره على القود، ومن وقعت له رومة أحد الصبيعه أسماء فيها هذا خلاف الذهب والحوهر الذي ثره على عامة الناس في ذلك اليوم، بلغت تكاليفه خمسين مليوناً من الدراهم، وتقد ه ل ذلك المؤمن وأراد أن يروض على وزره ما تنعه في سبيل عظامه فوهبه ابر د سنة واحدة من دخل احدى ضيعة الخاصة (١)

على هذا النسق البديع من العجامة والمطمة انتهت حملة زفاف بوران وبهذه الصورة البديعة بدأت حياة الزوجين السعيدين، وبعد هذه الحادثة بست سنوات ارتحلت زبيدة إلى دار البقاء في التاسعة والستين من عمرها

هذه العاقلة الممتازة من نسات بني العباس، من أهل نساء الاسلام ذكراً، وحياتها التي دامت تسعة وستين عاماً، صفحة ممتازة من صفحات التاريخ الاسلامي

كانت ذات شخصية بارزة، وصحات سامية ونفس جدانة

ولقد سار ذكر جملة مسار الامثال بعمد د ، وثقى الناس بنكاتها  
وعظمتها في سائر الامصار اما حديث غناها ثم ادهش اهل  
التوحيد ، وذكر خيراتها ثم وقع موقع القول واشكر في قلوب  
جميع مسلمين

لقد انت من عظام الخيرات ما لا يدخل تحت حصر او  
قياس فاصح اسمها مرادفاً لى الله والمعونة ولا حسان فهمي  
لهذا السبب من لاميرت لجيلات الله لى بفتح الاسلام بهم  
على الدوام .

اهم احب الخلق لاله ولصالحاتها ، منوية ، امرها وسمو  
أدبها ولكن شهرتها الحدة حادها من طريق خيراتها العديدة  
وبركة الدعوات الصالحة صادرة من القلوب المكمومة التي عملت  
على عفيف وبلاها حل اسمها خادما عظيما وسوف نعمل كذلك  
نلج به الاسمة ، محمداً ، ولحمداً الى ما شاء الله

ما نرها في عصرها فظاهر حل فهد كانت قطب رحي  
الطرف ولبتدعة لا واع كشرة من صروب اريمة حتى اهدتكن  
وضمها في صفوف كبار هل العلم العاملين على احيائه ونائه في  
ذلك العصر

في سيرها شىء من الرلل وحاب من لخطا ولكن لو وصفت  
حسناتها الى جانب تلك المهفوات لرجعت كفة خيراتها رجحاناً

كبيراً وأى امرئ من أبناء البشر مرّ من العيب ، معصوم  
من الخطأ ؛

فزيادة هذه من ملكات الشرق دلت الأثر الباهر ، ومن  
مخدرات لاسلام التي كانت عونا على رفع كلمة الشرق ، فإذا ما  
ذكر اسمها وجب أن يذكر معروا برهانة الشرق ونظامته وما كان  
له من علو شأن وارتفاع في العصر الثاني للهجرة  
ولهذا الاسم أثر كبير من لأعجافه فان له سحرأ خاصا يتحدثنا اليه  
ويجبرنا على الانحناء باعظام مام شخصيته لنقول من صميم افئدنا  
« لقد كانت امرأة عظيمة »

بهذه المشوع والاعظام حسب تطوي سجل هذه الحياة الصالحة





الاميرة صبيحة محمد

ملكة قرطبة

— ٩ —

## الأميرة صبيحة

مملكة قرطبة

### الفصل الاول

عند الرحمن ثبات الدمار لدن الله ، ثم من ملوك بني أمية  
في لانداس ، اصبية معروفة في التاريخ الاسلامي وعلم من علام  
الانداس ، ما قد نحاس على عرش الخلافة حتى بدل ما في وسعه  
ارقية مملكة وعلاء شأها ، الى ان وصلت اعلى درجات الرقي  
وظاعت ممالك اوررو ، مدينة وحضرة في امدة التي تقيد انساها  
الحكم وتقدر بنصف قرن

عاش هذا خليفة المفتدر وله امل واحد ، سعى لادراكه  
ونعقبة طول الحياة . ذلك الامل هو محمد الانداس وعظمتها  
وقد كانت حمة اكر من ان تنكل . فواصل ليله نهاره مجددا ،  
محمدا ، حتى صير قرانه جنة فيحاء ، تتخللها القصور الشاهقة  
والمساجد الكبيرة والمدارس العالية والمستشفيات المديدة  
ودور الكتب الحاوية لانداس الآثار والمآثر . اورد ترقية العلم في  
دروع بلاده ، فأحضر لها العلماء والحكماء من سائر ممالك العالم (١)

ورغب كذلك في زينتها وبهرجتها فلم يأل جهده في تخطيط  
الشوارع وغرس الاشجار وحرر الترع و لحداول الموصلة للأهـار  
وان هي الاعشية وصحاحا حى كانت قرطبة تنافس بغداد في  
أبهة الحضارة وأسباب الرخاء والعمران ، وأصبحت موضع  
اعجاب كل من يقصدها من الزوار بحسن نظامها وبديع ترتيبها .  
 واجتمعت كلمتهم على انها عروس المدائن ومعدن الطرف ومنبع  
انوع الكمالات ( ١ ) وان التاريخ لن ينسى أباديه البيضاء على العلوم  
والفنون وترويح ابداءة والتجارة في تلك البلاد الجميلة التي  
أصامت نفوس أهلها من رجال ونساء بانوار العلم والعرفان ( ٢ )  
حتى أصبحت ترفل في تلك الخلال الجميلة ، حلل المدينة في وقت  
كانت فيه أوروبا عارقة في ظلمات الجهل ، تلمس لنفسها سبيل  
النور والضياء

وجه همتة الى تنظيم الجيش وبناء الاساطيل ( ٣ ) وبذا  
أصبح صاحب الكلمة العليا في مياه البحر الابيض . ولم يكتف  
بما كان يحرزه في ميادين الحرب والقتال بل تطلع أيضاً الى التغلب  
في ميادين السياسة فالبث أن آل فيها فصب السبق وعقدت له  
بها ألوية الظفر والفخار

أ كبر المسلمون من كافة انحاء العالم ما كانوا يرونه فيه من

(١) دوري (٢) دورفيت (٣) الامير على

أمارت الدماء ودلائل العدل مع مكان عيه من حسن التدبير  
ووفرة الجاه وقوة السلطان وعزة ملك ، فمطمت مبرله فرصة  
في أعينهم وأصبحت عتدة القلب الناض لاجزاء الملك الاسلاميه  
الآخرى المنتشرة من أقصى المعمورة لأفصاه.

كان عصر نهضة ورماني تحدد و بناءه وكان بالعلوم والفنون  
وقد تبحر بافقه وللاندلس من هذه النهضة بسبب وافر حيث  
كانت مطمحاً لا يطار الشعراء والعمماء وقبله أهل الادب وغيرهم  
من لوجوه ورجال الفضل من كل صوب وحذب (١)

قال عبد الرحمن الناصر يخاطب ابنه لحكمكم . وكلمة طال  
همدي قصر زمانك يا بني ، وقد طال حقيقة عهد عبد الرحمن  
وكان ذلك لمح الاسلام وعظمته لانه من احسن لازمنة التي  
عادت على الامة الاسلامية بالخير والنعيم ، بل أقول بأنه كان  
بلامرء العصر الذهبي للاسلام المتفوح تاريجها بأكليل السعد  
والفخار

حسبك حسنة من حسنات عبد الرحمن جامع قرطبة  
الشهير والقصر المعروف ببنت الزهراء (٢) ذلك العصر لمشيده  
على مقربة من قرطبة في أجمال بقعة من تقاع الاندلس  
لقد عجز المؤرخون عن وصف هذا القصر ، وأوقع قلوب

(١) دوري (٢) تاريخ الاندلس لصياح

ذئبه من أمر يعرف في الدهشة والاعجاب ، لانه كان حل من  
أن يوصف وأندع من أن يصور كان ممنوعاً بصروب الصماء  
وصنوف البهرجة وأنواع الزينة من الدخول والخارج بحيث لا تقع  
العين لا على آية من آيات الفن أو منظر من المناظر الزينة  
الجديرة بالاجلال والتقدير

كان ما يراه الانسان حرج القصر لا يمس بما تقع العين  
داخله ، فقد كان الحكل رخوة من زخارفها حله حدادة خاصة  
بها ، ولا جمال فهو من تلك العصور التي لا نسمع عن نظائره  
الا في قصص الخان وأساطير الاولين

كانت الحديقة المحيطة بالقصر من أحمل البساتين البهجة  
غاية الجمال في التسيق والترتيب ، تربتها أسهة زمردية خضراء  
وأشجار ناضرة شائعة ألونها في الغضاء وحواض رحامية تحيط  
بها صنوف شتى من الورد والأزاهير

وقد كان في القصر مائتان والتم عمود من رخسار لرسام وقاعة  
استقباله مزينة بالذهب مطرزة بالؤلؤ والابواب من خشب  
الأرز موشة نقشاً ببحر الأساب والعمد عاية في الاتقان والاحكام  
كأنها افرعت في قوالب وكان بها برك عظيمة يجرى منها الماء  
الصافي الى ابدان تماثيل غريبة الشكل والصنمة تكاد احميلة تعجز  
عن تصورها

قال ( المقرئ ) نصف أحد مجالس هذا القصر :

« سقفه من الذهب والرخام الملبط الصافي لونه ، المتوتنة  
أجناسه وكانت حيطان هذا المجلس مثل ذلك ، وجملت في وسطه  
اليتيمة التي أهدها ( لاون ) ملك القسطنطينية الى الناصر ،  
وكانت قراميد هذا القصر من الذهب والمضة وفي وسطه صهريج  
مملوء بالزئبق وكان في كل جانب من هذا المجلس ثمانية أبواب  
قد انعقدت على حنايا من الملح والابنوس المرصع بالذهب  
وأصناف الجواهر قامت على سوار من الرخام الملون ذي البللور  
الصافي وكانت الشمس تدخل تلك الابواب فيضرب شعاعها في  
صدر المجلس وحيطانه ، فيصير من ذلك نور يأخذ  
بالأبصار ، ( ١ )

كل زينات هذا القصر كانت بديعة موقنة وكل النقوش التي  
تزيينه دقيقة ومحكمة أما الحوائط فقد كانت لوحات فنية نفيسة  
والاعمدة شفافة رقيقة ذات قوام حاذب وجماع هذه النفائس  
كان ينبعث منها نور وجلال يتضاءل أمامها أبهة قصر الخلدین  
الذي بناه الرشيد في بغداد

قصر الزهراء تاح أعمال عبد الرحمن الناصر ، شيده لتخليد  
اسم زوجته المحبوبة فزاد بذلك من شأن قرطبة وأهميتها وكان

( ١ ) تفتح الطيب للمقرئ

سبباً في افقت اقطار المعاص والأدباء اليه واكتسبه بحجة الشعب  
ونواله حمد أهل المشرق واستحسان أهل العرب هذا الى تخليد  
اسمه في طيات التاريخ بطريقه لا يمكن محوها الى أبد الآبدين  
ولقد توفي سنة ثلثة وخمسين هجرية وهو في الثانية

والسبعين من عمره بعد أن سارح حسين حجة في حكم بلاده  
كانت قرطبة عند وفاته تحتوى على ١٣ الف مسكن وثلاثة  
آلاف حماما وحسين مستشفى وثمانئة مدرسة وتسعة حماما  
وسمائة خاناً، بينما كانت المكتبة الموكية تضم بين جدرانها كتباً  
يتراوح عددها بين ٥٠٠ الف و ٧ الف مجلد (١) إلا انه ترك  
ما هو أبلغ من ذلك وأعظم ثأ فقد ترك بين أوراقه المخصوصية  
جملة حكمية ضرت بها الامثال وسات بذكرها الركبان، هي  
قوله : « أحصيت أيام حياتي الى عشتها في صمعو وهناء لانظلمها  
سحب الاكدار فاذا هي أربعة عشر يوماً فقط »

ملك عظيم دانت له الرقاب ونوفرت له اسباب العز والجاه  
عاش مجلاً، معزاً، ترمقه الميون بالهانة ونحفه الاقطار بالجلال  
ولم يتمتع من أيام حياته الطويلة الا بحزء صغير أربعة عشر  
يوماً فقط .. فأنبلغ هذه الحكمة السامة التي تتضاءل أمامها

جلال المعاني

(١) المقرئ

## الفصل الثاني

مات عند الرحمن وعموه طوى نسا ذلك الزمن الزاهر  
 وفتح الاندلس ثواب عهد جديد هي أيام الحكم المستنصر بالله  
 كان الحكم قبل نقله منصب الخلافة طالما وقورا محبوبا  
 من الشعب . وفي مصاف أكار الأشراف في عهده (١) ، د درة  
 تدبر الملك وقبور السياسة ، حاص عمر الحرب نفسه وشارك  
 في درة دوة الأحكام على عهد أبيه ودمت قاتل هل الاندلس  
 حروباته وهو في المنة . الأرمي من عمره نفاهر لارتياح  
 والسرور ، اد كان حمر حمت طهر سيف

كان رحمه لله من حمة يوم ونهار منون ، عتد  
 الكتاب من أحسن النظم وبسببه لا عتكاف في مكتبته الخاوية  
 لتعائس الآثار الساعات الطوال يقطع وفات مرعه من العمل  
 بالدرس والمطالعة وكان لاشهر والوسيقى في هذه منزله لا تقل عن منزلة  
 الكتب . وبالأجمال كان موسيقى الجميع . مفر ما بكل مرمموى  
 نفيس ونجليه نعمة المود و ماى ويستوى ليه اصوت اموسيقى  
 الرنان . سمع ذات وم وهو بروض المسمى في حدائق بيت الزهراء  
 تلك الحدائق الوارفة الظلال المزينة بالورد والازهار ، صوتاً



جميلاً بعد الى أعرق قلبه وملك كل حارحة من حوارح نفسه،  
فبحث عن مصدره وغم أنه صوت فذة حذابة ملامع حمراء  
صورها بصداع حسن صونها (١) تلك الفسة هي صبيحة التي  
ملكنت على الحليفة حواسه وجعته يتطرف معها الى حد ضنون  
في الغيب هجرأمكنته ناسياً كل شيء في العلم حتى كسه وقد  
كانت أحب لاشيء بده.

كثيراً ما صادف لاسدس في حياته وحوها جميلة أترك  
حاذينها أنراً في لمس لا يمكن نسيه الى الأبد وصبيحة كانت  
أحدى هذه الحوارق ذات جمال ساحر ونس حذابة وروح  
حنوة ذات لطافة ورقة ففتت حليلة نعمة روحها وجميل صورها  
فقدت سرانها صمكة لا تميل لهُوى

كانت الفتاة على شيء من الأدب ، ذب العر والنفس وكانت  
تسامر الحليفة بأحاديثها الحنوة ومكاهمها الممدية فلا يطيق معارقتها  
طول يومه ، أما اليلالي فكانا يقضيان في حداثق الزهراء الحبيبة  
تحت ظلال أشجارها المطرة حملاً لحنب وهي تسكب في عسه  
كؤوساً من صوت الرحيم لتزبد سكرأ وهياما

كان لصبيحة حمم شفاف ذات طراوة تحكي نداوة العجر  
ولذا كان الحليفة يدعوهم على الدوام باسم (صبيح) فهل أراد بهذا

النداء لمصفر محبوب، ذكرى تلك السهرات المسكرة والافات  
الذيذة ؟ أم انه أراد بذلك أن يعيد الى ذاكرته أحلام العجر  
المشوبة بحمرة الشفق ؟ لا أدري . وانما يحيل الى أنه اذا ذكر  
اسم صبيحة لأى انسان غثالث له صورة متوردة وتجسست في  
تخيلته مناظر تلك الحدائق المطرة ، حدائق الزهراء فتجيا في  
ذهنه صورة الاندلس بخواطرها المدة وذكرها للديدة بكل  
ما فيها من لطف وظرف

أراد الله أن يتم نعمته على صبيحة فرزقت من الخليفة علاما  
كان موضع سروره وفرحه، كأنما ملك به الدنيا بأسرها ، ومبعثا  
لسمادة الوالدة حيث كانت هذه الحادثة سببا في عقد نكاح الخليفة  
عليها ، وقد شارك الشعب في أفراح الخليفة وعدها العام ، عام  
٢٥٢ من الهجرة النبوية ، أحسن الاعوام في تاريخ الاندلس  
فتنهت الشعراء على مدح المولود وتحميد ذكراه وهرع الكبار  
والاعيان لتهنئة مليكهم والقيام بفروض التبريت ، حتى أن وزير  
الحكم خاطب الخليفة بقوله : « ان هذا المولود الشريف ، سليل  
ملوك بني أمية يستطع علينا بنوره منذ الآن فلماذا لا تشرق علينا  
كذلك الاميرة صبيحة التي منها هذه الشمس المنيرة » (١) ومنذ  
ذلك اليوم توطد مركز صبيحة وعرف أهل العصر قدرها فأحبوها

## المقام اللائق بها

وبعد عامين أى في سنة ثمانمائة واربعة وخمسين هجرية  
انقسم لها الدهر مرة ثاية فوسدت للخليفة علماً آخر سمي هشام  
فقطعت منزلتها في نفس الحكم ورداد حبه لها الى حمد سعيد  
ابدى لأن مولوده الجديد ضمن له حصر الملك في أولاده  
وقراربه

كان الحكم بعد نفسه اذ ذاك أسعد مخلوقات الارض له  
زوجة محبوبة هي صبيحة ، وله من زينة الحياة الدنيا كل ما انصو  
اليه العوس . مال وشون فلم يبق شيء بعد ذلك يرغب فيه ،  
فكان يخصص ممداراً من وقته لادارة أمور المملكة والحزب  
الاكبر من أوقائه كان مصروفاً الى مشغولياته محبوبة لنفسه  
وهي المطالعة واقتناء ما يس الكتيب . وذلك أخذت مكنته  
تزداد قدراً (١)

كان الخليفة عبد الرحمن ملكا حليلا المدروسا كما مقطوع  
القرب . أما ابنه الحكم فكان عالما بجمل العلم ويحترم أهل الفضل  
ولا يحجم في سبيل نصرة العلم والادب عن تضحية أمور دولته  
فانتهزت صبيحة هذه المروعة واخذت تشارك زوجها في ادارة  
الحكومة ولم يمس على ذلك رمن كبير حتى كانت تشغل مركزاً

(١) ابن خلدون

ساميا في ميدي نسيهه ، الادرة ونمكت من صم دكاها  
انظري ودرم ، على ممارسة الاحكام بشكل ادش رجال  
لنوه وكان حكمه من اوثك لدين يدرون لاشياء قدوها  
ويميمون الامور درها فطس الى مزا روحته في مسائل  
الحكم والادارة وشركها في الحكم عما ووسع احتمال دائرة  
مودها وشرها

ك - صبيحة في ون مرها ص حبة الساطن طاق على  
عقل خيجه وقله نم اصحت عد ذلك مظنتها ودكاها ملك  
روحه ودرات تدرج في مرتب الكمال حتى صروت ملكة  
النافذة الكلمة في كل بلاد الاندلس



### الفصل الثالث

أحد عهد حكمه ثم راحة وسكون وظلاله ورياب الأمن والسلام لأن أمره ، امر راحة ليس بأزوه في مبدأ حكمه كما قد سموا من كثرة ما لقوه من الهزائم مكررة ولانذار راب المتوالية فلم يرو بدا من إعادة السيف الى نضبه ولاحلال الى السكينة والمسالمة وقد كان لهذه الحالة أثر كبير في صدق أسس راحة في أطراف بلاد الاسلامية . مما جعل مسلمين من أهل الاندلس يرتعون في محبوبة الامن داعين خليفته بأمره والامل لما الخليفة نفسه فقد انكب على ما كانته رايها ويريد في هذاها حتى بلغت ثمانية ماعبها من الكتب ثمانية وأربعين مجلداً مع بهذه الحالة ولما له أن يعرض في لحج من العلوم لاجل لها ، ناسياً كل شأن من شئون الحياة للاهم الامهالة جماعات العلماء وعلمين اليه من سائر أطراف الممالك الاسلامية لاسيما من بغداد ودمشق والقاهرة . فزادت بذلك شهرة قرصية وأحدث جامعاتها تنافس الارهر ومدرسة النظامية في أهميتهما العلمية

يقولون ان العلم ليس له جنس ولا يعت الى وطن أو دين بأصرة قراءة أو نسب . ولما كان الخليفة تشجع كل عالم ويأخذ بيده من أي جنس كان . لا فرق لديه بين مسلم أو نصراني ، وكثيراً

ما حدث يده بالمعطايا والهبات لكتاب قيم او مجلد نفيس اما  
الكتب النادرة التي لا يرى سبيلا الى مشتراها فكان يأمر بنسخها  
واخذ صورها وهذه الوسيلة اصبحت مكتبة قرطبة شعلة نور  
يستضيء العالم بأنوارها

في ابامه وصلت الآداب المربية الى ذروة عزها وسامق  
معدنها كما نضحت علوم كالفلسفة والبلاغة والشعر ، وكما تعددت  
الطرائق وسبل التمسك في علمي الجغرافيا والتاريخ وفي الرصد  
والكيمياء . اما دروس الفقه والتشريع فكانا يدرسان بشرح  
وطويل وسهرح الطلبة الى ورود مناهلها ناشقيا كبير من كل  
حذب وصوب فقد كان عدد الطلبة الذين أموا حلقات دروس  
الفقه في ذلك المعهد يتجاوز عدة آلاف احل ان جامع قرطبة  
هو مهبط النور والهدى فيه كان نمط او تكرين معاوية لنبلاء  
قلوب الموحدين بأنوار الدين الاسلامي بينما كان اس رشد وابن  
سيما والسمودي واحمد بن سعيد الحماني وغيرهم من اقطاب  
الحكمة واولياء الحق يزينون عهد الحكم ومن واه من  
العلماء بنار قرائنهم وأنوار معارفهم .

في هذا المعهد الزهر ، الساطع بأشعة الحكمة ، كنت ترى  
طالباً منكباً على دروس الجامعة بكلية ، يميل اليه الطلبة ويخدمه  
الاساندة كان هذا الطالب شاباً ذكي الفؤاد جميل الصورة ، اذا

صادف وجوده وسط جماعة من الناس أصبح هـ دفعا لانظارهم .  
واذا امر على قوم حذب اليه التعانهم . كشت نرى في عينيه بريقا  
من صبور الآمال وفي حاله وطوره وكلامه حالة خاصة به . كانت  
تظهر عليه امارات عظمة تترك الباطر اليه في دهشة وحيرة ،  
فكل من رأى هذا الشاب يحكم لاول وهلة وبدون ان يعرف  
اصله بأنه احد أولئك الذين سبرتقع شأنهم في بلاد الاندلس  
ويحرزون مقاماً سامياً في مناصبها العالية  
هذا الشاب هو محمد بن ابي عامر ، نثر الاسلام والشرق  
الذي أصبح بعد حين وزير الاندلس الملقب بالمنصور

## الفصل الرابع

محمد بن عبد الله بن أبي عامر بن المولد، ينسب إلى قبيلة  
بني معاذ الشهيرة (١) واسلافه من مشاهير الأبطال ذوي الذكر  
المعاصر في تاريخ الفتح الإسلامي.

كان شاعراً بطلاً ذكياً العواد، جميع الصورة تلوح عليه  
امرات العزم والاقدام (٢) ويرى منتفراً في أسرار وجهه  
رجلاً لا يعرف لليأس معنى، لا يهرم على أمر حتى يصي فيه غير  
هيب ولا وجل. أهم دروس الخاتمة ثم احترف بعدها مهنة  
الكفاية وتخذ لنفسه حياً صغيراً أمام القصر السلطاني لكتابة  
العرائض وتعميق المطامير وتعمير الشكاوى وقد كان له بين نفوس  
خدمة القصر مرددين عليه مكانة رفيعة واشتهر بينهم وبه ذكره  
عندهم حتى كنت ترى حذوته على صغر حجمه عاصياً بهم. إلا أن  
نفسه كانت تطمح إلى ما فوق ذلك، كان يفتش عن سمادته في  
ركن واحد من أركان الأمل، جعله نصب عينيه ليلة ونهاره،  
فقد كان يسعى جهده إلى الالتحاق بأحدى الوصائف في القصر.  
جلس ذات يوم في حايته يتحدث أصدقائه ومعارفه كالمعتاد  
هذاه وقد عاصى في ليل من الأفكار وطار محلقاً في سماء الآمال



ثم انقضى حجة لعمسه بعد حين وخاضعهم قائلا  
 «سأكون يوما ماحدا هذه يدونه فأبسر دلى كل منكم معه  
 وأما يه والوصائف لى تصبو اليها ممد الآن فأبى محقق مطايبكم  
 عند نول بعينى ان شاء الله » فتضاحك رفقته وأحدوا يد كرون  
 له - على سبيل مباحرة - الوصائف التى تطمح اليها انفسهم  
 بعد هذه الحادثة نزم من قصير طلب ابن أبى عامر الى قصر  
 الخليفة كأمنا الاقدار أرادت مداعبته، وكان الحكم داعيا فى انتخاب  
 كاتب برع لزوجته صبيحة فطلبوا بضمة أشخاص ممن نوسموا  
 فيهم القدرة على هذا العمل ليكونوا على أهبة الاستعداد لمائلة  
 الخليفة لهذا الغرض وبينهم ابن أبى عامر، الصديق المعروف من  
 خدم القصر وحاشيته .

ولقد كانت أحوبته بين يدي الخليفة من أحكم الاحوة  
 وأدناها على الفهم والروية فمال قصص السبق وطار على المتقدمين  
 معه الى تلك الوظيفة بدرجة فائقة لغت اليه أنظار الاميرة  
 نفسها . فقد كانت له حالة خاصة به تجذب انظار المتطعم اليه  
 لاول وهلة (١) ومع ذلك فالخليفة التبس عليه الامر وتورد  
 مبدئيا فى قبول شاب جميل كهد تلك الخدمة وفى النهاية لم ير  
 بدا من أن يكمل امر الاختيار الى الاميرة نفسها صاحبة الشأن

فوقع اختيارها عليه لأنها لم تجد بين المتقدمين أليق منه  
للوصفة المطلوبة. واشتهى الأمر بموافقة الخليفة على تعيين ابن أبي  
عامر رئيساً لكتاب الأميرة.

ألا تعترف مني أيها الفاري بأن كاتب الأميرة هذا سعيد  
الحظ موفق الطالع فما قد نال أول أمنية من أمنائه العذبة التي  
طالما قضى الساعات الطوال معكر أعينها تحت ضلال حدائق قرطبة  
يسهولة ما كان يحلم بها . . .

قد حذمه حظه وورق أولى الدرجات المؤدية إلى ذلك  
القصر البديع، قصر الآمال والتصورات فكان يرى بين  
الحيات أنه سيدخل ذات يوم ذلك القصر ويمتدح نظاره برشته  
وبديع ريشه وجميل أناته بل إن لامل كان يذهب به إلى بعد  
من ذلك فقد كان يرى أنه سيمتخر بأهته وسلطانه ويكون  
صاحب الكلمة بين سكانه.

كان يحلم بتل هذه الآمال وكلما لجأ به المكر ازداد سروره  
واشتدت بهجته .

وبينما كان الخليفة الحكم المنتصر بالله منمكفاً في مكتبته  
النادرة، كانت الأميرة صبيحة تدير دفة الأمور بمهارة حاجب  
الدولة عثمان بن جعفر المصنفى (١) وكان كاتبها الخاص محمد

ابن ابي عامر يحرر او امرها ويقوم بتبليغها الى مختلف الجهات .  
كان الحكيم خليفة البلاد اسماً اما السلطان العملي فكان يسد  
صبيحة ، فزينة الابداس ورقا هيتها والظر في شئون الشعب  
واحتياحاته وتعليم أولياء العهد وثقيف اذهانهم وتربية مداركهم  
كل هذه أمور كانت تقوم بها الاميرة .

وهي التي كان من رايها حمل فرطية محطاً لرجال اهل  
العم ورجال الفضل والادب وهي التي كانت تقوم بتربية الخلفاء  
المتعددة داخل العصر وتدير الحفظ اللازمة لادب عن البلاد  
خارجاً وهي التي كانت تخطط لحاسة نلوا الحاسة بالاشراك مع  
المصحق وان ابي عامر لهذا كره والمدة والمشاركة في احوال  
البلاد وتدير الحفظ اللازمة لمساكنة شر لاعداء والتشكيل بهم .  
كانت لسان بيت الزهر ، الناطق وحياة فرطية الزهرة  
وروح لانداس انابض فانشرت اوار ذكائها في كل صوب وناحية  
وقد شتمت بين الجميع بالسكينة واصابة رضى حتى لم يبق  
انسان لم يعجب بحسن درتها وقيامها بالشئون العامة (١)

كانت لاميرة صبيحة معجبة بتقدرة من ابي عامر ، لاندري  
كيف تكافى كاتباً لشطأمنه : أما هو فكان يلازمها بحمة روحه  
وطلاقة لسانه ويظهر لها لرعمة في ستندمه ليس في الامور

(١) كتاب مشاهير النساء

الكتابية بحسب بل في كل شأن من شئونها ،

وكان إخلاصه في العمل مما يريدها إعجاباً به الى حد بعيد (٢) المدي  
اكتسب ابو عامر ثقة الجميع واستأنس به الكل حتى  
أصبح شخصاً لا يمكن لاستضاء عنه ، وفي الحقيقة كانت أهميته  
ترداد من يوم لا آخر حتى بدأ الناس يتوحدون اليه . وقد كن  
ينزل الى أحقرهم شأناً من قبل . وما كاد حاجب الخليفة جعفر  
المصفي يستشير به ويعتمد عليه في بعض أموره حتى زدد  
مكرهه رغبة بين أهل القصر الذين بدأوا يقدون عليه الآمال  
ولم يبق الأمر عند هذا الحد بل ان الخليفة نفسه لم يترك من  
الاعجاب به وقد رأى إخلاصه في العمل ودراؤه مواهبه ومراياه  
في هذه المرة ، وقد نسج له لدهر ، عهدت اليه الاميرة  
ادارة صيغها وممتلكاتها ، فأصبح مدبراً بعد أن كان كاتباً ، وبعد  
مضي زمن قصير احتاج الخليفة الى شخص أمين يعهد اليه ادارة  
الصياغ الخاصة بولي العهد ولما كان متردداً في انتخاب الشخص  
اللائق لهذه الوظيفة عرضت عليه الاميرة بعميد بن أبي عامر  
لهذا العرض ردد الخليفة بديدي بده لانه صاحب الرأي  
الاول في قبول أو رفض المرشح لهذه الوظيفة ، حيث مارا له  
يصيب في حكم البلاد ومع ذلك فقد كان يوم قبل ثلثي السن

(٢) ابن الزهاري

ان الرجل الذي يعهد اليه املاكاً انه يجب ان تتوفر فيه مرايا  
حة وان كل هذه المرايا مجموعة في شخص ان الى عامر والاهل  
هناك امرؤ أقدر منه على العمل وأشد منه خلاصاً (١)

فكان لزاماً من الخليفة أن يقبله فلا تردد ولذا انتهى الامر  
تنزوله عند رأى الاميرة واصدار الامر بتعيينه مدرّساً على تلك  
لاملاك والضبايع ، في عام ٣٥٦ من الهجرة احتشمت لابن أبي  
عامر ثلاث وصائف مونة لاميرة وحماتها حملته يظاً بدرجة الثانية  
من عرش ماله وأما به وهو في السادسة والعشرين من عمره

كان من أبيه مرسييد خط خوراً وطائفة الثلاثة يصرف  
في سبيل القيام ، عبثاً كل ماله من وقت وجهه ، كان أفق  
مستقبل يبدو باطرد مبراً مشرفاً وحلامه زاهية واهرة ،  
اصمات ولم يفاق من مستقبل ، ما كان شعراً من خط سيواليه  
نعم أكثر ما دام ينسج على هد منوان ، والافن بسكر رقيه  
اسرع في زمن قصير أنه يتعد سلطة وسعة لا تحصر على بل هو  
في مثل هذه السن ، في عامه السادس والعشرين وهل لم يكتسب  
مة مصحفي وصدفته لم يكن أهل القصر عافيه الاميرات  
محبون نظاره ورفعة شمله وهو في هذا ، تكن الاميرة مصفا  
ظهور له مصفا وميلاً شديداً ونبتاً في وسماً رعابته وحنانه

أجل كانت تفعل كل ذلك لدرجة اضطرت له إلى طرق أبواب حـ  
وليس ثياب المدامنة لانه كان مضطراً في حالته تلك إلى ملاصـ  
أهل القصر ومرافقتهم جميعاً فكان يسمى لهذا ويلطف ذلك ويصطـ  
على تلك مرعاة للجميع حرصاً على انقاء الطواهر على حالتها وهـ  
حاله كسبته رضى الجميع وجماعته يحبوها منهم يتقبون هداياه بسرـ  
وانتاج وكان خلية يقول لاحد مقريه « ان كاتب صبيحة  
هذا رجل غريب الاطوار ، قد سئال اليه جميع من في القصر  
وانى لأرى بعينى رأى كيف يحلون هداياه انتاعمة ويغضونها  
على أنهن هدية تقدم مى اليهم فليست أدري هل أعده من  
المخلصين اليها أم تعتبره سحراً محتملاً ، ومع ذلك فان أنا صدر  
استمر يتقدم حتى أصبح بمساعى الاميرة طاراً لحريضة لدولة ثم  
عين بعدها المدير ، طاق لإدارة ( صك النقود ) وبذلك أصبح  
مصاف كبار الموظفين فى لاندلس وكانت لاميرة تباركه فى  
سرهما ونهم وفيه السريع ، ولم كانت شاكراً بحسن الصدقات  
وضعت فى طريقها مثل هدايا الكاتب الحائز لمزىا عديده ، فلشـ  
ما اتعمت بمواهبه وكثر ما اهتم هو بكل شأن من شؤون  
فهو اليه الشخص الوحيد الذى لا يمكن الاستغناء عنه أو التـ  
الى غيره انه ليعلم ذب المعاشرة أكثر من المترين من حـ  
العصور ، ظريف لبق . تطربه النعمة الحوة ، ذو دماغ بالموسيقى

ودر على مراوثة أى عمل يكلف به . أضف الى ذلك علمه بحالة  
الاميرة الروحية وادراكه للأشياء الى تبجحها ونفع من نفسها  
موقع ارضى والمعبول . فله دره من شخص رقيق الحس عالى  
الفكر ۱۱

كل هذه صفات كانت الاميرة تفكر فيها وتراجع نفسها عما  
كانت متمنية في تقديرها . كلا كلا ان انا عامر ليستحق منها  
هذا التقدير . . . . هنا يتساءل لدرى هل كان ذلك مجرد  
مدير حسب . . . انها تميل ليه دون ان يعرف حتى لنفسها بهذا  
لميل ؟ حوا على ذلك بقول انها كانت تحبه ( ١ ) تحبه لدرجة انها  
صبحت نجد لذة سائمة في سطاء الاوامر ايه وبكيفية كتابية  
تعتبر ارات المهمة وعبر المهمة الى غير ذلك من الاسباب والمعاذر  
لؤدية الى مقاسه والاحتكاك به . . . . ولكن هل كان هو  
شعر نحوها بمثل هذا لميل ؟ ألم تكن في ريد شبابها وعرجها  
تصوت رخيم وملاحة جادة ؟ ليست هي الاميرة صبيحة  
ملكه مرطبة محبوبة . هل يمكن ألا تحب نعم . انا عامر  
ان يطعمها لدرجة العبادة لا لجمالها أو محاسن نفسها بل لوجاهتها  
بقو ذها . وكانت هي لا تميز فيه هذه الحالة لانها أحبته من عمق  
نفسها حباً درياً تغلب على كل ما لديها من ارادة وعقلية . كانت

نحية بحية عبر محدودة ، كحب شجرة الدر لعمر الدين بن يملك  
 كاتهم ، صبيحة وشجرة الدر وقفتا بن اراثن بحية قاسية .  
 قومت ركان شحصينهما المنصورة وبركتهما تمايلان من راسه  
 وآدم لهران ، كاتهم بذات ماى وسميهما الارصاد حبيبيهم .  
 الى حد ان اسقط ما لهما من كرامة وهوى هما من سماء الرقة  
 والمرالى حضيض لدل لمتزجا بالشخصين العزيزين ليهما فنكل  
 رعة لهما أو كل أمل كن مقيداً بهواهما كاتهما كاتاً شمساً تتألق في  
 سماء دولتها - تحيط بها نجوم وسيارات ثم انعكست الآلة به  
 أن تجر عتاكأس الحب فتبدل الحال بنير الحال وانحطتا الى درك  
 السيارات بعد أن كانت في دائرة الشمس والافار . وارتفع تبه  
 لذلك شأن حبيبيهما ، محمد بن أبي عامر ، عز الدين بن أبيك  
 حتى أصبح كل منهما الشمس الساطعة في دولته أجل استفاد كل  
 منهما من حالة حبيسته الروحية وحملها ساعداً لاغراضه ومراميه  
 وتم لهما ما أراد نعمة مؤنة نكتشفها الدموع وتحيط بها الالام  
 نولى أبو عامر منصبه الجديد وظهر امتنانه وشكره  
 لاميرته وولية نعمته هدية ذات قيمة سارت بذكرها الركبان  
 كانت هديته نموذجاً صعباً لا حيدى وصور الاندلس الجنيه  
 مصنوعاً من الفضة ومنقوشاً بغاية الدقة والاحكام وقد كان يوم  
 نهالها من يته الى القصر الملكي يوماً مشهوداً اجتمعت فيه آلاف



الجاهل لمشاهدة هذه التحفة القيمة (١) وقد سرت الاميرة  
من هذه الهدية القيمة الى كاست أما عامر مبالغ طائلة وكان لها  
أثر بليغ في نفسها . من ذلك حين بدأ يقدم لها الهدية تو الهدية  
مراعياً في ذلك أن تكون هديته الثابتة آثمن وأرفع قدراً من  
الاولى . كل هذه أمور زادت سرور الاميرة وضاعت من شكرها  
وامتنانها له لأن تكرار هذه الهدايا على وجه من الاسراف  
لا يطابق حالة أبي عامر ، هك أسنة الجهور من عقاب السكون  
وأخذوا ينسألون ويتهمسون في جميع عن مصدر تلك الاموال  
الباهظة التي أعتقت في سبيل عمالة لاميرة ، فكانوا يقولون في  
أنفسهم - ان هي الامن مال لامة ومتوفرت بيت المال والامن  
أين له كل هذه الاموال ، وقد تسمت دائرة تلك الاشاعات  
وتماوحت حتى اتصلت بمسامع الخليفة نفسه فأرسل يطلب  
أما عامر الى بيت الزهراء

أرسل الخليفة يطلب الى عامر الى بيت الزهراء ليعددهم  
الحساب عن أموال حكومه المودعة تحت تصرفه  
هذه صدمة لم تكن في الحسبان ارتعدت لها فرائص أبي عامر  
لأن الخزان كان بها مخزونها لا يعوضه الا مال وفير فمكر في  
الامر وقدح زءد المكر فلم يجد أمامه سوى الالتجاء الى صديقه

المزبذ ابن خضير وقد التجأ اليه وطلب منه بد المعونة فكان عند حسن منه به لان ابن خضير أعانه على امره وقرضه المال الناقص وبدا أم ابو عامر شؤونه وكمل حسابه وجمع تحوييت الزهراء آمننا مطمئنا وهناك أمدام مولاه قدم حسابا دقيقا برهن به على امانته وصهر اخلاصه وقطع السنة بمخرصين والمدة كانت دماره مرتبة مدسقة وحزن ابن اسوله ملائ بالاموال ودر الضرب تنويع بسبائك لذهب والفضة تفحل الخليفة من نفسه ولم يسمه لا تقدم عبرت الشكر والاعجاب بنظر ماله القدير ودفعاً لثمة وسوء الظن عهد اليه بوظيفة جديدة هي وظيفة التفتيش العام

وفي اليوم الثاني لهذه الحادثة أعاد ابو عامر ما اقترضه الى صديقه الحميم وكان عمله هذا معجزة ألحمت السنة اعدائه وأوقفهم في مهاوى الدهشة والحيرة ان حسن الطالع مازال يناصره ويشد زرره وينجده اكثر من ذي قبل فها هو قد أصهر اخلاصه لخليفته وخرج من تهمته قى اليد طالى لرأس وارادات مكانته في نفس الاميرة وعالت كفته في طول البلاد وعرضها حتى أصبح أوسع رجال لدوله نفوذاً وأعلام كلمة ان انتصاره على اعدائه بتلك الكيفية زاد من محابة الأميرة له فتمكنت من تقريبه الى الخليفة أكثر من ذي

قبل وأخذت تنتشر بحرية بين الناس حبراً ولا ترى ناساً  
من المضي معه في تيار الهوى فصار ما بينهم حديث القوم  
في سمرهم وبجاس أسهم ولهم (١) حتى أصبح يحشى  
من وصول ذلك إلى مسامع الخليفة ولذلك ارتأى المصحفي بعد  
موافقة الاميرة أن يذهب أبو عامر إلى الشيبية (٢) حكاهم  
مطابق فيه ذلك في شهر ذي الحجة سنة ثلاثمائة وثمان  
وخمسين هجرية وبعد أن أقام بها مدة عبر إلى مراكش عن  
طريق جبل طارق

فرح أعداؤه بهذا الاعد واحتلقوا عليه الكاذب شتى  
كادت أن تحو ماله من شهرة وبعد صيت لا أن صبيحة  
كانت ترمقه بعمى رعايتها ونظائره بجراح حبايتها وهو بعيد  
عنها فقد كانت تدبغ سرّاً أن الخليفة أرسله لمر كرش لمراقبة  
دخار بيت المال وكشف احوال الفوائد الأكبر غالب كان  
المصحفي بمحمد علي غالب ولذا غلبت أهمية أبي عامر لعلمه  
بأن هذا الامر يضايقه ويحرج مركزه لا أن غالباً كان قائداً  
جسوراً مقتدرًا ومكاد يجمع بأبي عامر حتى تفاهما وتما وقد  
ذكره أبو عامر بخير واثني عليه في حصرة الخليفة وبين ماله

(١) الامهري

(٢) المقرئ

من آثار في مع انور وتسكين الاضطرابات في روع  
مراكش سبب رجوعه مكرماً محرمًا الى قرطبة دعم  
اعتراض الصحفي وإصراره في ذلك

ظهرت لأني عامر في هذه رحلة خدمات جليلة دست  
على احلاصه لأمنه وحبيبته من حوس مواصيه الذين عرفوا  
به فضل هذه الخدمات والمساعى وقد حل براسل الاميرة  
صول غيباه في مراكش وتخلد ذكره في عسها بالهدايا النفيسة  
(١) والذكريات لمعنوه الجميلة مما حملها نضن في أنها تشغل  
مكنا سامياً من محبته، فم تعلق صبراً على نداده وكان أهل  
القصر يواصلون معهم ويكررون منبهم في عودة محوهم  
الظريف وحدث ذلك أن ولي عهد السلطنة توفي وخلفه  
هشام في ولانه العهد واحتاج الامر الى من يدبر حركة  
صياحه ويدبر شؤون أمواله فأشارت الأميرة باستدعاء أنى  
عامر لالقاء ادارتها الى عهده وفي سنة ثلاثمائة وتسع  
وحسين هجرة عاد أنوعامر الى قرطبة بعد ان لاحت  
الالسة بأفول شمس وسهوط شأنه ودخلها صبراً شامخ  
لرأس، حيث عهد اليه بادرة صبيح ولي العهد وتولى ادارة  
الشرطة والدرك .

## الفصل الخامس

في العم خامس واستين مد الثلاثين مرض الخليفة الحكم واشتدت عليه وطأة المرض حتى أرم فراشه ، ولم أيقن من نفسه انه في مرض الموت وأنه أصبح من أسية على باب غوسين أو ادنى اضطرب ببله وإرداد فبقه لأمرو و حد هو أمر انه هشام البالغ من العمر ذلك الحدى عشر عاما وكانت العادة لمتبعة الي عهده في امر الخلافة هو انتم لها بالارث من الارشد الي الارشد غير ان الحكمه كان لا يطيق ان يرى احاء المعرة متقلدا زمامها يوما ، أصف الي ذلك ان كاهنأ تدياً له بأن الخلافة قد ينزل ركنها في بني أمية وتتقوض دعائمها ان لم تنقلها اولاد من صلبه وهذه النبوءة حملته بعتقده أنه من اكبر الواحبات عليه نحو أمته اقناعها بمبول خلافة به هشام من بعده

وحدث زوجته صبيحة ناصره في هذا الامر وعضده فيما ذهب اليه من وجوب حصر الملك في ذريته من بعده قال فكرة تنحية هشام عن منصب الخلافة هيبت عواطفها واثرت ما في نفسها من كوامن الذكاء والمطية فقدحت رناد الفكر أملا في الوصوب الي حل مرضي وكانت كلما أمعنت في البحث هالها الامر وأصاها لحبيب الفكر كانت تقول في نفسها . كيف نكون النتيجة اذا

لم يرض الشعب بخلافة هشام وكيف تكون العاقبة دا تارت  
ثائرة الاندلسيين ألا ينتهز أمراء الفرنجة هذه الفرصة لسوق  
حيوشهم على قرطبة وكيف تكون حالتها هي اذا لم يصح انها  
الخليفة ، لا تكون في هذه الحنة كية مهمة مقصياً عليها  
بالاقتراض والتلاشي ١

كانت قد بنيت من شماء زوجها ، وبقيت ، ان كل يوم يفتى  
بديبه من حافة القمر ، وقد شمرت بوجوب لاسراع في التدبير  
واعمال الرأي لايجاد طريقة نحو هذه العقدة وما ذات تفكر وتقلب  
الرأي على وجوهه حتى توصت خيراً الى رضى صائب ، وحث  
به الى الخليفة فاسارع الى سمعده في الحال . وفي عرة حدى الاولى  
من سنة ثلاثمائة وخمس وستين هجرية لعهد مجلس كبير (١) ضم  
كل مدني لاندلس من الاشراف والاعيان وصحاب الكرامة العتيا  
وذوى الحيتات حيث قرأ الخليفة عليهم اقراراً بقبولهم بولي  
هشام للخلافة من هذه للتوقيع عليه ممن حضر ذلك المجلس .  
لم يحرم الخليفة على توقيع الاقرار ولم يستعمل نفوذه أو  
تأثيره لصعظ على ريتهم في قبول التوقيع ، غير أنهم لم يحدوا  
من الليقة عصيان أمر رؤسهم وخليفهم المحبوب فوقعوه عن  
وصائس وطيب خاطر . وفي تلك الجلسة أمر رئيس الكتاب

(١) ابن الرهاري

وكان من ممالك الاميرة تدسح هذا الافرار وأحد جملة صور  
منه لتوزيعها في جهات مختلفة من الاندلس للتوقيع عليها من  
وجوه البلاد واصحاب الشأن فيها تحت اشراف ابن أبي عامر  
مأمور الضبط ورئيس شرطة البلاد . وقد ارسلت نسخ متعددة  
الى جهات اخرى غير بلاد الاندلس ، مثل مراکش واوريقيا  
فكنت ترى عامة الشعب يتساقفون الى توقيعها مع الحكماء  
والاعيان حسا في اطهار احلاصهم وولائهم لخليفتهم

سر الخليفة من نجاح المشروع وقدر عمل زوجته هدا حق  
قدره . أما هي وقد رأت انحلال قواه ودنوه من الموت فقد  
بدلت ما في نفسها ليكون ابن أبي عامر يعمش العام للقصر  
السلطاني ووصلت الى ما يريد كما كان منظر (١)

الآن وقد تم توقيع الافرار ودينى بذكر هشام في خطب  
الجمعة بدم اسم الخليفة اطمأن كل من الحكم وصبيحة الا ان  
الظروف كانت لاتزال خطيرة ، فان لعمري أعوانا ومريدين على  
أهية الاستعداد عند ظهور أي حركة تنفي بسوء التدبير أضف  
الى ذلك ان أمراء الفرنجة المقيمين في شمال الاندلس كانوا على ساق  
وقدم لتميشة الجيوش واعداد الرجال ، يربصون بسوح العرص  
وقد سمعوا عرص الخليفة

---

(١) المعري وابن الاثير

أحدث وصاة هذه للاحوال تردد شدة ورد نيماً لها فلقى  
الاميرة فها كانت نظراً الى المستقبل ، الى يوم وفاة الحكم فثرى  
أفق سياسة مليداً ، اليوم ، فبدت بتدبير والتجهر استعداداً  
للطوارئ ، بكل ما فيها من قوة وعزم عبر أنها كانت رغم كل وقاية  
واحتياط لا تدري كيف يكون خروجه من تلك مشاكل . فهاك  
لمرة . أحول الخليفة هل يحب مباراته أو لا ثم لاحذر بحاجه امرام  
المرحمة والاهتمام فها قد يحدث من المواقف على الافراد طهرراً  
والمتبردين على الحنة ، صاعاً كل هذه أمور حاضرة تستحق النظر  
والاهتمام ، لا تدري أية طريقة نفع لتخلص من خصم هذه المشاكل  
ودافعت انظر ، وهو مصحفي وبتعداد لراى من ثنى عامر تريب  
الحفظ اللازمة ، ودت وصاة مرض قد اشتدت على الخليفة ولم  
يبق بسها مل فى شهرته يوم كاد يصاع شمس ايوم الثالث من شهر  
صفر سنة ثلثمائة وست وستين هجرية حتى فاصت روحه الى بارئها  
مات الحكم وقد حكم ستة عشر عاماً كاملاً امان وسلام ،  
نالاً من العمر ربعا وستين عاماً ، محبوا من الشعب ميكية عليه  
من افاربه وأهله مصله ومكانته بينهم ، بركة دولته وهشمة وديعه  
فى يادى روحته عيونة صديحة وحاجه لامين مصحفي وكان به  
الشط محمد بن نى عامر مات مطمئن البال . مرتاح الصمير  
لوفوة من حسن سيرتهم وجميل تدبيرهم واعلم انه ترك وديعته



لاشعاص الكفاء لا تنمصر عيهم خطة و حدة عن حفظها و ودهتها  
من كوارث الدهر و نوازل الزمن

في اللحظة التي توفي فيها الخليفة لم يعلم و وده سوى صبيحة  
و مصحفي و ابن أبي عامر و ممنوكان بسميان جوهر و واني اما اهل  
القصر عدى هؤلاء فكانوا يمتقدون بأنه ما رل في وراش  
امر ص لار صبيحة بدلت ما في وسمها لكنهم النخر و لمبت دورها  
بكل انة ن الى ان وسمها انهم الحايص لدولة من احلال كبير  
يهدد البلاد اهتمت اولاً بتموكن و بدوت مهمها امر كنهم  
الخبر عن الشعب و عن اهل القصر اما مصحفي و ابن أبي عامر  
فكانت و نمة من صداقتهم مطمئنة لاخلاصهما هب في هذه اللحظة  
ظهرت صبيحة بكل ما فيها من بوع و دهم، حيث كان مستقبل  
الاندلس في يدها و أقل اهل او خلاف يكفي لانتاج خطر  
الواقب و وقع بيت الزهراء في يد القبرة و فرطه حكم  
الحرب المخالف. ثم تقع الاندلس جميعاً بيدك و رسة في يد  
الاعداء عبر أن حسن اخط خدمها و مكها من اعم دورها و كان  
خلد لها شهرة دئمة في صفحات التاريخ احل اس طاهدت و كانت  
ولكنها انتصرت و وفتت تحليص الترح و العرش لاسم هشام  
و بذاعكمت من الاحتمط بمكانها و و قابه شوكتهم و بعدوها بمدن  
كانت من السقوط قاب قوسين او دى

## الفصل السادس

كان مملوكا ، فائق وحوهر ، من الجنس السلافي ، بحكم  
على الف مملوك آخر في القصر ومتصفا بالظلم والعذر والعمل  
لما فيه نكابة أهل الأدلس وكما يحقدن على المصحفي وهو أيضا  
يحقد عليهما ، ويؤمن بأن نعوذها سيذهب دراج لرباح منذ  
اليوم الذي يستولى فيه هشام على نزع الخلافة وعندما علمت  
الحكم خطر سلطه أمر نأمر عليه سرا وعهد النية على تنفيذه  
في الحال فاستدعى الخادم يدون عم أبي عامر وفضيا إليه وقمة  
لأمر وأعطاه نهما غير راعين في خلافة هشام وطلبا إليه  
مساعدتهما في ذلك

سقط في يد الحب وعلم أن أقل معارضة بورد حته  
في مكان فلم يبدأ من الظاهر بالانحياز إليهما وأنه راض عن  
حظهما ثم أقامهما من صالح أهل بركة في مكان كدرس  
بينما هما يذهبان لأحراج المكرة من حبر القول إلى دائرة العمل  
كان المصحف يعلم أن الأدلسيين قد لم يدوروا طمعا لحكم  
لاوصيه بعد . يصيب عليهم قبول مثل هذه السنة الآن أن  
صغر سن هشام حجة قوية في يد الخصوم لرغص خلافته ، فلا  
يعد إذن أن تروح فكرة نصيب المقيمة للعرش اضطرب

المصحفي لهذا الامر وأخذ بقلب الامر على وجوهه لينتهي وحياً  
 بالخلاص فعول على أن يستدعي أبا عامر إلى تلك البقعة سرّاً لينشور  
 معه في هذه الكارثة المفجلة ثم التحقت بهما صديحة عندما علمت  
 بوجودهما هناك وشاركتهما في التدبير والتفكير لم تكن هناك  
 الا طريقة واحدة لحل هذه المعضلة ، هو إزالة المذبرة من الطريق  
 حقاً انها الطريقة المثلى ولكن من بعدد على تعميدها انجحت  
 الانظار إلى أبي عامر لانه أقدر الثلاثة على اتيان هذا العمل .  
 اذا قبل أبو عامر تنفيذ ذلك فانه يقد صديحة من أشد لازمت  
 وأخرج المسالك في حياتها بل هناك ما هو أهم من ذلك .  
 ينتشل ولي العهد من وهدة السقوط والالام يرى ستمش لاندلس  
 من أحضان الفوضى والانحلال بها امرة ساحة نحرب بها  
 الاميرة صدقة محسوبها وريب نعمتها

أمام هذه الظروف ومرر المصحفي لم يسع أبو عامر  
 الا الاذعان فشمع عن ساعد الجند وذهب وراً إلى قصر المذبرة  
 يصحبه الممدد اللازم من الجنود الأشد ، للفصاء على حية المذبرة  
 كان المذبرة شاه في السابعة والعشرين من عمره ، لأنه  
 حبان رعديد ، مما كاد يرى وجه أبي عامر ويده على قبضة  
 السيف حتى قاب له وهرات صوته يدل على الخوف والاستسلام  
 « اننى طوع اردتكم فاقبلوا بي ما شئتم » فأخبره أبو عامر بوفاة

أخيه الحكم وتنصيب هشام بن أخيه لخلافة فاجاب : يا ابي  
أقسمت سابقاً على مبايعته طال فقه نفاذه .

حركت هذه الحلة عاطفة الشفقة في نفس أبي عامر  
وجملته بمسك عن قتله ، حتى أنه خرج الى احية من القصر  
وكتب الى المصحفي رساله يخبره فيها بعدم موافقته على الامر  
المتفق ورسالة رساله مع رسول خاص فقرأ المصحفي رسالته  
اصطرب لان جبال كان لا يتسع لاطمار مثل هذا لتألم والاشفاق  
فكتب اليه في الحلة يقول : « مث تتل هذا التردد توقفا في ورطة  
أشد مما تتحملها لأن فهل أنت عازم على خيانتنا أيضاً

وصل الكتاب الى أبي عامر مع رسول نفسه قائم نظره  
في الامر وقد حاشت عواصفه ولم يتمكن من اسكات ثورة  
الشفقة القائمة بين حو حبه الا أنه مع ذلك لم يردأ من اصدار  
الامر الى جنوده بالاجهار عليه فانفضوا عليه وكنتمو انماسه  
ثم وارو جثته في احدى روبا القصر

\*\*\*

علم المصحفي بتعميد اشروع فسر في نفسه وأبدى ارنياحه  
اما الاميرة فكان سرورها أشد وكان يروح عليها مظاهر  
الامتدرو والشكر لهذا العمل لدى كان سبباً في زيادة تعلقها به  
اذيع بعد ذلك خبر موت الاميرة وتقدم هشام منصب

الحلاقة مكان ابيه في اليوم الثاني كما كان مقرراً وبايعة الناس في حملة عظيمة - حتى فيها بلقب ( المؤيد بالله ) وهو اذ ذلك لم يتم الحادية عشرة من عمره ، وقدم كذلك المملوكان ، فائق وجوهر ، طاعتهاما للخليفة ومن ثم اختفى هشام عن العيان في احدى زوايا القصر مع مربية ابنى عهد اليه في امر نريته

ثم الامر كما اراد صديحة وكما شاء ابن ابي عامر والمصحفي وظهرت الاميرة على مسرح الحكم علماً (١) اذ كانت الآن تحكم باسم الخليفة اسماء لانها أصبحت الوصية عليه فكان اليوم يومها والزمان زمانها كانت الحكمة المدرة لكل امر مند عشر سنوات الا انها كانت بحكم من وراء ستار وكان لها هوذا واسع واسكنة ، هوذا عاز عن الصبغة الشرعية أما الآن فقد استكملت هوذا وظهرت بمظهر الوصية ، صديحة الامر وانتهى

أخذت في دورها المعلى تنظر في قرارات المجلس لا على وتبحث عن الوسائل المؤدية لاستتباب الامن في ربوع الاندلس وكان من أول أعمالها تخصيص البصائب الباهظة التي أثقلت كاهل الاهالي مما جعلها محبوبة لدى الشعب مرعية الحبيب لدى الخواص لان رجال الدولة لم يقع اختيارهم عليها كوصية عينا بل لانها كانت مشهورة بينهم بدكايتها ، معروفة لديهم بحسن درايتها في سياسة البلاد (٢)

(١) قاموس الاعلام (٢) تاريخ الاندلس اصيا ماشا

كتب التاريخ المصورة لتلك الأيام مشحونة بذكر سجاياها  
وسرد فضائلها ومراسمها أعاشم ، عهدا فقد نظروا لها عقود  
مدح سارت بذكرها الركب وشبهوه بالنجوم وأعلوا مدرها إلى  
السماء كين حتى طبقت شهرتها كل ربوع الأندلس  
كل شيء في تاريخ حياتها جميل ظريف ، سوى أمر واحد  
يؤسف له حد لاسف ، هو عدم كتابة خواطرها في مذكرات  
نعم ، كان يخافها من الشاعر والاحساسات في الظروف  
المخيفة إلى تغلب أنماها لو كتبت مثل هذه الخواطر من  
بدري أي لاساليب الشعرية الحادة وفي المعاني السامية الحلاه  
كنا نحمد فيها . كن نجد لذة في تصمع حياة تلك الأميرة وهي  
تروص النفس في حدائق قصر لهره . وتمكر في ماضيها هل  
كانت تتأثر إلا بذكر ليلها المرامية التي قضتها مع الحكم في  
نفس ذلك المكان .

هل تذكر الآن أيام شبابه وتلك السونات السعيدة التي  
كانت تسمع فيها عجة الحكم لها ؟ وهل لتلك لاويقات تروفي  
نفسها أو هي است حتى الأيام التي كانت فيها تنعم بين تلك  
الخيال والافنان ؟

لو كانت لها مذكرات لكانت فيها في أي مركز حساسها  
الآن لو كان علما فيها تمكر وهي تمر في طرفت تلك الحدائق

هل كانت أفكارها معطوفة الى المستقبل أو انها محترمة الماضي  
أيضا فتأملت اليه من حين لآخر ؟ من يمكنه ادراك ما في حمايا  
هذه المرأة المتعلمة العاددة ومن يعلم وجهة افكارها الآن ربما  
كانت تحسب صحاياها ورعا كانت تقامل في حسن طاعتها ورعا  
كانت الآن تقاب صعوبات حياتها الصعبة بعد الاخرى الا قيد  
ولا روية

بمحط لما التار يخ منها بعد الفراغ من أعمالها السياسية كانت  
تجلس على مقربة من ركة مر حرفة وسط الحديقة لاستنشاق  
نسيم المساء المعطر بروائح الزهور والرياحين في ذلك الوقت  
الذي يطير فيه المرء سباحا في عالم الخيالات . في عالم اثري بعيد  
عن ماديات هذا العالم الارضي

لا يشتاق الانسان الى معرفة تصوراتها وما يدور بخلفها  
في تلك اللحظة اللطيفة القصيرة " هل كانت أفكارها موجهة الى  
بنها وأمر ربه او انها كانت تفكر في أمر الحياة لتعرف حقيقتها  
فتقول في نفسها : ان هي الا رؤى يرى فيها الحقيقة في ثوب الخيال  
والخيال في لباس الحقيقة أو ان تصوراتها تتجذر بها في تلك  
اللحظة الي مظاهر لوجهة وأثار النعيم والترف التي تقلبت في  
أحضانها منذ الساعة اني كانت تغتبط في ايقامات الحديقة أو انها  
تحصي الحوادث والصدمات التي تحدثها منذ ستة عشر عاما

كلا كلا انها في تلك الجساث بجانب البركة، كانت تنظر الى النجوم  
اللامعة في صفحة السماء لتقارن بينها وبين القصائد التي نظمت  
في مدحها والتشبيهات التي قيلت من أحاديثها، وربما كانت لا تفكر لا  
في شيء واحد ولا يشمل ذهنها الأمر واحد هو غرامها وهي بها  
بأبي عامر....

آه من يدري ذلك كل هذه أمثلة لا يمكن الاحابة عنها  
وستبقى سرّاً عامضاً الى لاند

لم أجد في أي كتاب حبا يشابه حب صديحة ولا نفسية كنفهيتها  
وقد علمت بالبحث والتقصي أن أبا عامر كان روحها  
وحياها والسكنى بكل شئ عجزت عن وصف تصوراتها  
وافكارها في تلك الساعات القصيرة التي كانت تنمره فيها في حدائق  
يمنت الزهراء



## الفصل السابع

قدم الملوكان فروض الطاعة ورضخا لحكم الرمان مؤقفاً،  
الا انهما لم يسميا قتل المغيرة ومديرى تلك المؤامرة ولذلك لم ينمكا  
عن تحريك الفتنة واذاكاه نارها الحامدة كما استطاعا الى ذلك  
سبيلا. اندفعا في هذا السيل حياً في الانتقام من المصحفي  
وابن أبي عامر وأوشكت نمار اعمالهما تنضج ، فان الشعب  
بدأ يشكو من احتجاب الخليفة عنه وأخذ الناس في محامهم  
يتحدثون عن صغر سنه وقد كان لهم بعض المدر في التذمر  
لأنهم في عهد عبد الرحمن وبنه الحكم عتادوا أن يروا حليفهم  
من وقت لآخر أما هشام فقد بقى متروكاً في حشرات القصر  
منذ يوم البديعة

اغتبط لهذه النتيجة مدبروها وقلقت لها صبيحة ، التي  
كانت تراقب مجرى الحوادث بعين يقظة ، فاستدعت المصحفي  
وابن أبي عامر وطلبت منهما ابداء الرأي في هذه الصدمة فقر  
وأبهما على اخراج الحليمة لشعب وفعلها طهر هشام للاندلسيين في  
حفلة عظيمة جمعت كل دواعي الهيبة والمظامة وكان ممقطياً جواده  
وعلى عيونه حاجبه مصحفي وعلى يساره ابن أبي عامر وقد زاد أهمية  
للمهرجان اشترالك فرق عديدة من الجنود في الموكب وفي نفس هذا

اليوم لفيت إحدى الصرائب ( صريفة السمن ) عن كاهل  
الاندلسيين هوس الفرسصور رؤية حليفتهم وكبروا وقد ازد دو  
محبة له والتعاطف حول عرشه

حيث ذلك في عصر الملوكين بل أعراهم على انما دى في  
بشمل درائس ، وقد ذب سه لجرأة ، بل نصب حبائل مكيدة  
دحل مصر . كانت سببا في فضيحتهم وبعيها لى الحرية  
ثم أعوسها وتبعها فقد دو بجرء الصارم من أى عامر  
وتمت كانت ر حول فى دحل الملاد على هذا الوجه كان أمراء  
المرجة فى حرج قد شددت قوتهم وتعددت منهم حوادث  
استمر فى الملاد الآمنة وقعت سببجة لهذه الحالة امامها أن قيام  
هو لا لافل دوه و حدة بمد سكرهم مدة صورية عند عهد  
الحكم بدمر قرب وقوع حرات شديدة بينهما وبينهم . فامعنت  
الفكر فى ذلك واستمدت كدنها برأى الحاجب وصنيعتها أى  
عامر فاشرا عليها مرض الامر على وجوه الامة وأعيانها  
فجمعته فى مجلس عام وصرحت المسألة على بساط البحث  
والندى وكان رأى سواده فصل المشكلة بحد السيف وقد  
خطبهم ام عامر خطبة بديعة شرح فيها الاسباب لموجه لشق  
الخارة على لاعداء وادبهم بل استعجال الامر ، فاستهوت  
العبه فاسهم وم يبق فى مجلس نفر على غير رايه غير أنهم اعتوا

نظره إلى عمقات الخلة وما تستدعيه من المصارف ، فطالب منهم  
بيان مجملتها فلم يحرك حديم جوار عند ذلك أحابهم بأسها وتعلمت  
مائة ألف دينار تقريبا ، فرد عليه أحد الحاضرين مستهظا ذلك  
فحابه على العمود : ( حد ذاتت ماني ألف ونول قيادة الخلة  
وخفف عن عاتقي هذه المستوية ) فأثمت هذه الكلمات قول  
المعترض وأمدن وصل العالس إلى حد الحدم أحمد بمكر في  
تعيين من مهم إليه بقيادة الجيش وكانت هذه مشكلة جديدة  
ولبحث حريم لم يصل أحد من الحاضرين أن يقول مثل هذه  
الموردية الآن أما عامر فمس الاشكال بأن من العيم بذلك على  
شرط أن يدفع إليه مقدار الموت وأن نكون له حربة (١) في  
انتداب رؤساء الجيش فرسى الحاضرون ودرسته صبيحة وم  
تمالك من ابجاهرة بأسها تؤمل الجراح في مهمته وأنها مطمئنة  
على سلامة الدولة ما دم يعضدها في إدارة الملك والدفاع عن حقوق  
السلطنة أمثاله من الرجال الأماني فرد عليها تكرر أحسن ما بها  
وقد ضمن كلامه بعض التلميح في ضعف سياسة المصممي ولبس  
حاشا إزاء هذه الصعاب فلم تحبه صبيحة إلا أنه فهم ما كلامه  
من الأثر في نفسها

تحرك جيش لانداسيين وعنى رأسه ابن أبي عامر حتى نفائل

(١) تاريخ لانداس لعنيا باشا

بأمره لفرمحه والنجم بجيوشهم في معارك شديدة انحلت عن  
هزيمة الأعداء وانتصار المسلمين واستيلائهم على بعض المدن عدا  
الأسلاب والافرة والغنائم الكثيرة ، ولعمد حروب دمت حسين  
يوما عاد ابن أبي عامر الى قرطبة مقر الملك ، منصورا غائما ، تحف  
به ريات العوز والظفر (١) لقد برهن على دراية تامة في قيادة  
الجيوش وأظهر صفاته الحربية المفروسة في نفسه ومواهب  
الفروسية الموروثة عن أبيه فاجتبه الجنود ودهش من أمره من  
من كان يظنه على جهل بأمور الحرب وقد أعد القرطبيون  
لاستقباله يوما مشهودا وكان في مقدمة المحتفلين بقدمه الاميرة  
وانها ظليعة هشام وقد أغرقاه بطوفان من الانعامات وحسن  
الاستقبال وكان هو كمادته في كل لأمور البطل الموفق ، مطهر  
احرام لاعيان والاشراف ومعقد آمال أهل القصر ورمز أمان  
العامة وطبقة الشعب ، وقد أجمع الكل على تسميته بالنصور ،  
اعزاز له واكبارا لشانه ، واعترافا بخدمته في تلك الحروب  
أصبح لأن لا يحفل كثيرا بالمصحف . وعلاقته بالخليفة  
وسمية محضه ، لعدم بلوغه سن الرشد أما صبيحة فحدث عن منزلته  
لديها ولا حرج فهل يوجد في العالم مخلوق أسعد من المنصور ؟  
ها قد تحذمت آماله الذهبية الواحدة تلو الاخرى بقوة

ساحرة وهالم يفض على حديثه مع رفقائه في الجامعة أمداً كبير حتى  
نال ماتمى . هاهو الآن اكبر رجل في قرطبة وهاهى الاقطار  
موحمة اليه وهاهو التاريخ خص له في طيانه صحيفه ييضاء  
لتدوين أعماله المعيدة ، ان الآمال التي كان يتصورها والمشاريع  
التي كان يرسمها وهو حالس في حاوته الصنير عيذان قرطبة امام  
القصر قد تحققت جميعها . ذكر ذات يوم لاصدقائه بأنه سيكون  
حاكم الاندلس الفذ وهاهو الآن الحاكم الحقيقي للاندلس ومن  
اكبر رجالات العالم الاسلامى

## الفصل الثامن

استفحل نموذج المنصور ورتفعت كلمته في شئون الإدارة  
والسياسة (١) وبني له قصرًا على بحوار قرطبة بل قل مدينته الصغيرة  
التي سماها ( الظاهرة ) فقل مأمور والدولة مساكنهم بحوارها  
ونس التجار ولباعة أما كن لهم على مقربة منها حتى أصبحت  
تضارع في شهرتها بيت الزهراء

كانت الظاهرة محاطة بالحدائق المعناء والبساتين الزهراء  
والأحوض الخيلة وبها من دواعي الأس وهوجيات السرور  
ما شهد بأسقيا سدوق وك شهدت هذه المدينة من ولائم المنصور  
واعتمالاته العظيمة . تلك الاعراس التي هزت أنظار الاندلسيين  
وأوقعتهم في دهشة من مظاهر تلك الرخاء

هل كالمصور، وقد وصل إلى هذه المكانة ورتفع إلى  
تلك الغاية التي ليست وراءها عاب يحب صبيحة وهو في حالته  
هذه ؟ ثم أن ما يحش بصدرة من الاحساس لها هو أثر من آثار  
الشكر والامتنان لحسن صبيحةا معه ؟

كانت الاميرة صبيحة تحبه وتقدس ذنه إلى درجة الهيام  
ولكن هل كان لشعورها هذا رجع مدي وهل كان محمد المنصور

(١) تاريخ الاندلس لفضيا باشا

بمخصها بحبه تكافى هذا الحب ؟

هـ بنى استند داعلى عماله وعلى ما ظهره بعد تمككه من إدارة الاندلس  
أقول انه لا يحجبها ... وإما كان يحترمها ويظهر لها دلائل المودة  
والاعتبار ، لأنها سبب نعمته ومنشأ رقيه وإياها يرجع الفضل  
في السعادة التي برقل في محبوبتها الآن

قد طهر لأن أمامها بثوبه - عتيقي وأصبح بأنف من  
رؤية يدها - تلك اليد الى طمنا قبيلها « عزاز وتقديس - تشترك  
معه في الحكم منذ أصبح يشعر بأنه في غنى عن حياتها ، مع كان  
يتوق الى رؤية الاوامر عملا من اسمها ليس عليها لا كلمة المصور  
غير أنه لم استطع أن برقع لواء عصيانه دومة واحدة فطل بموظف  
على سابق مودته لها ، يكلمها باسمه العذب ويمامها بطفه المهود  
ولا يقصر في أمر يكون فيه راحتها ، وهو هو في كل أطواره  
وحركاته التامع لامين والخدام محلص للعرش والخلافة .

عرضت عليه ذات يوم حاربة ليشتريها وكان نخاسها قد اذنتها  
بعض أليات وأمرها بأشادها بين يديه

دخلت حاربة قصر المصور وهناك في حصنة سمع صرخة من  
جسمائه عمت تلك الأليات صوت رخم ، فاسترعت لاعبة  
مسامعه وأحد بصمى الهاء بهمام رائد وهو يحف من غضبه  
وما كادت تم لانشد حتى هجم عليها شاهر سيمه والله على

# الارض تتضرب بدمائها (١)

لماذا - لان الجارية نطقت بأبيات مضمونها التاميح  
بعلاقته مع صبيحة فلم يحتفل ان يرى اسم الاميرة مضمة في افواه  
الناس فانزل العقاب عن نحرأ على نوبت ذلك الاسم أمامه وأمر  
بجمع واحراق ما قيل في حقها من الهجاء ومجازاة فائليها بشدة  
دانت على مكانة الاميرة من نفسه

كان لا يشمل له في هذه الفترة الا أمر واحد أفقته  
غاية العاق، هو استكانة المصحف وصوره عظمه الضعف ر د ان  
يتخلص منه لان صاحب الملاد ترك مصالح الامة يلتفت الى  
مصالحه الشخصية وكان المنصور يظهر هذا الامر لصبيحة  
ويشير اليه من طرف خفي وكما كانت هي كلما أمضت المظر  
في احوال المصحف از ادت ونوه بصدق أهوال المنصور الذي  
كان يحتهد بعلاء شخص آخر بنسبة احتشاده في اسقاط  
الحاجب، هذا الشخص هو القائد عاب وقد تمكن خيراً بجموعة  
المنصور وحسن وصايته ان يبال رتبة لورارئين (٢)

بعد هذا وضع المنصور يده في يد عاب واخترقا حدود  
المملكة في - بيل شن الفارة على اعداء البلاد، حيث كدن أملة

(١) ابن الاطهاري

(٢) ابن خلكان



الوحيد جعل اسبايا جميعها في قبضة يده (١) وسرعان ما نكملت أعمالهما بدجاح، وأعقب غزواتهما هذه غزوات أخرى عقد للتصوير في جميعها رايت الظفر، حتى أصبح شخصه طمس النصر لجيوش المسلمين لادشن على الاعداء عارة الايمود منها عاتما وانجا.

واذها مهمكان في حوص عدار لحروب واعلاء شأن الاندلس حارحا، كانت صبيحة بدر شتون البلاد وتشيد ما بخلد ذكرها في التاريخ (٢) أما مصححي فلم يبق له بعد ذلك أدنى مودوا أصبح بشمر متائلا بأقول نجمة وادبر طامه لقد انفض من حوله الناس ولم يبق من يعضده من الامراء (٣) والسكران وقد كنى الكثيرين منهم مروءة وكريانه أيام أن كانت له لديا ومع ذلك عز عليه أن يرك مر كره بسهولة وافياد فأراد أن يحرب حظه ويقامر بأخر جهوده، علم شأن نائب فأراد أن يتعرب اليه بأن يزوح ابنته اسماء من ابنته عثمان وما كاد يخطر في باله هدا لمشروع حتى كتب اليه في الحال يعرض عليه ذلك فكار عاب في الامر مليا وقلبه على وجوه كثيرة، وفي النهاية اقتنع بفتح هذا الزواج فكتب اليه بخبره بانقبول ففرح

(١) رشح الاندلس

(٢) تاريخ الاندلس لفضلاء

(٣) دوزي

المصحفي بذلك وقد كاد يظير من شدة مادلته من السرور وشاع  
خبر هذه الخطبة وداع، حتى وصل جميع المنصور، فلم يشأ أن  
يصدق بادي، ذي بدء إلا أنه عند ما تحقق صحتها استشاط غضبا  
وانتجأ إلى كل باب من الأبواب التي رآها مؤدية إلى منع هذا  
رواج وكان منه أن استدعى غيب ووسوس إليه بالضرر  
العائد عليه من أسر الخطبة وأن زواج ابنته من مثل عثمان لا يولد  
شرفا ولا يكسبه خرا لأن المصحفي لا ينتسب إلى بيت حسب  
ونسب فاعتبر غائب في أمره ولم يحد لنفسه مخرجا من ذلك  
المدرك لم يكن حالة الرضا قد جرت بهد، إلا أن الخطوة كانت  
قد تمت فذا يفعل لآن وقد بدم ولائدامة السكينة ولكن  
لات حين مدم، كاد المنصور يرى منه ذلك حتى صرم في  
نفسه ما يذكي نيران ندمه بقوله: «إن انتك حدودة بتبلى قول  
تقبل أن تزوجها مني»

دهشه هذا لتصريح لانه ما كان يعتقد نوال مشل ذلك  
الشرف، فقبل مسرورا أن ترف ابنته إلى أكبر رجل تعرفه  
لا، اس، ما، منصور، كان فرحا في سره لما كسبه من احتياط  
حظة نفسه المصحفي، فاصبح بعد ذلك من سهل الأمور عليه  
عزله من مصيبة لاسما وقد كانت أعلاطه صهرت لصبيحة، فتم  
ما أراد ورد من كتابته به رجوع غيب عن كاهنه ورفضه زوح

## اسماء بنت عثمان

ارزى من ودر الى درحة حبيب ، نى وزير الوزر ، كما كان  
 ينتظر فيكون ، وصل درحة الاحيرة من عرش امانه الذهبية  
 وحسن معجرا على اريكتها ، ولقد صبح بعد تلك الحادثة  
 معكس انضر الدم لاسلامى في جميع الافطار ، كان رقيه  
 سريعا ، مدحشا لدرجه انه هو نفسه كان في حيرة من امر هذه  
 السعادة وحسن ذلك الطالع .

زيت اسماء رى كيف يكون سحر الحب وفقه محب  
 حب هو رى حق هذه المعجزة وحب هو رى حد  
 بيد كاتب صغير يحكمه بحارب الى دورة المحل وسند العظمة  
 انما يكون مصور ، طائور ، حواء ، دهبوا من رقيه  
 اسرع يا ما كنت صبيحة ترك نفسها ونحوها لا تدلس في لغة  
 قل أن يكون لاجباب الله (١)

مصحرة لمصوراته تد مثل غاب ، صاحب الميراث الكبيرة  
 في موسم الغد ثل الله طمة من كش وشمال افر بقرية ، أمر رنج  
 اليه جد لارتياح ، حيث كان يطعم في مدعوده وشهره حتى  
 تلك الاصقاع فكما سهر اليه وهو يذهب تصوراته الى تلك البلاد  
 وينفى القصور والامال الى ادارتها وتسخيرها لحكمه كما يريد ويشاء  
 فيها هي الان في مقدوره ومتناول يده

لندرج، منصور حبيباً بين قلبه وأهليه ومكر قايلاً في حالة  
صبيحة الروحية في تلك المرأة؛ فإلى أي حد وصلت تصوراته  
يأثرى وكيف وصلت تلك الصدمة، صدمة روح حبيبها وعز  
مخوق سم أسرة حري وكيف رصبت هي تثنى هذا الأمر  
وأمكنهم سكب انزعاج لقدم في نفسها ومثل ذلك شعورها، والتوقيع  
على عقد لنجاح يدها ودعوة غالب وانتته إلى ورشة ومهاتهم  
بعمارة وسرور

لم يكن في مقدورها تدير أمر بمكر هذه حالة لاها  
تستطيع أن تحري مع عواصفها فقد معها مكرها السامي من  
إظهار ما في نفسها من الآلام والامل ان سمو مقامها وقف في  
سبيل مع منصور من مثل هذه الأمور المؤلمة، فلم تبدأ من  
الاستسلام لحكم الاقدار ومفاتيح حرة لشجاعة وثبات - لقد  
أبدت شجاعة تفوق حد التصور والادراك في كنتم عواطفها،  
وظهرت بطور الرزية الجديرة على كفة حيلة القدر عظيمة الشأن  
فاثرفت نفسها على حكمة الزهراء التي دفع لطيفة جميع عفاها قد  
يكون في نفسها قية من الأمل ولم لا، ألم يكن العرض من هذا  
الزواج سياسياً، ان لزواج اسمى على عرض مخصوص يكون  
ذا أسس وإم لا يبشر بدوام البقاء والجنود كان العرض من هذا  
الزواج أن يكون سهام تحقيق مسددة في صدور المصطفى، وليس في

## الأمير ما يوجب القلق .

تدل هذه الآمال كانت صبيحة تعمل المعسلى أن من لأمير  
وردت نسماء إلى المنصور ، حبيب الأميرة وأقرب له من إلى  
نفسه ، في المم السامع والسميع بمد اللاتاة من لبحرة البيوت  
كانت الحيلة من أحسن حفلات لأندس في المديح ، وذات  
أهية . لو كية قل ريسح الرمان نسا ، وقدر د من بها أن  
الأميرة عسا كانت ردها وسجها . أما موكب امروس حدث  
عن شمة ولا حرج . تقاطر لاس رؤيته من كل صور ووحية  
مدهوشين من عظمتة وحالته . وبعد شامت لأودر أن يكون  
ختم الدرس اليسى مهرون . ناس واسمادة . كانت امروس ذات  
حمل بدر ، على جانب عظم من اطراف والكساة ولاد فافس  
المنصور بها وملأت عسه نلاحها لروحة ، حتى أصبح لا يرى  
غيرها من النساء ولا يصبر عنها ساعة واحدة . قد أحيا بحمة غير  
محدودة ، حباً ، مثل عرم صبيحة له فنصور حله . لا ميرة لروحية  
اذ ذلك وهي منعزلة في بيت لزهراء ، تقاسى صرامة لبحران .

لما تكن صبيحة ذذاك في نصرة الشباب . نفذ امصى  
موسم لأمانى المدة وفات أون لاسر سال في انمل والتجيب .  
لقد انطأ شملة آمها وام يبق لديها صيد كي يرها . فليس  
أمامها الا رماد من اليأس . انما أثارت بعض احتيورها الستار

على رؤس عراهم ، وصطرت أن تمتح عينها في نور الخفصة  
المؤلمة .

ولكن بعدد ما داهى ساعة وما لاي تستطيعه واني  
الألوان تصبغ حياها الآن هل يرل الى حدائق قصرها وتزوي  
نفسها في أحضان الزرود والزيق والياسمين لتجد السامة في  
مناظرها وما يتصاعد من شداها وعبرها . . . الآن في حريم  
العمر ومن كان في مثل سم . لانسبيه ها ه لا ياء . انهي لا  
امرأة نائسة كسيرة الخطاير ، شهي عر مر ، على عر ما شهي .  
ولكن قد حرم انفضاء ووقفت الومعة فمرل من عشقا  
واسهار . فهي لا تشاهد بل الالاب ولاهت . . . ص ما تحب  
من احساسها وتنتظر وعيناها مملوءة من الشموخ في انطمع للمثيرة  
من آمالها المحطمة . فتشوق على نفسها بعد ما رى لاحدحه له فيه  
من حيلها السامة تعرف حائرة على تلك الحروب

كان تقهرها ، مدهشا في لهرل الهزيمة ، ما قرب الاتصال  
بين تقطيني الفوز والاندحار . . . يست السعادة ذن لاعشاء  
واهي الحدرن . مؤسسة دعائه على شعاه وبة صميفة . . . ولكن  
ما العنيدة كل هذه ملاحظات نرد خطاير بعد موت لوقت  
وضياع الفرصة . . .

حملات صليحة ما أصبها ودمت لصرة بشعة دارة  
 ولكم بدت في سبيل ذلك ما عاباً هي دموع القلب التي  
 كانت لسكب وهي حاسة على عرش الحكم و لادرة . بالله  
 كم كانت أشدها إلى رعت في أبلى أصف مؤثرة حزينة  
 ذات نعمة محرومة لأربها بعد الاتمه من أشيدها  
 كانت تفتح غرفتها ترحب بالنسيم ور . تمت في ساءه ما يحف  
 من لوعة قلبها

من الصديق د . نعت على صيد حر دوس جمومها  
 من لما الآن تعرفه كهم في لك . مات أبي كاس خويها  
 إلى لحوى ولكن ههنا قد صارت بيت لانداس لك الكلمات  
 ودمت . إلى أن في الام به

## الفصل التاسع

بعد التصور تمهد على مهل - بل حصر المود في يده فأنه  
 من نوسه فيهم روح للمرد ولعصيان ومحنة ما كان يتصوره  
 من الآمل ولا حلام يوههم فرطة من كراياكم والخلافة  
 حتى لا يكون بيمه وابن موي ييه حاذر وعقمة فمصر بيه  
 من حديد أولئك شاذ ر دو ، حول في شئون لاداة و حدث  
 املاين ، لا يسطر ، حول عرش ساطع المطاق

كان في قبل الصيحة - ب و موه من حوله ككل حكاية  
 وضو رة في عن عهه وعن مشورهم وم فمونه من ماضرة  
 ومه صدة

نصبح لآ يتصديق حتى من مودحه انه لم ي ب وقد مكن  
 أنصا من مده ك ممد مدي من قبل

هما في هد امواق مسق به وابن ن يمش حر انصرف  
 كما يشاء وموى الاطل شخص و حد ، ذلك الغل هو الاميرة  
 صبيحة

بم أصبح لا يتم كثيراً لها من مود ولا ماضيتها ،  
 معكر في ن تخلص من مود هذا الغل يصا وسعي بحثا عن  
 وسائل مؤدية لدمه دوماً حذيت ي أن توفيق لي هذه الماية



أضواء كانت مساعيه، حجاج

كان مخطراً إلى النصارى، لاحترامهم لولادة نعمته  
ولكن نظرت الإميرة كانت تحال من دور هذه الجوار من  
حقيقة مؤنة فتشعر على تحالف هذه لاحترام من دور وصح.  
عصى لأمروا من تمت دية لعمدة، حتى بدكره أعمدة وحوطه  
اللديدة أمام أبيه الحاضر

ميكس لمصور مؤثمة وثلاث من يد ثرون، تذكرات مصيبة  
من أيام صياح وأزمان لهوم أن الودع لقره ركة نرا حرمها  
في حيرة من دور مكوبة على لرمال تمت عدها حجب  
الريح هرون ذلك من أن من سته في حجب احمة مع سم  
حليمة، غير مكوت بعد لاس وولوكه

صدر لاس يفر من سته على لصور، ويشعر من سته في  
نيل الأوامر وأمر دت

ولكن ألم يعمل على راحة الشيب وطس به، أنس هو  
السعى في حجب مير العمل وروع لانداس ولا سكا، عليه  
دن طموحه لي أمب (الذي كرمه به، كان حاحاً)

الأمه لانداسي حدمه وود تود فلا استغرف - كورم الآن  
زاعده، طهر خديدة، الحبيمة هشام فكان في هذه لوقت  
العصيب مرور في محهن لاقصر، بعيداً عن أضواء السياسة

وصحيح لإدارة، منه ذلك هو ما نخر، يتم شيا به الاتبع ولا حدود  
 مدعى عليه فترات بحوله فيم ' جرد عن اذنت والعوض في طرح  
 تزويدات مرهدة، س كثر أو مكث، ورويلة طويلة  
 هدهو الخليفة هشام بن صبيحة، وعلى هذا انظر ر كان قس  
 أيام حياته

و. ربه ظهرت عليه في صفه علائم لانه والعصاة لا  
 أن ربه التي، مدودة به تكن كفيه لا يصح مدركه وكمال  
 موهبه طر من حكمه وحيد عبد الرحمن لانت خدمه وعاش  
 عجرا، امردد، طر من امره والادرة، من بولك شاكى  
 أميرة بن أمية

هدهو لاجلاق حده، حركت عوامل الطمع في نفس  
 المصور وحدث في صموح نحو تعرض وحمله يرم على رتبه  
 امرش في شاهر، دلا من هشام كان ( الملك الكرم ) وورد  
 أن يكون الخليفة

حتم، وورحوب في هذا الامر لأرمظمه، مول عيام  
 هذا لامل في نفس المصور ونه سعي حده، لاجرح مشروعه  
 من دائرة المكر الى حيز العمل ولولا حشيتته من امتحانهم، راد  
 هتم أولان يكون خليفة منسيا من شعبه دون أن يزعزع  
 أركان الخلافة فسي في أن يظل حروب خليفة من مصره

وكانت الظروف في حاسه لان هشام كان لا يبرأ له اس في الجمع  
الا قبلا وذا حرج من قصر لا حرم من حرج وهو مستف من سن  
فكان يرى من الحيل وهو مسرور مشرح المؤذن آتاه  
سقتهم الا اضطرب ولا شفق

فهمت صبيحة من ميه وشعرت أعرضه ومه اصدده فارت  
أن نراقبه من على كتيب ولا تحق بعد ذلك استمداده وهذا استمع صبرا  
على رؤية العرش مهدد أفرجت بنفهم في ايدي من معط على كيان  
نمها ونقد عرشه

بذات كل ما في نفسها من جهد وعزم ولا تترك في مدها  
الآن شيء من اقوة

وقد شعرت بهذه الحامية عندما تقدمت في الميدان ورأت  
أن رجال المنصور وأعوانه شاغلون أثناء ما يب في اعلام حكومة  
و داراه وفي كل مكان من أركان لادرة حتى في قصرها كانت ابره  
كانت هم يبعدها من عمة وعقبة ، تقدم خطوة الى الامام  
فتعلم غراب ومواقع التكر ماكرة لاستقلالها . فقد كتبها  
المنصور يحيط بقيمة حكي على الدون ولكتبها حيوة قوية  
يصعب الافلات منها ، فصرت حتى شملت عزيمتها وقام في انعمق  
نفسها دفع يسوقها الى رفع لواء التمرد والعصيان اذ كانت تقول  
في سرها ما هذه جيرة ومن ن لا في عامر كل هذا الموهذ أن

كنت سركيف ذي دلب نفسي في رجل شغبين هو طائب  
في قصرى كاهن مرء فون لدر وكنى ، غم ٢٢ من ايع منصور  
كف طاب في ذلك - يكن وقتند غرى و حرب و رجل  
تجدر لرجل ثات معقة مع منصور وكر وعلا ، متفقه معه  
فدا و - . ثات بدء مع مد في كل سر و كل مشروع ، غرى  
فيه من حتم بمصور هم رجاء ص دهن ، اس سبيل الى سوء  
الضمان ، ثان لمر دى حلاص و حرم ايوه و قد رل ما منهم  
من دى بمة فامه و من حركت مضمرة و قد ثاب كل منهم  
به مع امدى هم في لان نسب له ، مع حمر و قد علمت به له  
و امة و سميت نور في حرم رجاء فضا محمد مهاد و قد حركت  
في هذا السبيل حمة حلاوة و تقدر و لا غيب

ملمت حرم بهر احوال و صر قصر رهرة ممر ح باقى  
و - . اس و صفة راقب ذلك سرور و لان و حرم لها لا قد  
اسما و مع روح الحية في دمة الحمة

مكنت به ذلك من لآ و اسمى في اية صه من ذلك الحمول  
فلم كان عا حرا ح ملا لا شمر س حمة لى سؤال انور راء غم معقوبه  
أو بدرة من لأمور

لم دس من صفة ش هتمت اشرا دك اء اخر مسكين و ش  
تو ح اية في الشئون الخطيرة . لآ لاس ، شمر بهدش وقعت



لا يصحاح بالارمة عن حساب بيت ابدل ووجهه الى المنصور  
أستلة دقيقة ما كانت لخطر به الى حتى انتهى به الامر الى أن  
يامله بفتور وورود

لم يكلف المنصور نفسه عنه لمحت عن سبب ذلك كيف  
يسأل عن السبب وهو لا يرى مولاة خبيثة ولا يثق به لا  
بمصور ولده صبيحة ظلمت له في روجه وشرع بهن  
سبب لامة ومة خطر فصار صاله في ميدان الكرمح اتت  
انطرد به من بعض من اشقة في احلاصهم من مودعي قصر  
البره ووقه عفتت في بجة لهذه الصدمة عتة مصرية ات  
سببا في شتداد عرفت بها ريدة همها ونحت وارهال لتعقم لعمها  
من هذا امرهم اشديد الناس وهند حبرا الى فكرة سديدة  
فاستدعت بعض عبيدها ورررر وكلمته بالتوجه الى حمت  
محتاجه من الانداس واهرمها ومررر كثر لأقوام اشعب تركز  
حليتهم واذاعة حبر ضمه وجموح منصور الى مام الافة  
فراحت شععتهم وانشرت في طول الداد وعرسها ومها عم  
اناس ن حلفهم وقعي سر طيم معمود ووعبي التخص  
من هذه لقيود ايجكم شعبه على سنن مدد ومبايح لالاف  
لو لا حيولة المنصور بيه وان ما ريد  
أدي رجال صبيحة ما كلمهم به بامة واحلاص وخارو

حمل طارق الى افرقية وتمككوا من اكتساب مودة ومظاهرة  
والى مرا كش لهم وهو يومئذ زوي عن عطية الشهبير ، رعيه قبيلة  
الزبرين وم كد يسمع بهذه الحوادث ونعم ان الحليفة تحت سر  
المنصور واستمداده المعسوي حتى احتدم عيظا وشرع في تحريك  
قوة من رحاله ليرفع لواء العصيان والتمرد في وجه المنصور ،  
انتصاراً لحليبه البلاد ولكن كان يعوزه ليل تنهيد العمل ، فسررت  
صبيحة بهذه النتيجة وبادرت باسعاقة

كانت حرة لادوية في دائرة خاصة داخل قصر الزهراء وسوا  
من الأموال ، يتقدر بحو ستة ملايين دينار أفسحبت الاميرة من  
ال ماما قدره ثلثون ألف دينار وصمته في مائة حرة مختومة بقمها  
بالسمل ، دواعي الطمأنينة والشبهات ، ودفعت هذه حرا الى رجال  
أمناء لتوصيلها الى مكان معين ، وبذلك تكنت من انصال المال الى  
مرا كش دمان وسلام

كانت صبيحة تملأ قلبه والى مرا كش ونعم انه لرجل الوحيد  
الذي يستطيع مقاومة عدوه المنصور وبذلك تال حمدا في  
مساعدته ، على ان خبر هذه المساعدة انصابت تسامع المنصور ،  
ففرغ في روعه لانه لم يتوقع حدوثها وكأني به يقول هل للحليفة  
علم بذلك او الا كيف تمكن و خوج الدل من أبواب القصر ، اشتدت  
حيرة واضطربت احتشوة نيران الغيظ والكمد وأصبح بمظر

الى من المستقر فيرته متبذرا لا كدار وغيوم لا اضطراب  
فهل هو دكر امه عاصفة قرية تضامه من سريره كل هذه امور  
فكر مستورهم مبادي طول لمحت وجهد امكر مستقر  
ورر، احكومة ووكلاء الدولة تعاضد في قصره حيث  
انهم يتحدث سرقة مبالغ كبيرة من مال الدولة وانه عم بعد  
البحث في السيرة السيرة من مصر الحايمة وعلى  
اودعته الوزراء ذلك فخرج عليهم عن الحرية الى دثرة اخرى  
بعيدة عن مكانها الحالي فأقره عتقهم على ذلك وبين حال  
الحكامون بعد لا يراجع على وشك نقل الاموال بدو دعة الحرية  
حدثت فيهم صبيحة وصاحب فيهم يقول : ما هذا الحرافة كيف  
تقدمون على ارتكاب مثل هذا الامر دون اذن خليفة اي امركم  
الاتوا الحرية لا غير رخص عن ملها الى مكان آخر

لمحمد نبيع منصور بد من اصابة الامر من الملك الكرم أي  
انصور فشتت خبره وزادت همومه خيما به الامر ولكن  
كتمه في نهمه مكرها مرعا ولا الذي يستطيعه وكيف  
يحلف من خليفة حمراً ووقع لواء العصيان في ظروف قاسية  
لا تسمح بأذى خلافه وبين العرش لاسيما وقد صرقت  
مسامحه لاشاعات التي اجتهدت صبيحة في ترويحها بين عموم  
الشعب



لا عرف الامر شيئاً عن هشام ولا يدرون لاسمهم ولا مكانهم  
 ثم رآه يقدسه في موصمه لانه من حكماء وعقيدة (رحم  
 وسليل لاسرة لاموية درلرس في كذا مكان صهر لمرور جهرراً  
 بيانه هو حرق مؤدى في حويل بحري حوت هو قبل  
 المنصور على اسمه لا كسار واحصوع من ان وصل بكده  
 ونسبه وبع المز والاف من كعص لار حده مدن كان  
 يسطهما لحماية سواء كان لا يحى رسته ولا وصى بدينه وما  
 ما كان سلطان الماني وهو الان امير احرار فيجب عن اسمهم  
 ايضاً ان يطيه كيف رضى المنصور، ذلك سطل منى رفع  
 لنفسه لواء خرد ثم الخلفان في طول البلاد الاسلامية من قصده  
 لاقته ما ز يذهب صديقه حيلة سيرة به صديقه كيف منصم  
 صبراً على الاندلس عند قدم دام عشرون عاماً من عليه ان يوحه  
 الطبيعة بمرده ان هشام ايحى امه وريته ادباً لا على حدة  
 دون ان تكون معه وبنه، ثم ضده وتدهره كان المنصور يعلم  
 موضع الصمف من مولاة الخليفة وبعلم انه لا يستطيع ان يه به  
 برود وان يشدد عليه الكبر الاد كانت معه لاميرة مادم  
 تكن من محابه فكل عزم الى صمف وكل شدة به صمف الى جبن  
 ومزام وكانت صديقة تعلم هذا الامر وتري ان انه لا يستطيع  
 الثبات امام نظرات وريته الحدة ولا يتمكن من الدفاع عند

ما نسب إليه من طلاقه وسلاح بيته ولما كانت تحتى عاقبة  
تلاقحه على مراد ونحوه من مهادم مهادسيه، وأساساً على عذب  
في خفة وحدة بما المنصور سعى، وحده حتى توصل بمعونة  
رحل القصر منهم إلى مهالة مولاه مهالة سرية دون أن  
يعلم به أحد كانت لأميرة صبيحة مهادم سياسة وتدير  
حكمها بطروف والأبام وزمن تحارب حيرة في الحياة، ولم  
تكن سديدة الخط مثل المنصور ولد كآب علمها لا تدحار  
ولمشل في مهلة لا مس

عند ما مثل منصور بن مدي الخليفة مبعثاً ما نزل مولاه  
من لاهية ولا طرب ال عند الكلام ما يريده من لقول  
السياسة وصلافة شهرها حتى تر على خليفة صديق دونه  
المدهوسي به الخليفة وأنه صاحب الهي والامر وأن في يده  
قوة غير محدودة وسي نفحات وسنة ووصاياه أمم نظرات  
المنصور وأنه سحر بيانه وصلافته ولم يتردد في الاعتراف به جزه  
(١) عن الحكم ودير الملك وأنه سيقنار له عن كل سيطرة  
وسفطان ولا يتدخل في شئون الملاد وأنه رضى نقل الخريفة  
خارج قصره إذا شاء وريده منصور لم يكتب المنصور هذا  
القرار بل اتمز هذه الفرصة واستدعى بعض وكلاء الدولة

وشهدتم عن هذا امر عرف بمهم موقع عليه من الخليفة ومدون  
فيه ما عهد به ورره شعوباً (١) وقد امتنى عليه لوكلاء لاثبت  
شهادتهم

حدث هذا الامر في الـ السابع والـ ثمانين بعد الثلاثمائة من  
الهجرة وبهذه عادثة ما استصور اثر ما كان يقصده ويحرمه  
بسمولة لا تخفى على بال

عن العهد ما ذلك وعمر من بخبره فاصبح من العت  
لنرد والعصير في سبيل سلطان آخر عن الحكم ، يعرف  
بلسانه انه ضيف ، والعريضة ، بكل مور له ومهام السلطنة  
الى ورره صادق هو منصور - م يكف بهذا الاتصار بل اراد  
أن يظهر للناس أن خليفةهم وقع على العهد بختياره و رادته وأنه  
لا يوجد تحت خلاف أو مور بينهما ، واستصوب أن يخرج اليهم  
بكتاب الخليفة ركب فرسه في موكب عظيم لهذا امر ص وقد تم  
له ما أراد ما الذي يستطيع أن يملكه الانسان لا سير لا يشكو  
من أسر ، بعدش بختياره تحت النير ، طماكم يعرف بمجره عن  
الحكم ، اساطار لا يتأثر من تمازل عن بعوده واقتداره غيره ،  
لجاية لا يرى بأس من الحروح الى شعبه غداة امره في المحل .  
اللهم لا شيء سوى الأسف وتاتم واقدا كان من حسن حظ

المسلمين ان وجد في عصر حاكم عدم الخس مثل هشيم - ورو  
مقتدر مثل منصور يستند بأمر دولة فهو في رسم الحكم في  
يد الخليفة ، نودد من فتح أبواب الالة لامراء لفرعه و  
الترشح لا يلقى قوله لامصاة وهو في بحسة مراد وهاة منصور  
« انتموني ونا عدمكم حتى ، اعرض ، ١٠٤ » هل هناك (٢) أم في  
انقد حاكم هوى نفسه الى هذه سرقة ورضى بان اشرب  
كأس الهون حتى لثمة لم يكتب المؤرخون شيئاً عن حاله  
لاميرة عدم سماء ، عراف الخليفة وماد عساها ان تقول فيمن  
لا يحجل من ترجيح الامر على اخيرة نعمة سعيهم المتواصل في  
سبيل ذلك فدا سمعت ان تعمل شيئاً بعد ذلك فليس  
لاسم الفائل نعمة ( لا تريد ان احكم في الادى ) ان دولة اسما  
كان انكساراً ثاب لا مالحا لم تكدر احداً التي ذمها المنصور  
تلقنهم حتى اصابها بها بخرح آخر في صمم فلها دى حساسه  
الوالدى .

مع كل ما مرها من الآلام وما عانتها من ابتاعبم نشأ  
ان تبيع عساها حتى في يامها لاجيرة نهدت قصور ماله  
وصاع مودها وانخفض حادها وانكها مع ذلك لم ترض ار  
تقبض يد همها عن شمسها ، اهالى قرطبة يحبون منها

همة صديحة أكبر من أن نكل ونسها. لعناية لا أرض بحجة لعدم  
 وانكسار لم تند حل في شئون الإدارة والكيف قدمت أمنها  
 من طرق آخر وعملت على سد ثغورهم ورعايتهم من سبل غير  
 سبيل السيرة ، فقد بذلت ما في وسعها لانشاء المدارس  
 والمستشفيات وبناء المدارس والملاهي وبها كان منصور يدير  
 حركة البلاد ثورة وحرق ونجح حروبه ، مصر وأصهر . كانت  
 هي نحر الخداول وأميون ونشئ القطار والطور ونحوه  
 في كنسب حسن الاحدثة وجبل الذكرى في يومها . ن  
 أنماها ، الدفعة وحققا ، العديدة ذهبت حتى خربها أمره  
 العريقة الذي ذكر من أمته ، وحلاها ، ولا يعرف لها  
 من فصل وحرقه هو . خملات اشرف ذكره عند تمام طريق  
 مائي مهم وقد ذكرنا عليه لوحة لتخليد ذكره ، بهذه العبارات  
 " في هذا الطريق التي بهمة الاميرة صديحة أم أمير  
 المؤمنين خليفة هشام حراها ، الله حرا عيرونها وقصها ، محرم  
 ولينا (السيحيا وكرموا) (١) من ... أما تصور فقد وجه  
 همته الى رفع شأن لاندلس ، افرو وخر ، وبه استتب الامر  
 د حلا وارفع شأن البلاد حرجا وصبح هو حركته ، يعرف  
 بالشجاعة والكرم ويتصف بمعدل وحسن لادارة وفي العام

أثنى والنسب بعد الأئمة حرج منصور عربا امرأته الثانية  
 وأحمد بن (١) جمع فتنة العرب من مدينة سام من ولاية قشتالة  
 وقد أبدى العاصون مقاومة لمرّة واشتد القتال حتى اضطر ابن  
 أبي عامر للفرار إلى الصعوف لإمامية = مستعسلا = استيـ  
 يده امت روح العرب في فرد حشده مد كد شديدا حرزو  
 المصور ولكن بعد أن صلب قائد المصور بحرج سامية ، استشهد  
 على ثوره في الخامس والعشرين من شهر رمضان ودفن بمدينة  
 سام حسب وصيته

مات محمد المصور وعونه بعد الاندلسيون وكان من دكان  
 شوكة = نوى رجيم. اعظم ووفاه الصليح بنيت محمد  
 قبله لول استعمل بحرف ، يستعمل مطم الذي بعد دكان الاندلس  
 ابسو عليه ثياب الحدا وشبهه الطيور كانه كان حزمه ووجد  
 على نحس طامه الذي يد في أفق السيرة = تم تعش صبيحة كثيرا  
 بعد منصور فقد توفيت في العام الثامن والتسعين (٣) بعد  
 الثلاثة ، أي بعد تلك الذكبة ستة أعوام بعد تصاع قبل وفاة  
 منصور ولكن صبحها كان قد هربا اقتضته الظروف ولا فان

(١) حرج الاندلس اعيا فاش

(٢) ابن خلدون

(٣) قاموس الاعلام

« موعى در فمها، قد جعلت يدها موعة من ادّ لأم بصعب حنّبارها  
 فان الاعوم لاجبرة من حياتهم، مضت بين جدران الانساث والعبادة  
 وقد كان يوم صمم حرس حقيق في نفس اشعب لا يقبل ثراً عن  
 حرمها لدى موب مصور وقد نهها كثير من الشعراء وفهم ان  
 درج بيت شهما النجمة الانداس حقاين (صحيح) كانت من شد  
 المصوم، وفي سماء لانداس، كد هك ملق في ن تحيا الانداس  
 حياقة رعد وذهابها فلور حياقة، ثم وقد فل بحكم ونه يق ثر ساعد  
 مصور ولا نس حكم ولا شوكة عبد الرحمن، فم يبق أمام  
 الانداس سوى السقوط ولا بد حرد لان الخلافة تنقات الى  
 هتنام، ذات الخليفة الحار، اما حرد من كان لانداس موب بحشون  
 حكمة، وليس هيبه منه وانما خوفا من عجزه وصممه

لم ر صديحة لعين حنة ورممة تلك حانة سورة الى سر  
 حتى اليوم، وقد انبوب في بلاد لاسلام اصروا حرد ولا م  
 لو مدرط، ن ناعش نعمة عوام حردى ترى عسم عاصم  
 لانهم رت عيناها بالدم بدل ندموع، ماتت دور ن ترى شيئا من  
 ذلك، ماتت في بيت رهر موه نطار في نعمة، موم على صمحة  
 حوض من حوض حديقتها، زهره في مسم، يوم لطيف حرد  
 مؤلم، وقد كان حرد لمشعد نطبا عما في نظرها، مضر تلك  
 النجمة التي استنعم من نعمة في أحوض بيت الزهره

## الخاتمة

كتب موسى بن نصير في المغرب ، في الحديقة عند الملك  
 بن مروان ، يصف له لادن من نوعين في فحها ، وهما :  
 ١ - لادن حنة فحها شبه الشام بحسن موقعها ولين  
 بادل مدحها وفقد أروعها ، وسيا ومصر مخصوصهم وعاشها  
 والمبين بأحجارها الكريمة ومعادنها المقدسة ، وأعقب ذلك  
 خروج طروق زنادلروها وكنت امره اثنا عشر ألف من  
 المدهد ، وإن هي إلا ثم قلائل حتى تم فتحها ، مضى على هذا  
 المدهد عصور ثلاث تشكل المكون ثابها ، من به مدمة حاملة  
 حاملة وأخذوا يدها إلى مدح العلم والعرفان تحت أشعة الدور  
 الأسلا ، فلم يصر ذا يقين حتى عتلى لادنسون ، عتلت  
 تلك لامة التي كان الفسافسة تسوقها كالأعزم ويدققها الحكام  
 صوف المسب ولول لا سطود ، وأصبحت تدر من وحيز  
 مطمح أنظار أور ، وموضع الدهشة والاعجب من أهلها  
 دهشت أور ، من مدينة سيبيا ثم أجدت تغرب منها  
 على مهل (١) ورد مناهل علمها وعرفاتها وحياص مديتها رواه



نظمها وبعد فتح لاندس وجه العرب همتهم الى عمرها  
وزيبتها ، وكانت لحروب وصرة ما على دعوة الامراء المسيحيين  
اذا صنف في شملها الى الهدية و... على رد هجماتهم من حين  
لا آخر بن المسلمين الشغب ، الامور الرعية شغلهم ، لحروب  
صبروا الاندلس حديقة جميلة (١)

الخدمة والخدمة ، العلم والعرفان ، الشهادة ، البرودة كل  
عده مرايا كان مسلمو تلك الايام يتهاوتون على التحلي بها  
واكتسبها اما اخلاقهم الحسنة وشرفهم هو فكات عاية  
يقوق اخلاق مسيحيين حسناً حتى ن اعداءهم ، سره الشمال  
كاوا لا يسمون من مدودة مر صدم ومخروجه في البيوت  
الاسلامية معرفة اطباء المسلمين او كان على مروءتهم وشهائهم  
في تلك الايام وقد اسعت دور العلوم والعلوم رنعت  
لامه تبعاً لذلك واصبحت البرودة وعرة العس غريبة في مس  
كل مسلم ان الحاصل الجميدة التي كان يتصف بها طائفة المرسان  
في ورو ، تلك الحصاص التي تهر و صدم في كتب التفسيرين  
فموجبها ، هي حاصل اسمهم الحقيقي ولو عدم مقدار ما كان  
يندبه المسلمون في تلك الايام من الاحرام والاعتبار المحجرات  
الاسلامية بل انكل النساء مسيحات كن و مسلمات (٢)

(١) حلفنر (٢) روح الاحلام للامير علي

لو علم مقدار احمر موه واعدادهم لم نعلم ثم نصرنا الى حادثة اليوم فلا  
أدرى كم يكون الاسف مرآ البيا

عند محاصر والى قرطبة مدينة ( توليدو ) عام ١١٣٩  
مبلدية كانت الملكة ( ربحر ) محصورة في قلعة ( آراف ) داخل  
المدينة وبعدها هجم الولى امسكوه على المدينة يريد فتحها  
أوسلت الملكة تقول

« يس من الشهامة لاسلامه محصرة امرأة في مدينة  
والمحوم على العامة ان هي ساء استصوب الى رايها وعص  
النظر عن المحوم وراى ان تظهر نفسها لهم من حدى  
شرقات قصرها وتجرد بدهر عسها لهم قدم الولى احمر مه  
وعاد امسكوه الى قرطبة امسكوه عتدركها فقال لي رايك  
الا تستحق ان تضاف هذه الحادثة الى سجل الشهامة  
والارباب ههنا نذل درجة من نذل » ( ١ ) او سيدى (

سمع محمد المنصور بعد رجوعه عن عزوة ( قوموستل )  
ان امرأة مسلمة مجبوسة داخل العامة فامر بحصر ملك النار  
أمامه يهدم العمدة على ههنا العمل العظيم وهو على ركبتيه  
لحصر الملك وطالب العدو والمعدة حثيا على ركبتيه ( ١ ) ولعل من سم  
نخليص امرأة مسلمة على هذه لصورة عدد بحوده الى العاصمة

( ١ ) لانول

كان لزمان، زمان عظيمة وقدرة وحلال وكانت الاخلاق  
 الاسلامية على اصحابها لم يتطرق اليها عوامل الضعف وتدور  
 الفساد وكان يسمون اصحاب القوة والسطوة وكانت الايام  
 ايام نور وجبر وتناء وكانت الامة لمحمدية امة العلوم والعصمت  
 وصلت مدينة الاندلس ايام عبد الرحمن واسه الحكم وفي عهد  
 صليحة والمنصور الى ذرونها وغايبها حتى أن اسبانيا لم يبق  
 أو بعد هذا العهد مثل ما رثته في أم هؤلاء (الاصول) (١) زرع  
 والصناعة والحرفة وحرمة الذهب والفضة والمسيح والخير  
 لم تكن في قرطبة فقط بل كانت منتشرة في عراسه واشيعة  
 ومرسيه . وقد كانت هذه المدن أشهر من نار على علم في  
 صناعة الاسلحة

كتب (توليدرو) في وصية له في القرن الرابع عشر ميلاد  
 يقول بين اعمات التي اركها يابى صنف مصبوع في شريعة  
 محي سيموش له هبة ومرصع بالاحمر والكرمة وأوصيك بالجملة  
 عليه ، أما شنه لهم بالشمع البعاسة وفي العبد والامور الممكية  
 فقد اوقع اوردو، في مهابى خيرة ولاعب

سمره اوردو ومو كها وماكاه، ليس أموها ليرة كاه  
 يفتشون امة قصور عبد الرحمن وموهم من آلات البعامة وربش

انرف م تكن فرصة رسة لا تلبس بحسب بل كانوا يمدونها  
 "مخوفة منه" (١) لم يبق حان لم تدهشه المدرس المشاة في عهد  
 الحكمه الذي وما تحلى في عصره من مظهر الموم والعمون (٢)  
 لم يبق الناس في ذلك لزمس لا يعرف القراءة والكتابة مما كفاة  
 المصور وعصرته وعذله فقد سار به كرها الركب حتى أصبحت  
 سبباً من أقصاه لا قصاه ونحف من فم صواته ورأسه يذكرون  
 عنه به في عزوة من عرواته لا حداثه حدى للمدثرة والى  
 أحد حدود كون من حلة لواء لواءه في المسكر منهم لمدسة وبعد  
 به المروقة وتودة المصور بخوده بل لاواى مكانه مديكو أحد  
 الاسميون ومعون الاء ولا يستطيعون الوصول اليه خوفاً من  
 عودة المصور بخوده ولم يسمكوا أحده لا بعد معنى بام  
 عديدة وطعنهم من عدم رجوع خيش

اما سياسة صالحة ومهترها في الاحكام وآثار رحمة  
 والشعة انى كانت تدمر للمهره واختناحب وتدل ما في وسعها  
 امر راسمكك انشاء خصور وجرع وعبولاء وناسيس  
 المدارس والحو مع هذه امور مسجلة بالمعجر والامه ايس في  
 النورح الاسلامية وحدها بل في التورنخ لافرنحية لاسما  
 ما كان متعلقاً منه بزيغ سبانيا

من صهور صديحة في مثل هذا مصر المشرق امير برهان  
كاف على قصده وجميل مريته ووردت ان أحصى الشهيرات  
من نساء الاسلام في ذلك المصير لاحق لاجل الامر الى عمدة  
صفحات

كانوا في هذا الهدى شمعين ماحوم والمعروف حتى سمع جميعاً.  
كباراً وصغيراً، رجلاً وسيدة، وهو حياً في سبل العلم والمواد  
في ذلك العهد لم يكن لارحل فصل على النساء في الموم والعموم  
بل ان النساء كن يترشدن الخلق وكان رجال يستعيدون  
من هذا الارشاد، فائدة كان الرجال يخدمون بساكن في  
الاندلس لاقتدارهم ودكانهم وقصاهم واسم خدوات ذلك (١)  
هذه هي الاندلس في عصورها الثلاثة اما وقد ماتت  
صديحة وحل هشام على العرش في ريدوسوى فقد تبدل اسم  
السلطنة في الترسل وتطرف اليه عوام العباد اردد كل  
الامر ان يستعمل ويعمل معه على حسب هذا الخليفة ما حزن  
وفي النهاية دست عوام التراج والشعوب بين عائلته وورثته  
وامراته ونسبه وعصمت عواصف الفتن والفسائس في بيت  
الزهراء وصار الخليفة المعونة يسهم غلوه على العرش وتخلوه منه  
من حيث لا حذر وصارت عرفة العرش مسرحاً يتقالبون فيه

وبندوعول في رحته وفي مدة وحيرة حس على العرش عشرون  
خليفة على اتولى امرية لصعب على لاسان غير المدة الى  
يستغفروا بين خلوس والحايم وبين لا رتقه. وولى ذلك ظهور  
الغلاقل وندلع لسان ناهيب الى صرف الابداس قصة فاستقل  
كل ول بولايته ثم تشاحن الولاة فيما بينهم وتقاتلو وظهرت  
على اثرها مدبح فتحررت المدرس والكتاب وتهدمت مساكن  
والقصور ثم التحم بعضهم الى ممره بخرجة وصلوا معوتهم ولم  
يغض لا شهر قلائل حتى اتولى العدو على نحو عشرين مدينة  
وقمة (١) مات برهراء وفسر اطل بهرة فاضاهما ما اصاب  
غيرهما من الحرب والدمار وصعب في ربعة ايام اثرأ بعد عين  
احرقا ولم يبق من ارضهما الا لرد وتعاقت في قرطبة فوق  
وخراب وشيع قضى ذلك امة كلالام لاسارة الى برها مرة في  
مماه وبعث من ارضه لاحترة في النفس ترددها من حين لا آخر .  
بما كان محمد منصور حاسا في قصر الظاهرة دس يوم طر في  
أرافه عرن وانه عول في مدهرة لاسنة في يستعمل  
النار في حرقه واى حرص في سب حرك ودمرك " لم  
غض على قوته رمن كبير حتى حرقه ايدي حرب مختلعة مدهيت  
صعبة له (٢)

فما خطر من ذلك على بل صبيحة بضاً من بدرى رما  
توهت منها توه المنصور ورمات تاحى ٤٥٠ ٥٠٠ أي يد  
صبة سوف نتحكم فيك بفصر الزهر ٥٠٠ ويا حمة الغروب في  
أي الاحواس بمكسبين شعاعك الضئيل وقت حصول هذه  
العصاة ٥٠٠ ولكن لا لا لا لا أريد أن أحدثكم عصابات  
الاندلس ولا أريد أن أذى حراكم بأحرها لا استطيع  
ذلك لاني لا املك من الكرامة والعرفان ما يؤهلني لحوار هذا  
البدان بما رددت فوق ان أته لاندلس ورجها مت  
وانطاعت بموت الاميرة صبيحة

بعد أن مر على مرطبة عاصمة الاندلس مشرفة ارمان  
حاصت فيها في ادماء ولا حرا ٥٠٠ ميق للسلطنة فمفس  
وروح فاعلمت انوارها في فرصة وله بظهر فيها فبس من  
الغشوة بعد ذلك، وانما طات عائشه كجمورية شيلة

ومهرت بعض لاورد في روم عاصمة ولكن لم يحدد ذلك  
أي نفع لان دور التهره كانت بدت في موسى المسمين ونمار  
المصائب كانت قد أتمت ١٠٠ فاجبروا على ترك الاندلس بعد  
حكم دام ستمائة عام

عند ما سودت هذه الصفحات من ترجمة حياة صبيحة لم

أثناءك بمعنى من الحروح عن الصدود وكن كان ثم ما على حل  
ادور ثلاث كنت تستطيع أن تهن هذه لادور وكن كان لها  
تأس شخصية صبيحة ومحيطها والد ثم أس من قيدها لكل هروعه  
وتميلاتها القصة وصات الألى تؤمل ربه رضى وفارضى  
لم يتطرق اليهم الملل أثناء تصفحها.

لا تصد ن اكتب ربحاً ونا المرحس الذى أرمى اليه هو  
المهنة لساوية فى عصره هذا وهذا الامر لا يأتى لأم طريق  
المطه وامرة فسميت جهدا استعدعتى بوصول لى هذه القابه  
وانه اسأل سواء القصد

سبحانك يا ذا الجلال والإكرام



ط محتويات خزانة الثاني

٣ كلمة لأمرية

٦ كلمة ازكاس التركى الشهير، مرحوم رحمانى وده كرمك

١١ سيده النساء فاطمة زهراء

٤٨ - ار حلال وانه امدونه

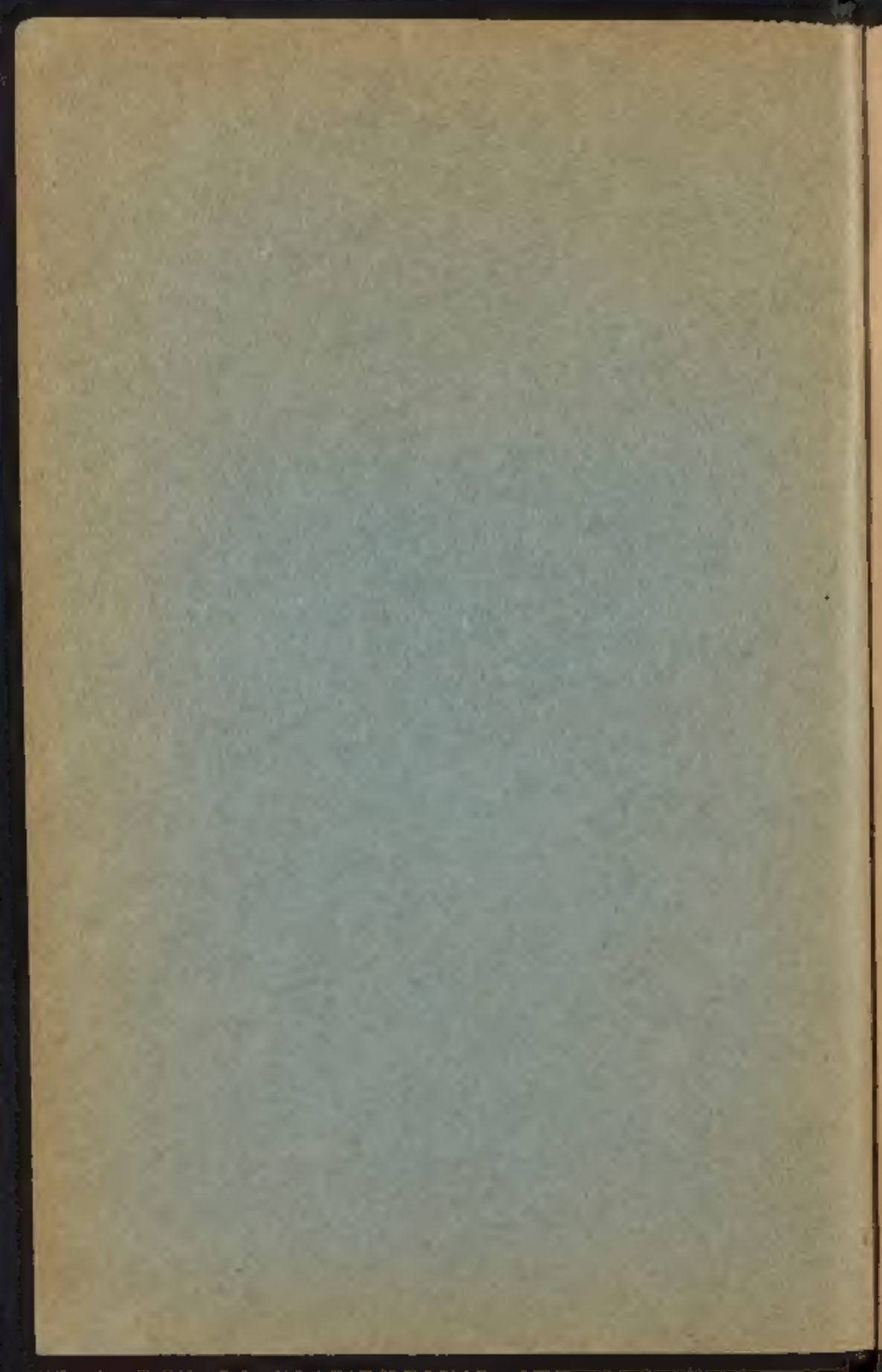
٦٣ الخنساء

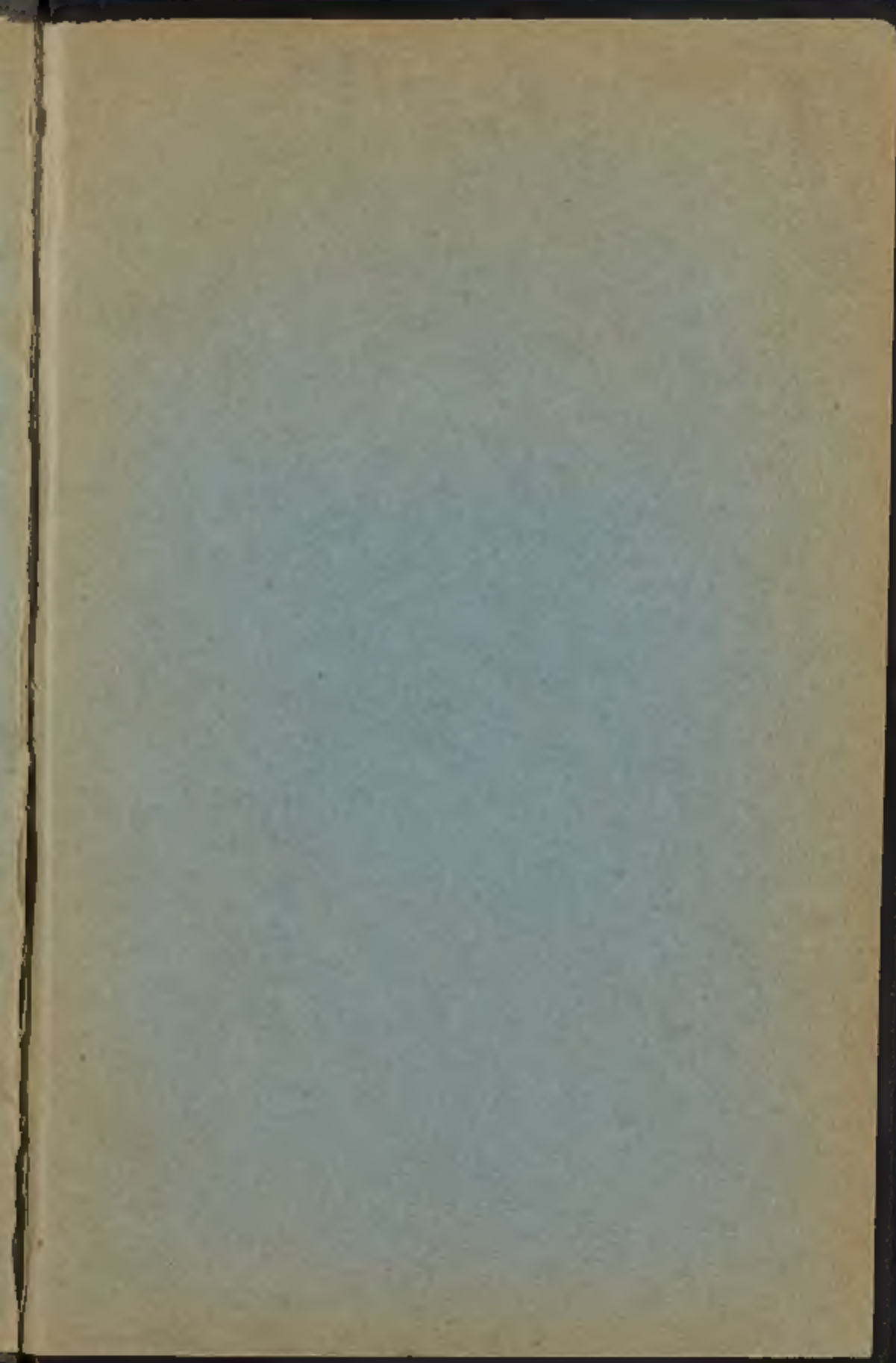
٩٩ ميرة انونى ريدة

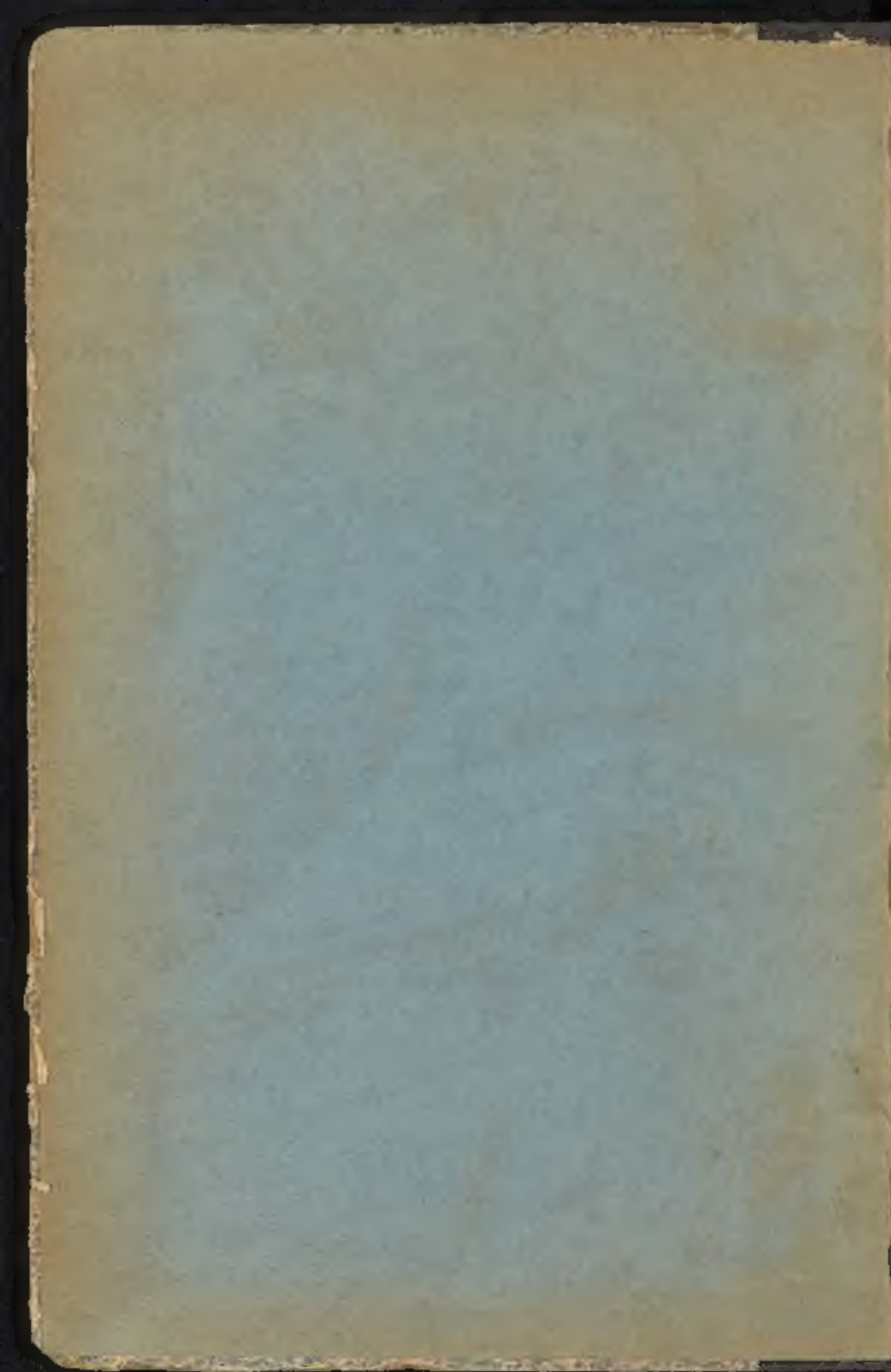
٤٣ لاميرة صبيحة ملكه مرصه

٢١٤ حنة











COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU59577673

ME06809

Shehrazat al-Nisa II